الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

بلاد بابل في عهد نابونيد (٥٥٥-٥٣٩) ق.م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم

إعداد
سهر لطف الدين أحمد

إشراف
أ.د.عيد مرعي

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ

فهرس المحتويات

قائمة الرموز والاختصارات..... د

ملخص الموضوع..... هـ

مقدمة ١

تمهيد: ٤

الفصل الأول شخصية نابونيد ١٣

أولاً – من هو نابونيد : ١٤

ثانياً – استلامه السلطة:..... ١٩

الفصل الثاني أعمال نابونيد ٢٤

أولا: الحياة الاقتصادية:..... ٢٥

١– الزراعة: ٢٦

٢– تربية الحيوان: ٣٣

٣– الحرف: ٣٥

٤– التجارة:..... ٣٩

أ– التجارة الداخلية: ٣٩

ب – وسائل النقل وطرق التجارة:..... ٤٧

ج– التجارة الخارجية: ٤٩

ثانيا: الحياة الدينية: ٥٣

ثالثا: أعمال نابونيد العسكرية ٦٨

الفصل الثالث صراع نابونيد مع كهنة مردوك..... ٧٦

أولاً –أسباب الصراع: ٧٨

١–الأسباب الاقتصادية:..... ٧٨

٢–الأسباب الدينية: ٧٩

٣ – الأسباب السياسية: ٨١

ثانياً: مظاهر الصراع:..... ٨٧

١– توقف الملك نابونيد عن الاحتفال بمهرجان الأكيتو: ٨٧

٢– التغيير الديني:..... ٩٠

الفصل الرابع إقامة الملك نابونيد في تيماء ٩٣

أولاً – تمهيد ٩٥

ثانياً – تيماء موقعها، أهميتها، وذكرها في المصادر المسمارية، والعهد القديم: ٩٥

ثالثاً – أعمال الملك نابونيد في تيماء: ٩٧

رابعاً – أسباب ذهاب الملك نابونيد إلى تيماء:..... ١٠٠

الفصل الخامس حرب نابونيد مع الفرس ونهاية الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) ٥٣٩ ق.م١٠٧

أولاً – ظهور الأمبراطورية الفارسية وتوسعها:..... ١٠٨

١– سيطرة الفرس على المملكة الميدية:..... ١٠٩

٢– سيطرة الفرس على مملكة ليديا وآسيا الصغرى:..... ١١٠

ثانياً – أوضاع بابل قبيل سقوطها بيد قورش ٥٣٩ ق.م:..... ١١٢

ثالثاً – عودة نابونيد واستعداده لمواجهة قورش: ١١٣

رابعاً – مراحل السيطرة على الدولة البابلية الحديثة:..... ١١٥

١– سرد سقوط بابل في المصادر المسمارية: ١١٦

٢- سرد سقوط بابل في المصادر الاغريقية: ١١٨

٣ – سرد سقوط بابل في مصادر العهد القديم: ١٢٠

خامساً – أعمال قورش بعد دخوله بابل:..... ١٢٢

الخاتمة: **١٢٦**

قائمة المراجع **١٤٠**

المراجع العربية والمعربة: ١٤٠

المراجع الأجنبية ١٤٦

Research Summary..... **١٤٧**

قائمة الرموز والاختصارات

C A D	The Assyrian Dictionary of oriental institute of the university of Chicago

ملخص الموضوع

إن تاريخ الحضارات على هذه الأرض بصورة عامة سار وفق سُنن وأنماط معينة من تأسيس وقوةٍ وضعف .

وهذه العناصر الثلاثة متعلقة إلى درجة كبيرة بقوة حكامها ،أو ضعفهم إضافةً إلى قدرتهم على كبح جماح السلطة الدينية، وجعلها تحت سيطرتهم من دون إثارتها ،أو جعلها عدواً لهم، لأنه لطالما كان الدين هو العامل المساعد بل الأساسي في تثبيت عروش الحكام أو إزاحتهم عنها.

هذه الأمر ضرب به الملك نابونيد عرض الحائط ؛ إذ جعل من رجال الدين العدو الرئيسي، والأول له ،بل أغرب من ذلك أنه قام بترك عاصمته بابل ،وهي في أوج قوتها وازدهارها إذ كانت تمثل أعظم حضارات ذلك الزمن ،واستوطن مدّة عقد من الزمن في واحة تيماء ،إحدى واحات شبه الجزيرة العربية التي تفصلها عن بابل مسافات كبيرة .

هذه الأسباب أدت إلى اتساع الفجوة بين الملك وشعبه الذين وقف وراءهم رجال الدين،بسبب تضررهم من أعماله التي أساءتهم من خلال إعلائه للإله سين بدلاً من مردوك كبير مجمع الآلهة البابلية ،الأمر الذي أدى إلى خسارتهم من الناحية الاقتصادية أولاً ومن الناحيتين الدينية والسياسة ثانياً.

وفي نهاية الأمر أدى الانقسام في المجتمع ،وعدم الانسجام فيه إلى تمهد الطريق أمام الغزاة الخارجيين المتمثلين بقورش الفارسي ، للسيطرة على بابل ،وجعلها ولايةً فارسيةً ، وطي صفحة طويلة من القوة والازدهار .

مقدمة

ارتبط الشرق الأدنى القديم منذ البداية ارتباطاً وثيقاً بالحضارات التي قامت وشبّت في بلاد الشام والرافدين ومصر، فقد كانت هذه المنطقة شعلةً لا تنطفئ من القوة والعلم؛ حيث علّمت الأمم اللاحقة معنى الحضارة من خلال ما تركته لنا من آثار عظيمة، خاصةً في بلاد الرافدين التي كانت لها مكانةٌ مميزةٌ بين الحضارات؛ إذ بقيت هذه المنطقة بشعبها وحضارتها تثير اهتمام الكثير من المؤرخين.

فمنذ أن حلت رموز اللغة الآكادية أصبحت بلاد الرافدين محط أنظار المؤرخين من خلال تسليط الضوء على توسع حضارتها،وقدرتها على تطويع نهريها العظيمين: دجلة والفرات، وقد توالت على هذه المنطقة (بلاد الرافدين) حضارات متعددة، كالسومرية والحضارة الآكادية، والآشورية والبابلية، وقد اتخذت الدولة البابلية في كل مراحلها مدينة بابل عاصمة لها، هذه المدينة التي كان لها مكانت مميزة بفضل ملوكها ،الذين استطاعوا إخضاع شعوبٍ ودولٍ عديدةٍ تحت إمرتهم. ولكن تبقى الإمبراطوريات رغم عراقتها متعلقة بقوة ملوكها أو ضعفهم فملوك بلاد الرافدين من آكاديين و بابليين وآشورين وكلدان كان لكل منهم دوره الذي ميزه من غيره من الملوك إما من خلال توسيع رقعة هذه الأرض أو تقليصها، فالملك نابونيد ليس استثناء عنهم بل ويعد عصره لغزاً مازالت أقلام الباحثين وكشوف الآثاريين تحاول أن تجد له حلاً.

هذه الأشكالية كانت دافعاً أساسياً لإختيار البحث،الذي تتجلى أهميته بمحاولة بمحاولة إلقاء الضوء على بلاد بابل في عهد نابونيد ومعرفة الأسباب والدوافع وراء إنتقاله لتيماء وترك عاصمته عشر سنوات متتاليه والنتائج التي ترتبت عل هذه الأعمال ومصير بلاد بابل عامةً ومدينة بابل خاصةً .

أما المنهج المعتمد:هو المنهج التآريخي القائم على جمع المعلومات والمواد المتعلقة بالبحث من مختلف المصادر والمراجع التاريخية ،وإتباع المنهج العلمي للأفكار والمواضيع التي تناولت البحث .

فبلاد بابل في عهد نابونيد هي حلقةٌ من سلسلة طويلة من تاريخ هذه البلاد التي، سنلقي عليها الضوء عليها وعل هذا بني البحث على خمسة فصول تسبقها دراسة تمهيدية ذكر فيها لمحة تاريخية وجغرافيه لبلاد الرافدين.

وقد جاء الفصل الأول بعنوان شخصية نابونيد، وتم التحدث فيه عن شخصيته وأصله الآرامي الحراني ووصوله إلى السلطة في بلاد بابل ،والدور الذي لعبته والدته أدّا غوبي في تسهيل وصوله لمناصب عليا في الدولة البابلية الحديثة.

أما الفصل الثاني فكان عن أهم أعمال الملك نابونيد، تحدثنا فيه عن دوره في الحياة الاقتصادية بجوانبها المختلفة من زراعة وتربية حيوانٍ وحرفٍ وتجارةٍ:داخلية وخارجية،ووسائل نقلٍ وطرقٍ، ثمّ تم بعد ذلك الحديث عن دوره في الحياة الدينية، وخُتم الفصل بذكر أعماله العسكرية والحملات التي قام بها، لتوسيع رقعة دولته.

و الفصل الثالث تم عنونته بصراع الملك نابونيد مع كهنة الإله مردوك وتم فيه ذكر أسباب الصراع:الاقتصادية، والدينية،والسياسية،ومظاهره من توقف الملك نابونيد عن الاحتفال بمهرجان الأكيتو ،والتغيرات الدينية التي قام بها، وما رافقه من محاولة الملك الإعلاء من شأن الإله سين وتراجع مكانة الإله الأعلى لبابل مردوك فيما اصطلح على تسميته الإصلاح الديني.

أما الفصل الرابع فقد جاء في موضوع الملك نابونيد في تيماء، وبدأته بتمهيد يتحدث عن أضاع بلاد بابل والمناطق المحيطه بها قبل ذهاب نابونيد إليها، لأنتقل بعد ذلك للحديث عن تيماء :موقعاً وأهميةً،وذكرها في المصادر المسمارية،والعهد القديم،ثم أعمال نابونيد في تيماء، فأسباب ذهابه إليها.

أما الفصل الخامس فحمل عنوان حرب نابونيد مع الفرس ونهاية الدولة الكلدّية(البابلية الحديثة) ٥٣٩ق.م،وأوضاع بابل قبيل سقوطها بيد قورش الثاني، وعودة نابونيد واستعداده لمواجهة قورش،ومراحل السيطرة على الدولة البابلة الحديثة، وأعمال قورش بعد دخوله بابل.

واختتم البحث بمجموعة من النتائج التي تمّ التوصل إليها، ثم تلتها مجموعةٌ الملاحق الهامة ذات الصلة بموضوع البحث ،ثم مجموعه من المراجع العربية والمعربة و الأجنبية التي شكلت أساساً غنياً بُني عليه البحث.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان للأستاذي المشرف الإستاذ الدكتور عيد مرعي لطول صبره وتوجيهه المستمر الذي كان له الأثر الأكبر في إغناء مادة البحث وتوجيهها نحو الطريق الصحيح، كما أتقدّم بجزيل الشكر لكل من قدّم يد العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل، وقد حاولت بذل جهدي لإتمام هذا البحث وإخراجه بصورة تليق بالبحث العلمي، فأرجو أن أكون وفقت بذلك

والله ولي التوفيق

تمهيد

بــلاد الرافــدين أو بــلاد مــابين النهــرين، هــي ترجمــة للتســمية الإغريقيــة ميزوبوتاميــا (Mesopotamia)، وهو الاسم القديم للمنطقة التي تمتد على طول نهري دجلة والفرات والواقعة إلى الشمال الشرقي من الوطن العربي، يمتد معظمها حالياً في العراق، لكنها كانت تضم كذلك شرقي سورية وأجزاءً قليلةً من تركية وإيران.[١]

وقد استخدم الإغريقي سترابون هذه التسمية Mesopotamia (بلاد الرافدين)؛ للدلالة على الجزء الشمالي من تلك المنطقة، بينما أطلق على الجزء الجنوبي اسم (Babylonia)؛ أي بلاد بابل، ثم وسّع المؤرخ الروماني بلينيوس اسم ميزوبوتاميا ؛ليصل حتى الخليج العربي. [٢]

وتدين بلاد الرافدين بما بلغته من تقدم وتطور حضاري إلى نهريها: دجلة والفرات اللذين ينبعان من هضبة الأناضول في الشمال ،ويصبان في الخليج العربي في الجنوب، ويمتازان بغزارة مياههما في فصل الربيع خاصة، وذلك بعد ذوبان الثلوج على هضبة الأناضول. [٣]

إن استخدام تسمية بلاد الرافدين، أو بلاد مابين النهرين في الدراسات التاريخية، له معنى تاريخي (حضاري) أكثر من معناه الجغرافي؛ إذ قامت في أقصى الجنوب على سهل الطمي على شط هذين النهرين (دجلة والفرات) أعرق الحضارات التي عرفها الإنسان منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، ولكن غير معروف من هم المستوطنون الأوائل وما هي هويتهم. [٤]

وتقسم أرض مابين النهرين ،أو أرض بلاد الرافدين إلى منطقتين رئيسيتين:تقع الأولى في جنوب بلاد الرافدين، وتمتد من بغداد الحالية شرق نهر دجلة، والرمادي غرب نهر الفرات، وتتجه جنوباً حتى الخليج العربي. وقدعرفت هذه المنطقة في بداية عصرها التاريخي بأرض (سومر وأكاد)، لإن السومريين عاشوا في نصفها الجنوبي الممتد حتى الخليج العربي ، وبرزوا كغالبية وقوة سياسية وحضارية، وأقاموا عدداً من دويلات المدن التي كان لكل منها استقلالها،وكيانها الخاص،

---

(1) Mcintosh, J.R, Ancient Mesopotamia, Oxford, England 2005, p3.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق.م، ط١، ١٩٩١، ص١٣

(٣) علي، محمد عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق، ج١، ٢٠٠٠، ص٥١

(٤) مرعي ، مرجع سابق، ص١٣

وآلهتها التي تمثلها،وقد كانت هذه الدويلات متاخمةً لبعضها وأشهرها: (كيش – أور(تل المقير حاليا) – أوروك – لاجاش – أوما (الهباء أو الهبة حاليا.....الخ).[١]

وكانت أرض أكاد تشكل النصف الشمالي، وأكاد هي عاصمة أول إمبراطورية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، والمعروفة باسم (الإمبراطورية الأكادية) والتي كانت مقسمة لعدة مقاطعات يديرها حكام مقربون من الملك، ويسهر جيش قوي ومدرب على بقائها، وقد وصلت إلى سورية وفلسطين وإلى قلب الأناضول.[٢]

وعرفت منطقة (سومر وأكاد) في بداية الألف الثانية باسم بلاد بابل نسبة إلى مدينة بابل، عاصمة الدولة البابلية الأولى (١٨٩٤– ١٥٩٤ ق.م). تمثل هذه المنطقة سهل الطمي، الذي كونته ترسبات نهرا دجلة والفرات، وهويتميز بالرطوبة العالية، والحرارة الشديدة، وقلة الأمطار؛لذلك اعتمد على مياه الأنهار في الزراعة. أما المنطقة الشمالية، لبلاد الرافدين فيطلق عليها بلاد آشور نسبة إلى مدينة آشور التي كانت من أهم المدن الشمالية ،وتتميز هذه المنطقة بأن مساحتها أكبر بقليل من المنطقة الجنوبية، ومناخها أكثر اعتدالاً وتتلقى كميات أكبر من الأمطار في فصل الشتاء، لكنها تختلف بطبيعتها الوعرة التي انعكست على صلابة وسكان بلاد آشور وقسوتهم. وقد استوطن الآشوريون في هذه المنطقة ،وبنوا مدناً عديدةً ازدهرت ،وتطورت حتى أصبحت مراكز إشعاع حضاري ،وسياسي مثل آشور العاصمة القديمة ،ونينوى العاصمة الحديثة فيما بعد ودورشاروكين[٣] بالإضافة إلى المستوطنة الآشورية كاروم – كانيش [٤]في وسط الأناضول.[٥]

---

[١] الذنون، عبد الحكيم، تاريخ بلاد الرافدين، ج١، ٢٠٠٠، ص ٥١

[٢] مرعي، عيد، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتبة الخبتي الثقافية، ٢٠٠٤، ص ٢١

(٣) دورشاروكين: مدينة بناها الملك الأشوري شاروكين الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م)، أي قلعة شاروكين وتقع حاليا شمال شرقي الموصل.انظر:مرعي،عيد،عبدالله،فيصل،تاريخ الوطن العربي القديم (بلادالرافدين)،ص٣٥٣

(٤) كاروم – كانيش: وهي إحدى المستوطنات التجارية الأشورية في آسيا الصغرى. وتدعى حاليا (كول تبي بالقرب من قيصرية)، والتي أسسها إريشوم الأول (Irishum 1) نحو (١٩٠٠ ق.م) ولعبت دورا تجاريا هاما مابين بلاد الرافدين وأسيا الصغرى.انظر:المرجع السابق ،ص٢٣٦

[٥] مرعي، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م. مرجع سابق، ص١٤

والسكان المحليون لهذا الوادي لم يملكوا اسماً موحداً لهم، فالمصطلح الجغرافي له اختلف حسب نهوض القوى السياسية فيه أوسقوطها؛ إذ تشكلت عدة ممالك استسلمت بشكل متعاقب للسلطة الأقوى، فضمت (سومر – أكاد – بابل – آشور..الخ). [١]

كما أن حدود هذا الوادي لم تقتصر على بلاد بابل وأشور بل تجاوزتهما، ففي الشرق المناطق الجبلية على الأطراف الشرقية كانت ذات طبيعة مغايرة للوادي، وسكنتها شعوب كانت على علاقة متقلبة معه، تراوحت بين (عداء – صداقة – شركاء في التجارة) عبر التاريخ. [٢]

إذ سعى ملوكه لتأمين ما يلزمهم من موارد طبيعية مثل الأحجار والمعادن من الشرق. [٣]

أما من الشمال فكانت هضبة الأناضول منبع نهريه العظيمين دجلة والفرات ،ومن الغرب بادية الشام ،ومن ورائها سورية الطبيعية، أما من الجنوب الخليج العربي، وقد كان موقعها الجغرافي عامل قوة، إضافة إلى كونه عامل ضعف بالنسبة لها، فوقوعها بين الخليج العربي وهضبة الأناضول وارتباط ازدهارها ،وخصوبتها بنهري دجلة والفرات وكونها محكومةً من الغرب ببادية الشام، جعل منها محط أنظار لأغلب الهجرات ومن الغرب خاصةً. [٤] كما كان للمهاجرين الذين سكنوا بلاد الرافدين دورٌ مهمٌ في بناء حضارة هذا الوادي بعد انصهارهم مع السكان المحليين فقد شكلوا معهم مزيجاً اثنياً وحضارياً متناسقاً لعب فيما بعد دوراً هاماً في الدفاع عن حضارة هذا الوادي وتوسيعها، ابتداءً بالسومريين وممالكهم الأولى، وانتهاءً بالكلديين أقرباء الآراميين الذين سكنوا في أقصى الجنوب الرافدي و أسسوا عدداً من الممالك وهي: بيت داكوري في حوض الفرات إل الجنوب من مدينة بابل وكان مركزها في بورسيبا (حالياً برص نمرود) بيت ياكين قرب

(1) Rogers, R.W, Ahistory of Babylonia & Assyria,Assyrian International news Agency,1990, Volume1, p70

(2) Mcintosh, J.R, op.cit, p3

(3) Oppenheim, L, Anceint Mesopotamia, 1977, p3.

(٤) روتن، مارغريت، أسرار بابل، ١٩٨٤، ص ٦

الخليج العربي وبيت أموكاني في جنوبي بلاد بابل ،ومركزها مدينة أوروك حالياً الوركاء قرب السماوة وغيرهامن المدن الآرامية.[١]

شهد أواخر الألف الثانية وبداية الألف الأولى قبل الميلاد تغيرات سكانية كبيرة في بلاد الرافدين خاصة بدخول أعداد كبيرة من القبائل الآرامية القادمة من بادية الشام، والتي كانت تعيش حياة البداوة والتنقل، وقد استطاعت هذه القبائل مع الوقت تأسيس عدد من الإمارات المستقلة التي لعبت دوراً مهماً على مسرح الأحداث في بلاد الرافدين [٢] وقد استوطنت جماعات آرامية في جنوبي بلاد الرافدين أي في بلاد سومر القديمة عرفت بالقبائل الكلدية التي غلب عليها الطابع البدوي، واشتق اسمها من قبيلة (كالدة الآرامية). كانت هذه القبائل خاضعة لنفوذ الدولة الأشورية الحديثة (٩١١- ٦١٢) ق.م إلا أنهم كانوا يثورون و يتحينون الفرص للتخلص من سيطرتها. واستطاع الآراميون تأسيس دولة في جنوبي بلاد الرافدين (منطقة الخليج العربي) عرفت باسم بيت ياكين التي لعبت دوراً مهماً في إضعاف الدولة الآشورية وإنهاكها ؛إذ استغل أحد ملوكها المدعو (مردوك أبال أدينا الثاني) تحالفاً كان قد عقده مع الملك الأشوري شاروكين الثاني(٧٢٢- ٧٠٥ ق.م) لصالحه ودخل بابل وأعلن نفسه ملكاً عليها في ربيع ٧٢١ ق.م،وحكم فيها أكثر من عشر سنوات في الفترة الممتدة بين / ٧٢١-٧١١ ق.م / ،إلا أن شاروكين الثاني حاربه ،واستولى على بابل ،وهرب مردوك أبال إدينا الثاني إلى أقصى الجنوب. بعد وفاة شاروكين الثاني سيطر على السلطة في بابل رجل غير معروف اسمه (مردوك زاكير شومي) ،لكنه طُرد منها بسرعة من قبل مردوك أبال إدينا الثاني الذي كان مختبئاً في مستنقعات بلاد البحر(منطقة الخليج العربي) ينتظر الفرصة المناسبة، وأعلن نفسه ملكاً عليها وقد وقف إلى جانبه كل سكان بلاد بابل ، واستولى على كنوز معبد مردوك في بابل كما كان مدعوماً من قبل شوتروك ناخونتي الثاني (Shutruk Nahunte II ٧١٧-٦٩٩ ق.م) ملك عيلام الذي قدم له مساعدة كبيرة. [٣]

لكن الملك الآشوري سنحريب / ٧٠٤-٦٨١ ق.م/ خليفة شاروكين الثاني، ردّ على هذا الأمر بشدة، فحاصر قسمٌ من جيشه أعداءه في كوثا (تل إبراهيم حالياً في العراق). بينما التقت

[١] مرعي، عيد، عبد الله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، جامعة دمشق ٢٠٠١، ص٣٩٥
[٢] مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية العددان ٦٣-٦٤، ١٩٩٨، ص٢٨
[٣] الذنون، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨

غالبية قواته مع التحالف البابلي – العيلامي أمام كيش ،واستولى سنحريب على كوثا، ثم خف لمساعدة ضباطه في كيش، فتحالف الجيوش الآشورية مع بعضها محققة النصر، مما اضطر مردوك أبال إدينا الثاني إلى الهروب من بابل، ونصّب سنحريب على عرش بابل أحد نبلائها الذين تربوا في بلاد آشور وهو " بيل أبني". ولاحق الآشوريون مردوك أبال إدينا الثاني في بلاد البحر (منطقة الخليج العربي)، غير أنهم لم يستطيعوا العثور عليه، فصب سنحريب جام غضبه على بيت ياكين موطنه وقبيلته. وبعد وفاة العاهل الأشوري الكبير آشور بانيبال ٦٢٦ ق.م ضعفت الدولة الأشورية ؛بسبب النزاعات الداخلية بين ولديه آشور أتيل ألاني وسين شار أشكون على السلطة، إضافة إلى الأخطار الخارجية التي تعرضت لها آشور، ففي ميديا استطاع ملكها كي أخسار (٦٢٤-٥٨٥ ق.م) إعادة تنظيم جيشه وتقويته، ومد نفوذه إلى الجنوب ؛إذ كان ضعف السلطة المركزية في جنوب بلاد بابل يفتح الباب دائماً للعيلاميين للتقدم نحو بابل،[١]وغرباً في سورية بدت المدن الفينيقية راغبةً بقطع روابطها مع نينوى، وأصبحت السيادة الآشورية على فلسطين عديمة الفائدة.أما السبب الأكبرفي ضعف الدولة الآشورية بدأ من أقصى الجنوب حيث قامت حركة تمرد بقيادة نابوبولاصار (٦٢٦-٦٠٥ ق.م) أحد أفراد قبيلة كالدة الآرامية الذي كان يحكم بابل باسم الدولة الآشورية، فقد استطاع إقامة حكم خاص به في بابل ،والانسلاخ عن الدولة الآشورية بعد وفاة أشوربانيبال ٦٢٦ ق.م، وأسهم في الحرب التي قوضت أركان هذه الدولة عندما تحالف مع الملك الميدي كي أخسار، الذي اجتاز جبال زاغروس ،وهاجم المواقع الآشورية على نهر ديالى ليفتح بذلك الطريق إلى نينوى التي وقعت بين نار الميديين من الخارج و الكلدان بقيادة نابو بولاصار من الداخل فلم تستطع المقاومة وسقطت سنة ٦١٢ ق.م. [٢]

حمل نابو بولاصار لواء تحرير بابل من السيطرة الآشورية، واستمرت الحرب ضدهم نحو أحد عشر عاماً تمكن خلالها من السيطرة على نيبور ،وتحرير كامل بلاد سومر وأكاد ،واستمرت فتوحاته شمالاً على طول الفرات حتى وصل منطقة حران ،التي لجأ إليها من بقي من الآشوريين بقيادة أحد القادة العسكريين ،والذي أعلن نفسه ملكاً باسم (آشور أوباليط الثاني). ولموقع حران أهمية كبيرة سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية ؛لذلك كانت السيطرة عليها ضرورةً ملحةً

[١] مرعي، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م، مرجع سابق، ص١٢٥
[٢] المرجع نفسه، ص ٣٨٩

لكلا الطرفين، فهي تقع قرب منابع نهر البليخ وعلى طريق التجارة الدولية القديمة الواصلة بين سورية وبلاد الرافدين من جهة و بلاد الرافدين والأناضول من جهة أخرى، وتربط مدينة آشور في شمال بلاد الرافدين مع كارم كانيش المستوطنة الآشورية في وسط الأناضول .لهذا السبب حاول من خلالها آشور أوباليط الثاني لمدة سنتين إنقاذ الدولة الآشورية الحديثة، غير أن محاولاته باءت بالفشل رغم المساعدة الكبيرة التي قدمها الفرعون المصري بسامتيخ الأول (٦١٠-٥٩٥ ق.م) فسقطت حران سنة ٦١٠ ق.م بيد الكلدان، وانتهت بذلك الدولة الآشورية التي اقتسمها المتحالفون، فسيطرت ميديا على الأجزاء الشرقية من بلاد آشور، وحولوا أطماعهم نحو أرمينة وآسيا. أما بابل شمل نفوذها جنوبي بلاد الرافدين ووسطها ووادي الفرات حتى أعالي بلاد الرافدين. [١]

وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ بلاد الرافدين عُرف بالعهد البابلي الأخير، أو الحديث ،والذي استمر قرابة تسعين عاماً.ويتفق المؤرخون على أن عدد ملوك هذا العهد ستة ملوك،وقد أطلق عليه جامعو إثبات الملوك بسلالة بابل الحادية عشرة، وتسمية هذا العهد بالعهد البابلي الأخير يعني كما هو الواقع أنه آخر عهود البابليين في بلاد الرافدين؛ إذ أعقب ذلك قيام دولة أجنبية صارت فيها بابل ولاية تابعة لتلك الدولة. [٢]

بدأ نابو بولا صار مؤسس هذا العهد سلطته الفعلية في بابل والمدن المجاورة عندما سقطت نينوى عام (٦١٢ ق.م)، وعهد بعد تخلصه من آشور لابنه نبوخذ نصر الثاني بحملة لاسترجاع سورية وفلسطين من النفوذ المصري ؛حتى يبقى طريقهم إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) مفتوحاً،وقد قابل نبوخذ نصر الثاني الملك المصري(بسامتيخ الأول) في كركميش سنة ٦٠٤ ق.م حيث اضطر الملك المصري إلى الانسحاب إلى وادي العريش بعد هزيمته على يد نبوخذ نصرالثاني، الذي تقدم باتجاه مصر، ولكن نبأ وفاة والده (نابو بولاصار) اضطره إلى العودة لبابل حيث خلفه على العرش. استطاع نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٣ ق.م) إيصال المملكة الكلديّة إلى أوج قوتها واتساعها وازدهارها، فقد قام خلال فترة حكمه الطويلة بحملات متعددة على سوريا اشتهر خلالها بالنصر الحاسم الذي حققه على اليهود (مملكة يهوذا) ،وسبيه اليهود أسرى إلى بابل

[١] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (تاريخ الفرات القديم)، بغداد ١٩٥١، ص٢٠٣
[٢] مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١٠٧- ١٠٨، ٢٠٠٩، ص٣-٤

بعد أن خانوا تعهداتهم له وتحالفوا مع المصريين ضده.وقد أنجز على الصعيد الداخلي أعمالاً عمرانية متعددة أشهرها: السور المزدوج المحيط بمدينة بابل، وبناء سور آخر طوله نحو ٥,٧ كم، وإقامة شارع المواكب وبوابة عشتار، إضافةً إلى مايعرف بحدائق بابل المعلقة ،وعمد إلى إعادة بناء زقورة (برج) بابل وغيرها من الأعمال.....

تسلّم عرش بابل بعده ابنه (أويل مردوك) الذي حكم فترة عامين فقط (٥٦٢-٥٦٠) ق.م؛ إذ تعرض للقتل على يد زوج أخته القائد العسكري نيرجال شار أو صور الطامع بالسلطة، و كان هذا القائد قبل استيلائه على العرش يمتلك مساحات واسعة من الأراضي حول مدينة بابل، وبعد سيطرته على العرش كرّس معظم سنوات حكمه القليلة (٥٥٩-٥٥٦) ق.م لإنجاز مشاريع سلميّة مثل :ترميم المعابد والقصور، وحفر الأقنية.

وعلى الصعيد العسكري، قاد حملة على كيليكية في سنة حكمه الأخيرة استطاع فيها إعادتها إلى النفوذ البابلي، وقد تمتع كهنة مردوك إله مدينة بابل في عهده بامتيازات كبيرة، مما أثار حقد كهنة الإله سين (اله القمر) ونقمتهم في أور؛إذ كانوا من الآراميين الذين تربطهم علاقات وثيقة مع كهنة سين في مدينة حرّان ،وعلاقات قوية مع كهنة شماش (إله الشمس) في لارسا وسيبار، ويبدو أنّ صراعاً دينياً احتدم بين كهنة سين، وكهنة مردوك ؛للسيطرة على الحياة الدينية في بابل، [1] وهذا ما سنأتي على ذكره في فصول لاحقة.

بعد وفاة نيرجال شار أو صور انتقل الحكم إلى ابنه الصغير لاباشي مردوك، وكان صغير السن، فوجد كهنة سين وشماش الفرصة مناسبة لتحقيق مآربهم، فقاموا باغتياله بعد ثلاثة أشهر من اعتلائه العرش(٥٥٦ ق.م) ونصبوا نابونيد الرجل الذي يثقون به ملكاً على بابل.

ليس هناك الكثير حول نابونيد قبل تسلمه العرش وهو يعد من أكثر الشخصيات التي أثارت جدلاً كبيراً لدى الباحثين بسبب التصرفات الغريبة التي قام بها، والتي لم يجدوا لها تفسيراً واضحاً حتى الآن، فقد حكم بابل في ظروف تعصف فيها الرياح من جميع الاتجاهات فمن الداخل كان النزاع سياسياً يلبس عباءة الدين، متمثلاً بالصراع بين كهنة (سين وشماش) الذين كان لهم الدور

[1] باقر، مرجع سابق، ص ٢٠٣- ٢٠٥

المباشر في إيصال الملك إلى العرش ،وبين كهنة مردوك البابليين الذين كانوا إلى وقت قريب أصحاب الكلمة الفصل في بابل، وقد شكل هذا الصراع المشكلة الأساسية التي أدت إلى انهيار الدولة البابلية الحديثة، إضافة إلى المشاكل الاقتصادية التي خلفها الحكام السابقون، والناتجة عن كثرة الحروب التي خاضوها ،والتي أثقلت كاهل الخزينة.

من الخارج فقد كان الخطر الأكبر الذي لعب دوراً كبيراً في إنهاء الدولة وقد تمثل بالإمبراطورية الفارسيّة الإخمينية، ومن ورائها قائدها الطموح قورش الثاني.

أمّا بابل في عهد نابونيد آخر ملك على بابل وكلمة آخر تعني أن: بابل بعد هذا الملك لم تعد ملكةً على أحد أو عاصمة لأيّة دولة ،فقد انتهت بانتهاء حكمه ؛إذ سقطت بيد الفرس سنة ٥٣٩ ق.م. وكان لهذا السقوط عوامل ذاتية تتعلق بشخصيّة الملك نفسه، حيث لم يكن نابونيد ذا شخصيّة سياسيّة أو عسكريّة كأسلافه: (نبوخذ نصر الثاني، ونيرجال شار أو صور) بل كان أقرب إلى رجل العلم والأدب المهتم بجمع الآثار أكثر من اهتمامه برعيته أو تسيير أمور دولته؛ [١] إذ أقدم على عمل مازال يحير المؤرخين والباحثين حتى الآن، وهو تركه لمدينته بابل ،التي تمثل أعظم حضارات ذلك الزمن والتوجه إلى تيماء ،وهي واحة صغيرة من واحات صحارى شبه الجزيرة العربية التي يفصلها عن بابل مسافات كبيرة، وهذه الواحة منعزلة لا ريف لها، ولا ساحل بقربها وأقام فيها عشر سنوات دون التفكير بالعودة إلى عاصمته بابل، التي كانت طوال فترة غيابه تترنح بين خارج الذي لايرحم ، وفساد الإدارة ،،وحكم ملك غير مؤهل؛ إذ أبقى نابونيد ابنه بيل شار أو صور نائباً عنه في بابل. كل هذه العوامل وأمور أخرى أدت إلى جعل نابونيد آخر ملك على بابل، فالفساد وبعد الملك عن رعيته، وتركه لعبادة مردوك كبير آلهة بابل، والاتجاه نحو سين اله القمر، وتعطيل أعياد رأس السنة (الأكيتو) التي يعد فيها الملك أهم عنصر في احتفالاتها، إضافةً إلى وجود اثنيات متعددة ،وغير متجانسة تنتظر كلٌّ منها الفرصة، للظهور على مسرح الأحداث، وخاصةً اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر إذكانوا ينتهزون الفرصة ،للتخلص من حكم دولة أذلتهم فلعبوا دوراً مهماً في إنهاء هذه الدولة.

[١] إيفلين كلينكل، براندت، رحلة إلى بابل القديمة، تر: زهدي الداؤودي، ط١، دمشق ١٩٨٤- ص ١٠٩

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا العهد (الدولة البابلية الحديثة) يمكن اعتباره صحوة ما قبل الزوال، فعلى الرغم من المدة القصيرة التي انتعش فيها ،إلا أنه يعد من الحقب المجيدة في تاريخ بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم، بالإضافة إلى تفاصيل أخرى سنوردها في مجمل بحثنا الذي يحمل عنوان (بلاد بابل في عهد نابونيد).

الفصل الأول

شخصية نابونيد

أولاً: من هو نابونيد

ثانياً: استلامه السلطة

شخصية نابونيد

يعد عهد الملك نابونيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) حداً فاصلاً بين سيادة بابل في تاريخ الشرق الأدنى القديم وبين تحولها إلى إمارة تابعة للدول التي أخضعتها، فهو سادس ملك في الدولة الكلديّة (البابلية الثانية) وآخر ملك في حياتها التي استمرت تسعين عاماً.

أولاً – من هو نابونيد :

نابونيد أو نابونئيد هو اسم أكّادي يعني مبجل نابو (اله الحكمة في بلاد الرافدين)،،بينما يدعى عند الإغريق نابونيدوس. [١]

نابونيد آرامي من أصل حرّاني، أي من مدينة حرّان* مركز عبادة الإله سين (إله القمر)، وقد خرج منها مع والدته أدّا غوبي بعد سقوطها بيد التحالف الميدي- الكلدي ٦١٠ق.م، ومما يدل على ذلك ما ذكر في شاهدة حرّان التيُ سجل فيها السيرة الذاتية لوالدة نابونيد أدا غوبي (Ada-gubbi) ؛إذ ذكر في العمود الأول منها:

"**بينما في السنة السادسة عشرة من حكم نابو بولاصار ملك بابل، سين إله القمر مع مدينته ومعبده كانوا غاضبين وذهبوا إلى السماء، المدينة والناس (سكانها) دمروا بعد ذلك، وكان خروجي بلا ضجة، أنا أعلنت افتخار الآلهة، عظمة المدينة، عظمة الآلهة التي كانت محفورة في قلبي.)**".[٢]

وهنا تؤكد الشاهدة التي سجّلت السيرة الذاتية لأدّاغوبي، وكُتبت بإشراف ابنها نابونيد، أنّه بعد سقوط مدينة حرّان الآشوريّة ٦١٠ ق.م نتيجة الهجوم الميدي – الكلدي ،وبسبب الخراب والدمار الذي لحق بها، فإنّ الإله الحامي (الإله سين اله القمر) قد ترك مدينته غاضباً ،وذهب إلى السماء.كان هذا الاعتقاد سائداً في بلاد الرافدين في حال دمار أيّة مدينة، فالإله سيغادرها إما إلى

---

[١] مرعي، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص ١٤٤

*- حران: مدينة قديمة يعرف موقعها الحالي بالاسم نفسه، قرب منابع نهر البليخ، ويعني اسمها (Harranum) باللغة الأكادية، طريق، رحلة، قافلة، وتقع على بعد ٤٠ كم جنوب شرقي الرها (أورفة حالياً).انظر:مرعي،عيد،حران في تاريخ الشرق القديم ،مرجع سابق،ص٣

[2] Melville, S.C, Ancient near east, 2006, p 391.

السماء أو بحثاً عن شخص يستطيع إعادة الأمان للمدينة، لذلك ستبقى المدينة والناس يعانون من فقدان الأمان وعدم الاستقرار إلى أن يعود الإله لمدينته (معبده)، وهنا أعلنت أدّاغوبي بعد الخراب الذي حلّ بمدينة حرّان خرجت مع ابنها نابونيد ،وكان ذلك في السنة السادسة عشرة لحكم الملك الكلدي نابوبولاصار (٦٢٦-٦٠٥ ق.م) مؤكدةً أنها رغم تركها المدينة بقيت مخلصةً للإله سين، وهذا ما ظهر جلياً فيما بعد من خلال ممارسات ابنها نابونيد الذي أخذ عنها حبّ سين وتقديسه، وتجلى ذلك في محاولته إعلاء قدر سين ،وجعله الإله الرئيسي في الدولة الكلديّة بدلاً من مردوك إله بابل الأول ،فجرَّ عليه ذلك سخط الناس وكهنة مردوك.

أمّا والد نابونيد فيُدعى نابو-بلاطسوأقبي (Nabu-balatusu-igbi) المعلومات المتوافرة عنه قليلة ؛إذ أشارت إليه بعض النصوص المسمارية بلقب الأمير والحاكم، وهذا ما يدعو للاعتقاد أنّه قد يكون أحد شيوخ القبائل الآراميّة التي كانت منتشرة في بابل في تلك الفترة، وكان نابونيد يشير لأبيه (نابو-بلاطسو أقبي) بشكل متكررعلى أنّه أميرٌ حكيمٌ لذلك أُفترض أنّه لم يكن عضواً قريباً من العائلة الكلديّة ؛أي ليس من أصل ملكي، فيذكر نابونيد في أحد اسطواناته الطينيّة ذلك فيقول:

"**أنا نابونيد الملك العظيم، ملك العالم، ملك أركان العالم الأربعة وراعي ايساجيلا و ازيدا، الذي حظه سين وننجال بينما هو في رحم أمّه ومقدّراً له الملكيّة ابن نابو-بلاطسو أقبي، الأمير الحكيم الذي قدّس الآلهة العظيمة أنا أكون** ". [١]

أمّا والدته فتدعى كما ذكرنا سابقاً (أدّاغوبي) إحدى عابدات الإله سين في حرّان، وكاهنة في معبده، الأمر الذي يرجح كونها من العائلات النبيلة في حران ؛إذ إن منصب الكاهنة الكبرى لأي معبد كان مقتصراً في بلاد الرافدين والمناطق الخاضعة لها على بنات أوأخوات الملوك والأمراء، وهذا تقليد ثابت منذ أيام انخيدونا (Enheduanna) ،ابنة شاروكين مؤسس الإمبراطورية الأكادية، التي كانت أول من اعتلى هذا المنصب؛ إذ كانت كاهنة إله القمر سين واستمر هذا الأمر سُنّة في بلاد الرافدين؛ لذلك من المحتمل أن تكون أداغوبي من السلالات النبيلة في حران. وقد لعبت هذه السيدة دوراً كبيراً في التأثير على حياة الملك نابونيد، وسلوكه ،وحثّه على اتخاذ

(1) Harper, R.F, Assyrian and Babylonian literature, p 163.

قرارات هامة ولاسيما بعد وصوله إلى الحكم ،وترسيخ عبادة الإله سين إله القمر حيث تذكر في الشاهدة الجنائزيّة الخاصة بها :

"**أنا أدّاغوبي، ولدت نابونيد، ملك بابل، عابد، مقدس الإله سين، وننجال ونوسكو آلهتي بحثت عن ألوهيتها منذ الطفولة ولتقديس إلوهيتهم العظيمة أنا تمسكت بعروة قميصه (الإله سين) ملك الملوك ليلاً نهاراً بحثت عن إلوهيته العظيمة** ". [١]

وتؤكد أدا غوبي في هذا النص مدى تأثيرها على ابنها وغرسها عبادة الإله سين في قلبه واهتمام نابونيد بعبادة سين مع زوجته ننجال وإله النار نوسكو، وأنّها أي أدّاغوبي كانت قد قدّست تلك الآلهة منذ طفولتها.

وهي (كما ذكرنا سابقاً) كاهنة في معبد سين في حرّان وقد ذكر في شاهدة حرّان أنّها قدست الإله سين منذ ولادتها ،ومازالت مخلصة لعبادته على الرغم من تركها لمدينته حران إذ جاء في العمود الأول من الشاهدة:

"**في السنة العشرين من حكم آشور بانيبال ملك آشور، أنا ولدت، وحتى السنة الثانية والأربعين من حكم آشور بانيبال والسنة الثالثة من حكم آشور ايتل ألاني ابنه والسنة الحادية والعشرين من حكم نابو بولا صار والثالثة والأربعين من حكم نبوخذ نصّر والثانية من حكم إميل مردوك والرابعة من حكم نرجال شار أو صور في خمس وتسعين سنة، أنا قدّست الإله سين اله السموات والأرض و بحثت عن مكان ألوهيته العظيمة.** " [٢]

في هذا النص إشارة واضحة إلى أنّ أدّا غوبي إذا لم تكن إحدى كاهنات معبد الإله سين في حرّان فهي عابدة وزاهدة لهذا الإله ؛إذ تؤكد أنّها قدست الإله سين وبقيت مخلصةً له خمسٌ وتسعون عاماً امتدت منذ ولادتها سنة ٦٤٨ ق.م وهي السنة العشرون لحكم الملك الآشوري الكبير آشور بانيبال وإلى نهاية حكمه التي استمرت لاثنين وأربعين عاما" (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) ثمّ تعدّد بعد ذلك الملوك الآشوريين والبابليون الّذين خلفوه، وعاصرتهم، وسني حكمهم من ايتل ألاني بن آشور

(1) Beaulieu, P.A, Nabonidus the mad king, A reconsider of his steles from Harran and Babylon, p164

(2) Melville, S.C, op. cit, p 391.

بانيبال، الذي سقطت في عهده الدولة الآشورية، وظهور عهد جديد هو العهد الكلدي بقيادة نابوبولاصار ،الذي لعب دوراً مهماً في إنهاء الدولة الآشوريّة ثمّ جاء ابنه نبوخذ نصّر الثّاني الذي استمر حكمه ثلاثٌ وأربعون عاماً ويعدّ' باني الإمبراطورية الكلديّة، ومؤسسها، وأبرز ملوكها انتهاءً بالقائد العسكري نرجال شار أو صور،كما تذكر الشاهدة أنّه بعد سقوط مدينة حرّان سنة ٦١٠ ق.م واحدةٌ من أهم مراكز عبادة الإله سين خرجت أدّا غوبي مع ابنها نابونيد بعدما حلّ الخراب والدمار بالمدينة، وغادرها الإله غاضباً ممن تجرأ على مدينته ونهبها، وكذلك رفضت أداغوبي التزيّن والتّعطر حزناً على المدينة لترك الإله لها، وعاشت حياة التقشف كدليل على حزنها، وصّلّت كثيراً كي يعود الإله لمدينة حرّان؛ لأنّ بعودته سيعود الأمان والاستقرار وستستمر الحياة في المدينة دون انقطاع على اعتبار أنّ الإله الحامي عاد للمدينة ،لينشر الأمان والسعادة بين السكان الذين سيتمكنون بعد ذلك من إقامة طقوس عبادته في معبده.

"**أنا تمسكت بعروة قميص ملك الآلهة سين ليل نهار وعيناي كانتا معلقتان بوجهه للصلاة والتضرع له، و كنت ساجدةً أمامه، وهكذا أنا صليت يا ليت عودتك إلى المدينة تكون ممنوحةً إليّ بحيث النّاس أصحاب الشعور السوداء يمكن أن يقدسوا إلوهيتك العظيمة، ومن أجل اطمئنان قلب الإله و الآلهة ثوبٌ من الصوف الجميل والجواهر والفضة والذهب والعطور والزيت أنا لم أستخدم لجسدي لكن فقط ثوبٌ بسيط ممزق أنا لبسته** " ،وقولها هنا إنها تمسكت بعروة قميص الإله سين فربّما مردّه إلى عثورها على إحدى الأقمشة التي كانت تُقدم كنذور للإله بين أنقاض معبده في حران فضمته وأخذت تبكي كأنها بين يدي الإله سين تشكوا له ما حلّ بمدينته، وتستجديه ليعود إليها، وقد عاشت هذه السيدة حوالي مئة وأربع سنوات متمتعةً بصحةٍ وحالةٍ جيدة دون أن تعاني من أعراض الشيخوخة ،أو كبر السن، ومرد ذلك من وجهة نظر الشاهدة يعود للإله سين الذي منحها السعادة الأبديّة والصحة الدائمة مقابل الاحترام والتقديس الذي أظهرته له طوال فترة حياتها، لأنَّ الإله يبسط حمايته على الشخص الذي يعمل بمشيئته، ومن لا يحترم تلك المشيئة فإنه يثير حفيظة الإله، وبالتالي سوف يتخلى عنه،فقد ورد في العمود الثاني من الشاهدة إلى أنه:

"**من أيّام آشور بانيبال ملك آشور، حتى السنة التاسعة من حكم نابونيد ابني، مئة وأربع سنوات من السعادة والتبجيل التي سين اله الآلهة منحها إليّ، وجعلني سعيدةً ،وبصرُ عينيّ كان**

واضحاً، وأنا ممتازةٌ في التفكير ويداي وقدماي قويتين وكانت كلماتي منتقاة، اللحم والشراب يتوافق معي وجسدي وقلبي سعيد وقد عاصرت أربعة أجيال ". [١]

وقد توفيت هذه السيده في السنة التاسعة من حكم ابنها نابونيد ٥٤٧ ق.م الذي ذكر طقوس دفنها: "**الآن في السنة التاسعة من حكم نابونيد قدرها أنجز. نابونيد ملك بابل ابنها جسدها دفن، وبملابس بهيّة ،وعباءة لامعة ،وذهب ،ولمعان حجارةٍ جميلةٍ ،ونفيسةٍ وحجارةٍ كريمةٍ هو طيّبها ووضعها في مكان سرّيّ ،وذبح الأضاحي :الثور والخرفان، هو جمع الناس في بابل وبورسيبا والسكان القاطنين في الأماكن البعيدة والملوك والأمراء، الولاة من الحدود، من مصر في البحر الأعلى وحتّى البحر الأدنى جعلهم يأتون ،وأنجز طقوس الحزن والبكاء، و ألقوا الغبار على رؤوسهم سبعة أيام وسبع ليالٍ، وقطّعوا أنفسهم، خلعوا ملابسهم، الناس في كلّ الأراضي حلقوا شعورهم** ".(٢)

تشير الشاهدة هنا إلى طقوس معيّنة كانت متّبعةً في دفن الموتى كحلق شعر الرأس، وتقطيع الملابس، وإلقاء الغبار كدليلٍ على الحزن الشديد على المتوفى، وإنّ هذه الطقوس استمرت سبعة أيّامٍ بلياليها تعبيراً عن الحزن على والدة الملك ،الذي قام بكلّ طقوس الدفن من تطيّبيها وتجهيزها وتقديم القرابين المختلفة.ويبدو أنّ الحزن على وفاتها لم يقتصر على مدينة بابل بل جاوزهافعمّ أرجاء الدولة الكلدّية من البحر الأعلى (البحر المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج العربي) وهذا دليلٌ على المساحة الكبيرة الّتي شملتها هذه الدولة وعلى أنّ الجميع مارس طقوس الحزن على أمّ الملك.

وسنرى في الفقرات الّلاحقة أنّ هذه السيدة لعبت دوراً كبيراً في رسم شخصيّة نابونيد الدينيّة والسياسيّة وأثرت فيها من خلال تشجيعها له على تكريس عبادة الإله سين، واتخاذه الإله الأول في الدولة الكلديّة ومساعدته في تقلّد العديد من المناصب الإدارية والسياسيّة في الدولة الكلدية .

(1) Melville, S.C, op. cit,P392
(2) Ibid, p392

ثانياً – استلامه السلطة:

بعد سقوط المدن الآشوريّة :نينوى وحرّان ٦١٢-٦١٠ ق.م بيد التحالف الميدي – الكلّدي وجدت أدّا غوبي، التي خرجت مع ابنها نابونيد من حرّان ملجأً لهما في البلاط الكلّدي ؛إذ دخل نابونيد في خدمة الملوك الكلّدان الكبار :نابو بولا صار، نبوخذ نصّر الثاني، نرجال شار أو صور، ويعود الفضل بوصوله إليهم لوالدته أدّا غوبي التي حظيت على الكثير من المودة والنفوذ في شؤون القصر ،دون أن يدلل ذلك على أنها كانت عضواً في الحريم الملكي أو مسؤولةً في البلاط. وقد أشارت في سيرتها الذاتيّة إلى أنّ الملوك الكلدان اعتبروها ابنةً لهم، فتذكر الشاهدة في العمود الثّاني ما يلي:

" **في السنة الحادية والعشرين من نابو بولاصار ملك بابل، والثالثة والأربعين من نبوخذ نصّر بن نابو بولا صار، والسنة الرابعة من نرجال شار ملك بابل حينما مارسوا الملكيّة لمدة ثمانٍ وستين عاما" من كلّ قلبي أنا بجّلتهم (احترمتهم) جميعاً نابونيد ابني أمام نبوخذ نصّر بن نابو بولا صار، وأمام نرجال شار ملك بابل ،أنا جعلته (نابونيد) يقف أيّاماً وليالٍ، هو بقي معهم يقدم لهم السعادة والرضا، وينجز أعمالهم باستمرار، وكان اسمي يجعله (نابونيد) مرضياً بنظرهم ،ومثل ابنةٍ لهم رفعوا رأسي (مكانتي)** ". [1]

يبدو في هذا الجزء من النص أنّ هذه السيدة التي عاصرت تأسيس الدولة الكلّديّة استطاعت أن توجد لنفسها مكانةً مهمةً عند الملوك الكلدان الكبار ؛إذ اعتبروها ابنةً لهم، وهي بالمقابل أظهرت الكثير من التقدير، والتفاني من خلال احترام ملكهم وشخصهم، وكان لهذه المكانة دوراً كبيراً في جعل ابنها نابونيد يتقلّد مناصب مهمة في القصر، ويحصل على مراكز مرموقة، إذ تولّى العديد من المناصب الإدارية ،حيث كُلّف في عهد نبوخذ نصّر الثّاني (٦٠٤-٥٦٤) ق.م بمهمة حل الصراع بين المملكتين الليديّة و الميديّة سنة ٥٨٥ ق.م بعد أن دام نحو خمس سنوات أنهك فيها الطرفان دون حسم النتيجة لأيّ منهما، وقد أسفرت الوساطة عن حل الصراع سلميّاً بأن اتخذ نهر

---

[1] op.cit, p393

الهاليس (كيزيل أرماك حاليا") حدّاً فاصلاً بين المملكتين المتصارعتين وقد تحدث هيرودوت عن هذه المعاهدة انها تمت بوساطة شخص يدعى (لابينتوس). [١]

ويذكر كذلك أنّ نابونيد قد تزوج من ابنة الملك نبوخذ نصّر الثاني، وأنجب منها وريثه وولي عهده بيل شار أو صور،الذي جاء ذكره في العهد القديم باسم بيلشاصر الذي لعب دوراً مهماً في تسيير أمور الدولة خلال إقامة نابونيد في تيماء.[٢]

وقد ترتب على هذا الدور فيما بعد سياسات كان من نتائجها تسريع إنهاء إمبراطورية في بلاد الرافدين على يد الفرس ٥٣٩ ق.م.

فقد شهد البلاط الكلدي بعد وفاة نبوخذ نصّر الثاني ٥٦٤ق.م تدهوراً كبيراً من كل النواحي ولاسيما السياسية خاصةً؛ إذ تتالى على السلطة حكّام ضعاف لم يكونوا على مستوى الحكمة والقوة التي تمتع بها باني هذه الإمبراطورية (نبوخذ نصّر الثاني) ،كما أنّ الاضطرابات والقلاقل التي كان الكهنة يعمدون عليها، لإثبات وجودهم كان نبوخذ نصّر الثاني قد قمعها، وحدّ منها، ولكن بقدوم حكّام ضعاف إلى السلطة اشتد عود هذه الطبقة (طبقة الكهنة) وعمدت إلى التدخل في شؤون الحكم، وتدبير مؤامرات لاغتيال الحكام، أومساعدتهم على اعتلاء العرش، وكان كهنة (سين و شماش) في أور وسيبار ولارسا يطمحون إلى إعادة الأمجاد القديمة لمعابدهم أمام القوة المتصاعدة للإله مردوك؛إذ عمدوا إلى تدبير مؤامرة أدّت إلى اغتيال الملك الصغير لاباشي مردوك بن نرجال شار أو صور، وتنصيب رجل يثقون بأنه سيعلي من شانهم من خلال إعلاء شأن آلهتهم، والإله سين خاصة آخذين بعين الاعتبار الخلفية الدينية له من خلال تأثره بوالدته التي كانت (كما ذكرنا) من عبدة سين.[٣]

لذلك فإن وصول نابونيد إلى العرش، كان بسبب استحواذه على ثقة الجميع وكهنة سين وشماش خاصة".[٤]

---

[١] مرعي، عبد الله، مرجع سابق، ص ٤٠٠

[٢] روتن، مرجع سابق، ص ١٦٧

[٣] إيفيلين كلينكل، مرجع سابق، ص ١٩١

[4] Wiseman, D.J, Babylonia 605 -539 BC, Cambridge 2006, V111, Part2, P244

وربما كان ذلك؛لأنّه من أسرةٍ كهنوتيّةٍ أو يؤيدها الكهنة إضافةً إلى أصله الآرامي الحرّاني، أي أنه من مدينة حرّان مركز عبادة الإله سين، ومن المحتمل أن تكون هذه الأمور من أهم العوامل التي جعلت من نابونيد المرشح الأوّل لتسلّم العرش بين الفرق المتصارعة، و نابونيد لم يكن شاباً صغيراً عند اعتلائه العرش بل كان يبلغ الستين من عمره ، وقد اكتسب العديد من المهارات والقدرات السياسيّة من خلال المناصب التي تولاها في عهد أسلافه، ولكنّه كان يختلف عنهم ؛إذ عدّ قائداً دينياً، ومعلماً للحكمة أكثر من كونه قائداً عسكريّاً، أو سياسيّاً محنكاً،وهذا الذي كانت تحتاجه بابل في تلك المرحلة من حياتها ،وخاصة مع ظهور قوةٍ جديدةٍ على مسرح الأحداث متمثلة بالفرس الأخمينيين، ومن ورائهم قائدهم الطموح قورش الثاني، وكأي ملكٍ في بلاد الرافدين يصل إلى السلطة بطريقةٍ غير شرعيّة كان عليه أن يثبت شرعيّته، وينفي الاتهامات الموجهة إليه بأنّه مغتصب للعرش، وبما أنّه كان موظفاً كبيراً في البلاط الكلدي، فقد كان على اطلاع بالكتابات والنقوش التي تتناول الشخصيّة الملكيّة بكل تفاصيلها، فادعى أنّه الاختيار الشعبي، وخليفة (نبوخذ نصّرالثاني) ،و(نرجال شار أو صور)، وبعمله هذا إنما كان يتمثل بملوك الحضارات السابقة في بلاد الرافدين. [١]

ولمّا كان الطابع الديني هو الغالب على حياة سكان بلاد الرافدين فالاستعانة بالآلهة أمراً مهماً وضرورياً؛ لتثبيت الحكم لأيّ ملك على اعتبار أن سير الحياة، وتطور عناصرها مرتبط بشكل كبير بالدين ومقيد به، فنابونيد ادّعى في إحدى كتاباته أنّ الرؤى والآيات قد تتالت عليه لتنبئه بأنّه سيكون خليفة الملوك الأقوياء، وحامي إنجازاتهم فيقول: " **لاباشي مردوك الذي كان لا يزال ابناً صغيراً (لنرجال شار أو صور) نصّب نفسه ضد رغبة الآلهة..... أنا المنقذ الشرعي (لسياسة) نبوخذ نصّر و نرجال شار أو صور أسلافي الملوك، بينما أويل مردوك بن نبوخذ نصّر ولاباشي مردوك بن نرجال شار أو صور...** ".

وهنا باقي النص مفقود ولكن على ما يبدو أنّ كلا الملكين أويل مردوك ولاباشي مردوك بحسب سرد نابونيد جاءا ضدّ رغبة الآلهة؛ لذلك فإنها تخلت عنهما بعدم استمرار حكمهما، وأنّ نابونيد هو حامي العرش وانجازات الملوك الذين تمّ اختيارهم من قبل الآلهة، كما أنّ (نابونيد) عمد

[١] مرعي، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص ٣٠

إلى تسمية ملوك نينوى والآشوريين بأسلافه الملكيين، كما حمل بعض ألقابهم لذلك يعتبره بعض المؤرخين آشوريّا" من نسل آشور بانيبال. [١]

ولكي يؤكد أحقيته بالعرش، وأنه ليس بمغتصب له فقد ادعى أنّ الآلهة العظيمة هي التي اختارته؛ لينوب عنها في تسيير شؤون مدينتها؛ إذ وضعت تحت تصرفه كلّ فئات الشعب، وجعلته قائداً للجيش يأتمرون بأمره ويشير لذلك بإحدى اسطواناته الطينية:

" **عندما انقضت الأيّام هو ذهب بيد القدر ولاباشي مردوك ابنه الأصغر الذي لم يعرف كيف يحكم، وأخذ كرسي الملك ضد رغبة الآلهة و..... إلى القصر (؟) هم جلبوني وكلّهم وضعوا أنفسهم عند قدمي وقبلوها، مقدمين الشرعيّة لحكمي الملكي، وبأمر مردوك سيدي أنا أخترتُ إلى حكم هذه الأرض بينما هم صرخوا أب الأرض ليس له نظير. أنا الوريث الشرعي لنبوخذ نصّرالثاني، و نرجال شار أو صور، الملوك أسلافي ،جيوشهم تحت قيادتي، أنا لم أرفض أوامرهم، وأدخلت السرور إلى قلوبهم، إميل مردوك بن نبوخذ نصّر ولاباشي مردوك بن نرجال شار أو صور خالفوا أوامره، وصليت أنا دعيت لهم عند النجم الكبير والإله سين** ". [٢]

وعلى الرغم من تركيزه على عبادة الإله سين إلا أنّه أظهر احتراماً لمرودك(Marduk) كبير آلهة بابل وابنه نابو (Nabu)إله الحكمة الذي يعود له الأمر في تقديم صولجان العدل ،والذي يعد إشارة على قبول الحاكم وإعطائه الثقة الكاملة على أن ينشر العدل ويوسع حكمه لمناطق جديدة، وبما أن الإله هو الملك والمالك للمدينة فإنّه اختار نابونيد دون غيره لتسلم السلطة ولينفذ أوامره ويعلي من شانه ويقود شعبه،، ويرفع من شأن مدينته، ومكانتها وبذلك يكون قد قطع الطريق أمام الشكوك التي ستراود الناس أنّه مغتصب للعرش، وتجعل الخروج عليه كفراً قد يجزى فاعلها بخسران حياته. فيذكر بإحدى اسطواناته الطينية أنه:

"**أمام نابو الذي جعل حكمي دائم، وعبر عن وثوقه بي بإعطائي صولجان العدل مع عصا ثابتة لتوسع حدود المملكة، وبحثت عن كرسي الإلهة (غولا) التي منحتني الحياة الطويلة،و القضاء على الملوك، وأمام مردوك سيدي وافقت على كلماتي، ومردوك سيدي المبجل قد هدَّأ من**

---

[١] المرجع السابق، ص ٣١

[2] Harper, R.F, op.cit, p 160

غضبه، و سخطه ،و أنا مجدته بتقديم الصدقات، و إقامة الصلوات، و بحثت عن مكان إقامته، وأخبرته كلمات قلبي كالتالي أنا الملك المفضل إلى قلبك،وبينما الملكية بقلبك لا تجعلني مستعلياً بحيث لا أعرفك؛ و نظراً لأنك ملك الملوك وثقت بي أكثر من أيّ ملك آخر أنت ناديته". [١]

وهناك مصادر تعود لحكم نابونيد تؤكد اهتمامه بالأدب و المعرفة و الحكمة؛ إذ ادعى في كتاباته أنه أكثر معرفة من أدابا* نفسه، فتذكر إحدى النصوص:

" **هو وقف أمام الجموع وفخر بنفسه، أنا حكيم، أنا متعلم، أنا شاهدت الأشياء المخفية، على الرغم من أنني لم أعرف فن الكتابة لكني شاهدت أسرار المعرفة، الإله.....أظهرها لي في حلم و أطلعني على كل شيء. بالنسبة لسلسلة..... التي ألفها أدابا (Adapa)*، أنا..... بكل حكمة، هو خلط مابين الطقوس وأخطأ في تفسير التنبؤات** ". [٢]

وهنا يظهر نابونيد نفسه كسلطة دينية مطلقة في الدين والمراسم الدينية، لادعائة بأنه تخطى الحكمة التي أخذها (آدابا) من الإله أيا، وهذا تأكيد واضح على أن نابونيد كان رجلاً لاهوتياً أكثر منه سياسياً أو عسكرياً، ولكن لا يمكن الجزم بأنه صاحب شخصية ضعيفة غير قادرة على تسيير أمور الدولة أو قيادة الجيش، ولكن مارا فق فترة حكمه من أحداث (ربما يمكننا القول إنه السبب الرئيسي في أغلبها) جعل الأمور تخرج عن نطاق السيطرة، وتجعله غير مدرك للخطر الكبير الذي يهدد مدينته بابل، والذي سيتسبب في فقدانها لمكانتها في قيادة العالم القديم.

---

(1) Ibid, p 161

(2) Beaulieu, P.A, op.cit, p159.

*- آدابا: كاهن معبد أريدو، خلقه الإله ايا (انكي)، (سيد الأرض) كنموذج للإنسان ووظيفته كانت تأمين القوت لسيده وخالقه(ايا)، وملحمة آدابا كتبت في الألف الثاني قبل الميلاد، وتذكر الملحمة أنه في أحد الأيام وبينما كان آدابا يصيد عند الفجر وإذا بريح الجنوب (شوتو shutu)تهب بسرعة وكادت تغرق مركبه، فغضب ونطق بلعنة حطمت جناحها، ولم تهب مرة أخرى، و ريح الجنوب هامة جداً لجنوب العراق ووسطه لأهميتها في إنضاج التمر المحصول الرئيسي للمنطقة، و عندما سمع الإله أنو بفعلته أمر أن يحضر للمثول أمامه، فهرع الإله ايا لنجدة خادمه وقال له: ستلاقي دموزي ونينجيشزيدا الهي النبات والخصب يقفان على باب أنو فتتظاهر بالحزن أمامهما فسترضى عنك وتدافع عنك أمام انو كما أمره أن لا يأكل أو يشرب ما سيقدم له لأنه سيكون خبز الموت، وعندما دخل آدابا أمام انو وأظهر ندمه عفا عنه، وأمر بتقديم الطعام والشراب له إلا أن آدابا اتبع نصيحة سيده ورفض ما قدم له إلا أن ما قدم كان طعام شراب الخلود فغضب أنو وقال(: خذوه، وليعد إلى الأرض).وبذلك فقد الفرصة بالحياة الأبدية.انظر:مرعي،عيد،عبد الله،فيصل، مرجع سابق،ص١٣٧-١٣٨

الفصل الثاني

أعمال نابونيد

أولاً: الحياة الاقتصادية

١- الزراعة

٢- تربية الحيوان

٣- الحرف

٤- التجارة

أ – التجارة الداخلية

ب – وسائط النقل وطرق المواصلات

ج – التجارة الخارجية

ثانياً: الحياة الدينية

ثالثاً: أعمال نابونيد العسكرية

أعمال نابونيد

أولا: الحياة الاقتصادية:

اتسمت حضارة بلاد بابل منذ أقدم العصور بأنها حضارةٌ زراعيةٌ، بالإضافة إلى كونها حضارةً تجاريةً، اعتمدت على الطرق المائية في تسيير وتنظيم مختلف نواحي الحياة الاقتصادية، سواءٌ بين المدن البابلية بعضها مع بعض، وبينها وبين جيرانها. ثم إن تنظيم الشؤون الاقتصادية الداخلية والخارجية لبلاد بابل دفع عدداً كبيراً من ملوك هذه الحضارة إلى القيام بالحملات العسكرية، أو إقامة معاهدات، و بناء الحصون والقلاع ؛لضمان السيطرة على المواد الأولية التي تفتقر لها تلك البلاد، ولضمان سلامة طرق التجارة الخارجية التي تربطها مع جيرانها.

وقد كانت الدولة البابلية الحديثة(٦٢٦-٥٣٩ ق.م) وعاصمتها بابل سيدة الشرق بلا منازع، وذلك من خلال نشاطها التجاري الكبير ؛إذ لعب ملوكها دوراً كبيراً في تقويته وانتشاره في الكثير من مناطق العالم القديم، فضلاً عن النشاطات الكبيرة التي بُذلت في الناحية الزراعية من خلال فتح القنوات، وإيصالها إلى المناطق البعيدة عن الأنهار، مما جعل من بلاد بابل حضارة زراعية بالدرجة الأولى، اعتمدت الزراعة المروية القائمة على مياه الأنهاروالقنوات المائية. [١]

و على الرغم من الأهمية الزراعية لهذه المنطقة، إلا أنها كانت تفتقر إلى مواد أولية مهمة كالأخشاب والمعادن والحجارة (القاسية والنفيسة) [٢]، مما دفع حكامها لاستقدام هذه المواد من المناطق المجاورة لها، وهكذا نشأت العلاقات والمبادلات التجارة بين بلاد بابل، وما يجاورها من حضارات. وقد لعب نهرا دجلة والفرات، إضافة للقنوات المائية التي تمثل السبل الطبيعية للموصلات دوراً هاماً في معظم الصفقات التجارية، من خلال قوارب مائية اخترقت معظم مناطق سومر وأكاد، مما سهّل ذلك أن المدن البابلية الرئيسية (بابل –بورسيبا – أوروك...) كانت منتشرة على ضفاف الأنهار.[٣]

---

(1) Mieroop, M, V, D, The Ancient Mesopotamia City, Oxford 1997, p8
(2) Saggs, H.W.F, Everyday Life in Babylonia and Assyria, 1965, p11.
(3) Leick, G, The Babylonian world, p 225

١- الزراعة:

شكلت الزراعة أساس الحضارة البابلية، وعدت عصب الاقتصاد الذي كان قائما بالدرجة الأولى عليها، فبلاد بابل في عهد نابونيد (٥٥٥-٥٣٩ق.م) كما كل الحقب السابقة كانت مجتمعاً زراعياً اعتمد في معظمه على مياه الأنهار، والقنوات المائية التي انتشرت في معظم البلاد، حيث تركزت الزراعات المروية في السهل الطمي، وحول القنوات المائية، وفي دلتا الأنهار السبخية حيث انتشرت غابات القصب الكثيفة، وكان من أبرز الزراعات في بلاد بابل زراعة الحبوب، وفي مقدمتها الشعير الذي احتل مكانةً هامةً في حياة البابليين، فهو ليس مصدر غذاء للإنسان فحسب وإنما علفٌ للحيوانات كذلك، إضافةً لاستعمالاته الكثيرة كأجور على شكل حصص للعمال، أو للمقايضة في العمليات التجارية بالإضافة إلى دخوله في بعض الصناعات كصناعة الجعة والخبز. [١]

ففي وثيقة تعود إلى السنة الثانية من حكم الملك نابونيد (٥٥٤ق.م) تذكر بعض استخدامات الشعير: " **٢٠٠كور من الشعير والتمر عائدات بوابة إنانا(Enanna)،**

و (٢٧٠) كور من الشعير كانت عطاءات نظامية لصانعي البيرة و (٣٥٠) كور من الشعير عطاءات شهرية لعمال البيرة، و (٣١٠٧) كور عطاءات نظامية للخبازين، و (١٢) كور من الشعير كعلف للأغنام.... و (١٠٠) كور من الشعير أعلاف للمواشي، و(١٢) كور من الشعير كعلف لـ (٤٣٣) بطة.... علف للإوز... مؤن شعير... للموظفين..... للخبازين... للطبخ... للعمال المستأجرين... لأجرة الرعاة. " [٢]

كما زُرع السمسم والكتان والبقول، بالإضافة إلى بساتين النخيل التي احتلت مع الوقت المكانة الأولى في الزراعة في عهد الدولة البابلية الحديثة خاصة على حساب زراعة الحبوب، وكذلك زراعة الفواكه والخضار التي اعتمدت على مياه الأنهار والقنوات المائية، وقد استخدمت

(1) Roux, G, Ancient Iraq, Third Edition1992, p401
(2) Weisberg, D.B, Neo Babylonian texts in the Collection Oriental, 2003, Pp115-116

النباتات الآنفة الذكر في مجالات مختلفة، وهناك وثائق عديدة تشير إلى استخدامها كضرائب أو ديون فتذكر وثيقة أن " **السمسم من ضرائب بوابة (Enanna) نُقلت من أجل.....**" [١]

وفي نص يعود إلى السنة الأولى من حكم نابونيد ملك بابل (٥٥٥ ق.م) يؤكد أن السمسم من الموارد التي عملت الدولة على تخزينها في خزائنها: " **Sula- Samas – Sun – Ukin و Inninna – Zer- Usabi قد أخذا من خزينة الدولة (٧) كور و (٤) Sut و (٢) qa من السمسم و.... صناديق من الجلود للسلاح، وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر..... في سنة تنصيب (نابونيد) ملك بابل** ".

وفي نص أخر تمت الإشارة إلى استخدام التمر في الديون: "**....كور من التمر.. من مدينة (Samrranita) قد تم استدانتها من قبل... البساتنة..... (Bel- uball – Issu) المنحدر من (Inaittum) عندما عرضوها.....للبساتنة** " [٢]

وقد أظهرت الوثائق الاقتصادية العائدة للدولة البابلية الحديثة نوعاً من التخصص المناطقي في الزراعة؛ أي اهتمام كل منطقة بزراعة محددةٍ. فتذكر أرشيفات المدن الشمالية (بورسيبا و لارسا وبابل) أن أصحاب الأراضي في هذه المدن فضلوا زراعة بساتين النخيل على غيرها من المزروعات، وذلك على حساب زراعة الحبوب، أما في الجنوب في أوروك فقد احتلت الحبوب بجميع أنواعها المرتبة الأولى بينما تركزت زراعة النخيل على أطراف المدينة. [٣]

وأهم المالكين لهذه الأراضي كانت **المعابد** التي برزت خلال العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) كمؤسسة اقتصادية كبيرة لها أثرها الفعال في المجتمع من خلال امتلاكها اقطاعات زراعية ضخمة، وقيامها بالعمليات التجارية الواسعة، وبذلك لم تقتصر أهميتها على العبادة وأداء الطقوس الدينية، وإنما شملت جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد بابل.

---

(1)Weisberg, D.B,op.cit,p127

(2) Ibid, pp127-128

(3) leick, G, op.cit, p22 5

ففي إحدى الوثائق البابلية نجد أن: " **معبد الإيبابار (Eabbar) في شمال بابل ومعبد إنانا Enannaفي الجنوب امتلكا أغلب الحقول والبساتين في ضواحي هذه المدن.** " [١]

وكانت المعابد تحصل على هذه الأراضي إما عن طريق الهبات الملكية التي منحها الملوك كهدايا للمعابد، أو من خلال قيام بعض مالكي الأراضي بالتنازل عنها مقابل حصولهم على الحماية، أو إعفائهم من الضرائب، إضافة لقيام المعابد بمصادرة الأراضي من أصحابها غير القادرين على دفع الضرائب.

وبذلك امتدت ممتلكات المعابد حسب أرشيفات معبد (Enanna) عشتار في أوروك من:

" **مدينة أوروك في الجنوب حتى مشارف مدنية بابل في الشمال**". [٢].

هذه الممتلكات الضخمة جعلت من المعابد قوة اقتصادية كبيرة، هذه القوة مكنت كهنتها من توحيد أنفسهم اقتصادياً واجتماعياً، مكونين شريحة مستقلة عن الحكومة، تدارمن قبل مجلس الكهنة والإدارة العليا للمعبد وتتألف من (Shatammu)المدير ،ومحاسب حكومي(للقصر ،المعبد) [٣]، و(qipu)ممثل الملك[٤]، (Tupsharbit)رئيس الكتاب[٥]، و(Ummane)، و (nappkha) [٦] وهم أصحاب المهن الحترفين الذين عملوا في مهن متعددة كخبازين ونساجين وحدادين ونجارين..... الخ [٧]

بالإضافة إلى وجود أعدادٍ كبيرةٍ من العبيد الذين كان جلّهم من أسرى الحروب، أوممن يهدون للمعابد، وهؤلاء يقومون بمهام مختلفةٍ، فمنهم من يقوم بري الأراضي ،وزراعتها، وحراثتها ومنهم من يقوم برعي حيوانات المعابد، أوالاهتمام بالطيور والأسماك، في حين يختص جزء منهم بإعمال الحدادة والنجارة لإصلاح الأدوات الزراعية، وأساسات المعابد، وقدعمل جزء منهم إلى

---

(1) Ibid, p 226
(2) Dandamaev, M. A, Neo Babylonian Society and Economy, Volume 111, Part 2, Cambridge, 2006, p226
(3) CAD:S,Vol 18,part1,p 363
(4) CAD:Q,Vol 19,part 1,p289
(5) CAD:T,Vol 19,p415
(6) CAD:U,Vol 20,part 1,p422
(7) Roux, G, op.cit, p25

جانب العمال المستأجرين في إصلاح القنوات المائية لتبقى صالحة للملاحة والري، وهؤلاء العبيد لم يتلقوا أجراً لقاء عملهم، وإنما كانوا ينالون الطعام والحماية وهم يدعون (Shirku)•. [١]

وتذكر الوثائق أنه في حال موت أحد المسؤولين عن إدارة المعبد فإن مجلس الكهنة والإدارة العليا فيه يجتمعون للتشاور في تعيين بديلٍ عنه.

ففي وثيقة تعود لمعبد عشتار (Ishtar) في أوروك تذكر موت المسؤول عن العبيد القائمين بالأعمال الخاصة بالقصر الملكي:

" **Ninurta- sarru- usur المقيم في معبد عشتار تلكم إلى (Marduk- bel – sunu) مدير معبد إنانا، وإلى كاتب المعبد (Nabu- ahhe – bullit) أن المسؤول عن العبيد (Nabu- ban- ahi) قد مات فدعونا نعين (Nabu- bel – sunu) بن (Nabu- sumu – ukin) في منصب المسؤول عن العبيد القائمين بالأعمال الخاصة بالقصر الملكي، وبذلك فإن (Nabu- bel – sunu) و (Manaya – karabi) عليهم تنفيذ الشروط المفروضة بالعقد الذي كان مبرما من قبل (Nabu- ban- ahi) وعلى(Nabu- bel – sunu) تحمل مسؤولية تحديد الأعمال بينما (Manaya- karabi) يتحمل مسؤولية جمع الضرائب** ". [٢]

وقد أدت استقلالية المعابد إلى ظهور صراع، وتنافس اقتصادي كبير بين السلطة الحاكمة والكهنة، نتج عنه ظهور طرف اقتصادي ثالث تمثل بالعائلات التي برزت كقوة اقتصادية، مارست التجارة والزراعة من خلال المعابد والقصر، ثم استقلت عنهما، وأدارت ملكيات خاصة بها، وبرز ذلك جلياً في عهد الملك نابونيد الذي عمل بشكل كبير على تقليل سلطة المعابد، وتوزيع ممتلكاتها على موظفين شكلوا عائلات اقتصادية كبيرة فيما بعد، وتدل الوثائق أن أن المعابد لم يكن باستطاعتها إدارة ممتلكاتها الضخمة بنفسها، فاستعانت بمقاولين لاستثمارها، ثم تحول هؤلاء المقاولون إلى عائلات اقتصادية كبيرة ،كعائلة (Egibi) وهي من العائلات اليهودية التي كانت

• عبيد المعبد أنظر CAD:S,Vol 18,p367

(1) Saggs, H.W.F, op.cit, p93

(2) Beaulieu, P. A, Eannas, s contribution to the construction of the north palace at Babylon, 2004-2005, p57

تمتلك ثروة كبيرة في بابل، وعائلة أخرى من مدينة لارسا (Itti- samas- balatu) وابنه (Arad- samas) [١]، وقد مارست هذه العائلات جميع النشاطات الاقتصادية: الزراعية والتجارية،زمن الملك نابونيد؛إذ أنها استثمرت الأراضي، وقدمت القروض، وقامت بالمعاملات المصرفية، كما استطاعت السيطرة على شبكات مياه الري المقامة على الأنهار، والتحكم بها وذلك بعد أن كانت حكراً على السلطة الحاكمة بالإضافة إلى قيامها بنشاطات التجارة الداخلية والخارجية.

وقد لعبت القوى الاقتصادية الثلاث:المعابد والقصر و العائلات دوراً هاماً في ازدهار الاقتصاد خلال فترة حكم الملك نابونيد.[٢]

وكما ذكرنا سابقاً أن إدارة الممتلكات في المعابد كان يتم جزء منها من خلال العائلات،

والمزارعين الأحرار، الذين يعطون الحرية الكاملة للتصرف بالأرض مقابل أجر يتفق عليه مسبقاً، أو مقابل تأمين كمية معينة من المحاصيل التي سيتم زراعتها للمعابد.

ففي وثيقة تعود لمعبد إنانا في أوروك تتضمن قيام أحد الأشخاص باستثمار أرض تابعة للمعبد مقابل تأمين شعير وحنطة للمعبد المذكور.

" **(Itti- samas- balatu) بن (Ardiga) استثمر أرض لـ... وهو يجب أن يؤمن الشعير والحنطة والحمص وفقاً لمقاييس سيدة أوروك في شهر شيمانو في لارسا وكان هناك شهود على العقد: (Abu - Ahhe- usallim) بن (Iqisa) و (Innin- Tabni- Usur) بن (Mudammier- Gula)، أما كاتب العقد فهو (Innin- Zer- Usabsi)** ". وهنا تجدر الإشارة إلى أن قانون الدولة البابلية الحديثة قد أكد على ضرورة كتابة العقود سواءٌ أكانت بين مؤسسات وأشخاص أم بين الأشخاص أنفسهم، وذلك بحضور شهود لضمان سلامة العقد، ويجب أن يكتب العقد على نسختين يحتفظ كل طرف بنسخة؛ لإبرازها في حال إخلال أحد الطرفين بمضمون العقد.[٣]

---

(1) Beaulieu, P.A, NeoBabylonian Larsa, Apreliminary study Yale university, 1991, pp72-63

(2) Mieroop, M.V.D, op.cit, p17.

(3) Weisberg, D, B, op.cit, p59

وقد منحت المعابد الأرض لبعض الأشخاص من أجل حراثتها، واستثمارها، وهنا نص يذكر: "**٢ كور من الشعير مستثمر من قبل (Arad- Samas). وهذا الشعيرموصوف كملكية لعشتار كما يعمل (Itti- Samas- Balatu) على حراسة الحقل الذي يعد من ممتلكات معبد إنانا في أوروك**". (١)

ثم إن استثمار الأراضي أو شراءها وبيعها كان يختلف بحسب نوع الأرض من الناحية الزراعية (بعلية – مروية)، وبحسب نوعية الزراعة فيها. إذ إنّ مدة عقد إيجار الأرض البعلية المستثمرة سابقاً كانت سنة واحدة، أما البور منها فمدة عقدها ثلاث سنوات، ثم إن المستأجر لا يدفع لصاحب الأرض في السنة الأولى من العقد شيئاً، أما في السنة الثانية فيدفع جزء من الإيجار، وفي السنة الثالثة يدفع المستأجر جزءاً من المحصول المعتاد دفعه لتلك الأرض.

وقد اختلفت البساتين المروية، بإيجارها عن الحقول التي تعتمد على مياه الأمطار، فالبساتين التي تختص بزراعة الخضار والأشجار المثمرة، تم تحديد إيجارها بقانون حمورابي الذي بقي سائداً في بلاد بابل حتى نهاية الدولة البابلية الحديثة، فكان نصيب مالك البستان ثلثي المحصول عند الإثمار الكامل، وفي حال تدني مستوى الإنتاج؛بسبب إهمال البستاني المستأجر،فمن الواجب عليه دفع مايتناسب والغلة المعتادة للبستان، وقد اختلف تأجير بساتين النخيل عن غيرها؛ لأن بساتين النخيل تحتاج نحو ست سنوات ؛لتثمر بالإضافة، إلى حاجتها لعمالٍ ذوي الكفاءة، الأمر الذي يجعل مالك البستان على ثلث المحصول،في حين يحصل المستأجر على الثلثين الآخرين.

وكان إيجار الحقل يحدد مسبقاً في بعض الأحيان، ويعتمد فيه على الخصوبة المفترضة للأرض، والإيجار إما عينياً أو نقدياً، وغالباً ما كان يتم تأجير مساحات واسعة من أراضي المعابد لعائلات، ورجال أعمال يقومون بتأجيرها مرة أخرى لمستثمرين صغار. (٢)

وعند بيع أو شراء حقل ينبغي على كل من المشتري والبائع تسجيل العملية بعقد، وإشهاد شهود عليه؛ لضمان حقوق كلٍ من الطرفين، وعند إخلال أحد الطرفين بالعقد، عليه التعويض

(1) Beaulieu, P.A, op.cit, p71.
(2) Dandamaev, M.A, op.cit, p 255.

للآخر حسب القانون الخاص بالعقد، ففي وثيقة بيع حقل تعود إلى السنة الخامسة عشرة من حكم نابونيد (٥٤٠ ق.م) ذكر:

"أن (Balassu) بن (Bullutu) اشترى حقلاً من (Musallim- Marduk) بن (Nabu)- Zer- Lisir) من عائلة (Mudammiq- Adad) بثلاث ونصف مينا من الفضة، وثمن نصف الحقل هو ثلاثة وعشرون وثلث شيقلاً من الفضة متضمنة ثلاثة ونصف شيقلاً من الفضة كانت قد دفعت سابقا، وكان(Musallim- Marduk) بن (Nabu- Zer- Lisir)المنحدر من (Mudammiq- Adad) بائع الحقل. وقد تلقى من (Balassu) بن (Bullutu) ثلاثة ونصف مينا و ثلاثة ونصف شيقلا من الفضة البيضاء كسعر لكامل الحقل. وكلا الشخصين المشتري والبائع لم يكن لديهما أي اعتراض على مضمون العقد، وبذلك لا يحق لأي منهما تقديم أي ادعاء ضد الآخر،ولكن في حال قيام أي شخص في المستقبل من أخوة وأبناء عائلة البائع القريبين والبعيدين بتقديم ادعاء على هذه الملكية، بأنّه لم يتم بيعها، أو أن السعر لم يدفع، فهذا مخالف للعقد المسجل سابقاً من جانب البائع، وفي هذه الحال يجب على البائع أن يعوض على المشتري نتيجة الادعاء اثني عشر ضعف قيمة الحقل.

وشهود الوثيقة هم:

١- (Bel-Usur) بن (Nabu- Usallim) من عائلة (Qasti)

٢- (Samas- peru- Usur) بن (Apla) من عائلة(Nur- Adad)

٣- (Marduk- belili) بن (Nabu- ah- eres) من عائلة(Iddin- Marduk)

٤- (Bel- Usal) بن (Ina- Esagil- zer) من عائلة (Iddin- Marduk).

أما كاتب العقد فهو (Nabu-Muuammir) بن (Sa-Muhhiga).والعقد سُجل في مدينة بابل في... من شهر.. من السنة الخامسة عشرة من حكم نابونيد ملك بابل. [1]

(1) Weisberg, D.B, op.cit, p59

وفي وثيقة أخرى من أوروك، تشير إلى تأجير الأرض مقابل مبلغ عيني من قبل بيل شار أو صور بن نابونيد " **٥٠٠ كور من الشعير و ٣٠٠٠ رزمة من القصب إيجار تأجير حقل** ". [١]

إضافةإلى بيع واستئجار الأراضي، فقد قام ما يعرف بالشراكة الزراعية التي لعب فيها المقاولون والعائلات دوراً هاماً، وكانت مقابل حراثة الحقول والبساتين ففي العام الثامن من حكم نابونيد تذكرالوثيقة أنّ: " **عاملان لـ (Itti- Samas- Balatu) بن (Labasi) وعاملان آخران لـ(Nabu- Sarhi- Iti) بن ((Nergal- Ina- Tesi- Eter و (Sumu- Ukin) بن (Bel- IPus) سوف يروون قطعة من الأرض بشكل مشترك بواسطة الدلاء، كما أنهم سيكونون مسؤولين عن تحريك الثيران بالإضافة إلى الاهتمام بأدوات الري، وسيكون (Ukin - Sumu) مسؤولاً عن تأمين العمال الزراعيين أما (Itti- Samas- Balatu) سوف.....عاملين من قبله** ".

وكثيراً ما قامت الشراكات التجارية على مبادئ عديدة منها: استئجار الأرض، وإعادة تأجيرها إلى وكلاء أو عبيد بهدف حراثة الحقول والبساتين وريّها. أو تأسيس شراكات للاستفادة من إنتاج الأرض لاستثمارها في شراء أراضٍ جديدةٍ، أو تحويل الأراضي البعلية إلى أراضٍ مرويةٍ أكثر إنتاجية كزراعة بساتين التمر وغيرها. [٢]

٢- تربية الحيوان:

إلى جانب الزراعة انتشرت تربية الحيوانات، لأهميتها الكبيرة في الحياة اليومية للبابليين، فهي إضافةً إلى كونها مصدراً غذائياً، فقد أمنت مواداً مثل الصوف الذي كان المادة الرئيسية لإنتاج الصناعات النسيجية وغيرها.

فقد اعتمد البابليون على تربية المواشي وفي مقدمتها الأغنام التي كان لحملانها (الذكور) دورٌ هامٌ من خلال تقديمها كنذور وقرابين للآلهة، وقد انتشرت تربيتها في الجنوب أكثر من

(1) Dougharty, R.p, Records from Erech Time of Nabonidus (555-539BC), Yale Univercity, p12

(2) Jursa, M, Business Companies in Babylonia in the first MillenniumBc, Univercity of Vienna, p60-66

الشمال، ففي وثيقة تعود لمعبد إنانا في أوروك تذكر أن المعبد امتلك: " ٥-٧ آلاف رأس ماعز ١٠٠-١٥٠ ألف رأس غنم".[١]

بالإضافة إلى تربية الأغنام والماعز، انتشرت تربية الأبقار والأسماك والطيور بأنواعها (البط و الإوز....). كذلك تربي الجمال والحمير التي استخدمت بشكل كبير؛ لنقل البضائع ؛إذ تذكر إحدى الوثائق تقديم حصص من الشعير لبعض الحيوانات: " ١٢ كور من الشعير كعلف للأغنام و.... علف للأوز... من الشعير كعلف ل (٤٣٣) بطة " [٢]

ثم إن هذه الحيوانات تمّ تأجيرها ،لأن بعضها كان مملوكاً من قبل عائلات عملت على تأجيرها، ولاسيما الأغنام والثيران والحمير، وكانت تؤجر إما لنقل البضائع أو حراثة الحقول أو للاستفادة من صوفها مقابل مبالغ عينية أو نقدية.

وكانت هذه العائلات تقوم بإعطاء قطعانها لأشخاص ليهتموا بها وبتربيتها كما تسرد إحدى الوثائق " (Itti- Samas- Biulitu) امتلك قطعان من الأغنام قام بإعطائها لمتعهد من أجل رعايتها ". [٣]

وكان إيجار هذه الحيوانات وبيعها وشراؤها يخضع لعقد بين طرفين،و يقوم على حصة من الولادات أو الصوف مقابل أجور نقدية يحددها صاحب المواشي من المستأجر، وفي حال استئجار قطيع كامل (أغنام – ماعز – أبقار...الخ) فهنا يتقاسم المستأجر مع المالك الفوائد الناتجة عن زيادة عدد القطيع خلال فترة الإيجار، فتذكر إحدى الوثائق استئجار ثور للحراثة مقابل مبلغ نقدي يدفع نصفه مسبقاً، والنصف الثاني في نهاية العقد: "استئجار ثور للحراثة لمدة شهر واحد بقيمة واحد شيقل منها نصف شيقل يدفع مقدماً". [٤]

---

(1) Lick, G, op.cit, p228
(2) Weisberg, D.B, op.cit, p115
(3) Beaulieu, P.A, op.cit, p59
(4) Jastrow.M, civilization of Babylonia and Assyria, University of Georgia, p353

٣- الحرف:

مارست الدولة البابلية الحديثة نشاطات اقتصادية كثيرة لا تقل أهمية عن الزراعة وتربية الحيوان،مثل الحرف، وبعض الصناعات التي اعتمدت بشكل أو بآخر على الزراعة والثروة الحيوانية إضافة إلى المواد المستوردة التي تفتقر لها بلاد بابل.

وقد نشأت هذه الحرف وتطورت في كنف المعابد؛ بسبب الحاجة إلى تأمين مستلزمات الآلهة من طعام وشراب وثياب وحلي وأوانٍ لتقديم القرابين..... الخ.

الأمر الذي جعل من هذه الصناعات جزءاً لا يتجزأ من نشاطات المعابد، وبسبب التقاليد المتبعة في تقديم أفضل الصناعات :الغذائية والحرفية للآلهة، عمدت المعابد في حال عجزها عن ذلك إلى الاستعانة بأشخاص مهرة قادرين على تقديم أفضل ما يمكن تقديمه للآلهة. (١)

هذا الأمر أدى فيما بعد وخاصة في عهد الملك نابونيد إلى تشكيل عائلات متخصصة ارتبطت أسماؤها بتلك الحرف كعائلة الحدادين، وعائلة النساجين، وعائلة النجارين..... الخ.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أفراد تلك العائلات كانوا غير ملزمين باتباع حرفة عائلاتهم، مما دفع بعض الأشخاص إلى تعليم عبيدهم حرفة ما ،والسماح لهم بفتح ورشات عمل مقابل قيام العبد بصرف تعويض نقدي لسيده يتفق عليه بينهما. (٢)

وقد انتشرت الحرف بشكل واسع في جميع أنحاء الدولة البابلية الحديثة وخاصة في المدن؛ لتوافر المستلزمات الأولية اللازمة للصناعة ،من مواد زراعية وحيوانية ومواد مستوردة عمد القصر والمعابد والعائلات إلى تأمينها بشكل كبير، إضافة إلى إمكانية تصريف هذه المنتجات داخلياً أو تصديرها خارجياً.(٣)

---

(1) WaerZeggers, C. The Babylonian Priesthood in the Long Sixth Century BC, Institute of classical studies University of London 2011, p 67

(٢) دياكوف، ف، كوفاليف، س، الحضارات القديمة، ج ١، تر: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق ٢٠٠٠، ص ١٩٤.

(3) Mieroop, M.V.D, op. cit, p 182

ومن أهم الصناعات والحرف التي انتشرت بشكل كبير حرفة الحدادة والنجارة، وصناعة النسيج والحلي والفخار والسلال... الخ.

كل هذه الصناعات كان لها أهميتها في حياة البابليين،فعلى سبيل المثال : كانت صناعة الفخار مهمةً من أجل تأمين الأواني اللازمة ،لحفظ الأغذية ،والتمور والخمور والزيت وبعض الأطعمة..... الخ.

أما أهميتها الكبرى فكانت من خلال صناعة الألواح الطينية (الرقم) من أجل الكتابة، وقد انتشرت صناعة السلال والحصر من شتى أنواع قصب المستنقعات المنتشرة بكثرة في بلاد بابل، بالإضافة إلى مهنة (صانع الأختام) التي جاءت أهميتها من كونها تحفظ العقود بأسماء أصحابها، وغالباً ما حملت هذه الأختام رموزاً وأشكالاً مختلفةً، مثل رسم لأسطورة معينة تمثل مشهداً ديناً يختاره المشتري ،ويتم حفر اسمه على الختم أو يستخدم ختماً يحمل اسم الملك وولي عهده دون وجود أيّ مشهدٍ أو صورةٍ على الختم. [١]

الصناعات القائمه على المنتجات النباتية والحيوانية:

وكذلك من الصناعات البابلية المهمة صناعة النسيج التي اعتمدت على الصوف والكتان، فظهرت الأقمشة المصبوغة بالألوان :الأرجواني و الأحمر والأخضر والأبيض، كما تم إضافة المواد العطرية إلى تلك الملابس، ففي وثيقة تعود إلى السنة الثالثة من حكم الملك نابونيد (٥٥٣ق.م) ذكر قيام النساجين بتقديم خمس ستائر سنوياً لغرفة الإلهة إنانا (Enanna) في أوروك: " (Enna– sumu– ibni) سيسلم سنوياً إلى معبد إنانا خمس ستائر و ينص العقد على تقديم ثلاث ستائر في منتصف السنة واثنين في آخر السنة، وسيقوم بجميع الإصلاحات التي تخص الستائر في غرفة الإلهة. الشهود: (Nadin– Bel– ahhe– iqisa) من عائلة (Egibi). والشاهد (Innin– zeru– usabsi) من عائلة (Balassu) وكاتب العقد (Nabu– tabni–

[١] روتن، مرجع سابق ، ص ٧١.

usur) من عائلة (Nabu– Balassu – iqbi) أورك في اليوم الحادي والعشرين من شهر.... السنة الثالثة من حكم الملك نابونيد." [١]

وفي وثيقة أخرى يذكر تسليم جزءٍ من الصوف المصبوغ باللون الأرجواني لمعبد إنانا: "Innin– sumu– usur تلقى ستة مينا من أجل الصوف الأرجواني من(Nurea بن Gimillu من عائلة Isparn) وهو سوف يتحمل مسؤولية إدخال الصوف الأرجواني لمعبد إنانا".[٢]

كما انتشرت صناعة الجعة (جعة الشعير والتمر) بشكل كبير، و جعة التمر خاصة التي حلت محل جعة الشعير، وذلك في عهد الدولة البابلية الحديثة، ومرد ذلك إلى زيادة مساحة الأراضي المزروعة بشجرة النخيل على حساب زراعة الشعير، وقد اقتصرت هذه الصناعة على الأغنياء من الكهنة، والأسرة الحاكمة، والعائلات النافذة؛ وذلك بسبب حاجة هذه الصناعة لمواد خاصة كالجرار الضخمة والمخازن الخاصة. و عمدت العائلات البابلية النافذة إلى تشكيل ورشات عمل تدار من قبل النساء العبيد، وهنا يمكن القول إنّ العائلات النافذة التي برزت كقوة اقتصادية كبيرة، عمدت إلى إيجاد وسائل مختلفة لاستثمار الفائض من الإنتاج الزراعي، وتزويد التجارة بسلع جديدة.[٣]ومن الصناعات التي عرفتها الدولة البابلية ،صناعة استخراج الزيوت وخاصة من السمسم لافتقار بلاد بابل لشجرة الزيتون.

وهناك حرف قامت على الموارد المستورده مثل صناعة الحلي بجميع أشكالها؛إذ تذكر الكثير من الوثائق العائدة للمعابد احتفاظها بعدد كبير من صانعي الحلي، لتأمين مستلزمات الآلهة، كما أن المعابد كانت تقوم بتوزيع الذهب للحرفيين التابعين لها، فتذكر الوثائق أن " **معبد الإيبابار (Eabbar) في سيبار احتفظ بعدد من صانعي الحلي، لإصلاح مقتنيات الإله شمش (shamash).**" **وفي وثيقة أخرى جاء: " تم توزيع معادن نفيسة لصانعي الذهب من أجل مجوهرات (Aya)* السيدة الإلهية للإيبابار.**" [٤]

---

(1) Paune, E.E, The craftsmen of the Neo- Babylonian period: A study of the textile and metal workers of the Enanna temple, 2008, p103

(2) Ibid, p 132

(3) Jursa, M, Business companies in Babylonian in the first millennium, p 63

(4) Beaulieu, P, A, Neo Babylonian Larsa A preliminary study, p59

وقد أظهرت التنقيبات الأثرية وجود أماكن خاصة بالحرف في مختلف المدن البابلية، فنينوى مثلاً امتلكت بجوارها أماكن خاصة بصناعة الذهب، بينما امتلكت بابل أسواقاً خاصةً بالصباغة، أما نيبور فقد عثر بجوارها على مراكز خاصة بصناعة الفخار. وقد اعتمد الحرفيين بشكل عام في البداية على القصر والمعابد، لتأمين المواد الأولية اللازمة للصناعات وقد تم الإشراف عليهم من قبل (qupi)، [١] وقد حصلوا على أجورهم من المعابد على شكل حصص مما أنتجوه، فتذكر أحد الوثائق العائدة للسنة الأولى من حكم نابونيد أن " صانعي الجعه في معبد إنانا سوف يقدمون ثلاثة أرباع إنتاج الجعه من الشعير للمعبد، أما الربع المتبقي فهو أجرهم من العمل، وكذلك الأمر بالنسبة للخبازين الذين سيقدمون ثلاثة أرباع الخبز المنتج من الشعير، ويحصلون على الربع كأجر لهم، أمّا النساجون سيقدمون ثلث الصوف للمعبد في حين أن النسيج المصبوغ يجب تقديمه بالكامل للمعبد، وما قيمته واحد مينا من العمل المنجز الذي هو نصف مينا من الصوف الأحمر ونصف مينا من الصوف الأرجواني سيكون دخل النساجين. [٢]

كما كان الحرفيون يسافرون من مكان لآخر للحصول على المواد الأولية للصناعة من معادن و ذهب و حجارة.... الخ.

وكانت التجارة المصدر الوحيد لتأمين هذه المواد، وغالباً ما أرسلت المعابد حرفييها إلى مدن أخرى ؛لتأمين مستلزماتها من المواد الأولية، فمثلاً "**معبد الإيبابار أرسل صانعي المجوهرات إلى بابل ،لشراء الذهب** " [٣] ، كما أن الحرفيين كانوا ينتقلون من مدينة لأخرى تحت إشراف المعابد أو بمبادرات شخصية لتأمين أعمالهم.

وقد عمل الحرفيون بعقود طويلة الأمد، أو لفترة محدودة مقابل أجور نقدية أو عينية ،فتذكر إحدى الوثائق " **صانع المجوهرات (Nanaga- iddin) من عائلة (Innin- ahhe- iddin) كان رجلاً حراً تلقى حصصاً من الشعير كأجر على عمله.** " **كما أن قسماً من الحرفيين قاموا**

* Aya: زوجة إله الشمس (Shamash) وهي مرتبطة بالضوء والخصوبة.انظر:ادزارد،معجم الآلهة والأساطير،تر:محمد وحيد خياطة،ص٧٣.

(1) Meiroop, M. V. D, op.cit, pp 181, 185

(2) Payne, E. E,op,cit, p148

(3) op.cit, p58

بأعمالهم خارج مدنهم، هرباً من تسلط المعابد و كان أغلبهم من (Shirku) وهم عبيد المعبد الذين عملوا بالحرف،ولا بد من الإشارة إلى أن الحرفيين بشكل عام قد حظيوا بمكانة مرموقة في المجتمع البابلي. [١]

٤- التجارة:

شغلت التجارة بنوعيها: الخارجية والداخلية حيزاً هاماً في الاقتصاد البابلي الذي كان قائماً بالدرجة الأولى على الإنتاج الزراعي، والثروة الحيوانية،**إلا** أنه افتقر إلى المواد الضرورية للتطور كالمعادن والأخشاب القاسية والحجارة الصلبة... الخ [٢]

وقد شملت التجارة مختلف أنواع الرهون و القروض والضرائب فضلاً عن عمليات الاستيراد والتصدير من بلاد بابل وإليها.

أ- التجارة الداخلية:

أكدت قوانين الدولة البابلية الحديثة على العقود المكتوبة في عمليات البيع والشراء، باستثناء المعاملات التجارية البسيطة مثل المؤن الغذائية القابلة للتلف السريع. [٣]

أما المعاملات الخاضعة لكتابة العقود فهي التي تتعلق بإنهاء صفقة أو بيع وشراء (بيت، حقل، مزرعة، عبد..)، أو تحصيل دين أو... الخ.

ولكتابة أي عقد بين البائع والمشتري أو الدائن و المدين، كان لا بد من إحضار شهود ،يبلغ عددهم من ثلاثة إلى عشرة شهود عادةً بحسب العقد المبرم، ويجب كتابة العقد على نسختين، يحتفظ كل طرف بنسخة، لإبرازها في حال إخلال أحد الطرفين بمضمون العقد، كما تم التأكيد على تثبيت الرهون بعقود خولت للدائن استغلال الرهن لصالحه في حالتين: الأولى: الملكية التي تعلن أنها ضمانة لقرض؛إذ يحق للدائن استحواذ الملكية المرهونة في حال عدم إيفاء الدين.

الثانية: يحق الدائن استغلال الرهن لمصلحته إلى أن يتم سداد الدين. [٤]

---

(1) Meiroop, M. V. D, op.cit p182
(2) Saggs, H.W.F, op.cit, p11
(3) Jursa, M, Business companies in Babylonia in the first millennium BC, op. cit, p76
(4) Dandamaev, M, A, op.cit, p258

أما فكاك الرهن فقد وضحته عدة عقود تعود إلى السنة التاسعة من حكم الملك نابونيد (٥٤٧ق.م) ،فيذكر أحد العقود: " **استدان (Nabu- tulta- bas- lasar) خمسة وثلاثين شيقلا من الفضة من السيدة (ban- nutu) وأعطاها أمة كرهينة، ولما كانت (ban- nutu) وزوجها بحاجة لمالهما، فإنهما طلبا (Innin – Esagil- balatu) قرضاً وقدره ثلاثون شيقلا من الفضة وسلماه الأمة وباع (Nabu- tulta- bas- lasar) ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة إلى (Addin- Marduk) مقابل اثنين مينا وخمسين شيقلا، وفي الحادي عشر من آذار طلب (Addin- Marduk) من مموله أن يدفع خمسة وثلاثين شيقلاً لـ (ban- nutu)، وهي بدورها خلصت الأمة، بأن سددت دينها إلى (Innin – Esagil- balatu) وفي الخامس عشر من آذار تسلم (Nabu- tulta- bas- lasar) باقي ثمن الدفع، ثم أعطى مخالصة كاملة من المبلغ بعدما أعاد إليه وكيل الأعمال لوحة القرض الذي أخذه من السيدة (ban- nutu)**". (١)

وفي عقود أخرى نرى أنه لا يحق للدائن أن يعرض الرهن على أي شخص قبل انتهاء أجل الدين، ففي عقد يعود إلى السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد (٥٤٠ق.م) ذكر:

"**أن (Nabu- balatu- aqbi) استعار نصف مينا من الفضة من (Ja- ma- lilu) بفائدة قدرها ٢٠%، ونص العقد على (لا يحق لأي دائن آخر في هذا البيت حتى يتم سداد الدين)**".[٢]

إضافة لذلك فإن الرهن لم يكن يحول إلى المقرض، إلا بعد أن تصدر المحكمة أمراً بذلك كما أنه لا يحق للدائن بيع المدين للعبودية. [٣]

أما إذا اقترض الشخص عدة قروض متتالية من نفس المقرض فعلى الأخير أن يذكر جميع القروض تلافياً للخلط بينها، فيذكر أحد العقود:

---

[١] ديلابورت، ل، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ص ١١٨

[٢] ديلايورت ، مرجع السابق، ص ١١٨

[3] Dandamev, M. A, op, cit, p259

" أعطى (Addin- Marduk) قرضاً ل (Nabu- ahh- iddin) قدره نصف مينا في التاسع من سيوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد وكتب فيه (أموال أخرى يسلمها (Nabu- ahh- iddin) وفي العام التالي في ٢٤ نسيان أعطاه ٥/٤ المينا ٤ و ٢/٥ من الفضة، وذكر أنه كان هناك سلف أخرى دون إغفال ذكر فوائدها، في التاسع من كيسيلو أعطاه ٤٥ كور من الشعير بفائدة ٢٠%، وفي هذه المرة أشار المقرض إلى أن هناك قروض سابقة)". [١]

أما معظم عمليات البيع والشراء أو الاستئجار فقد تم فيها اتباع قانون حمورابي الذي بقي سائداً خلال الحقب البابلية كافةً، فاستئجار البيت كان يختلف تبعاً لموقعه وحجمه، أما قيمة إيجاره فكان من ثلثي الشيقل الواحد إلى ٦ شيقلاً سنوياً، وفترة الإيجار سنة واحدة أو ستة أشهر، والأضرار التي تحدث خلال فترة الإيجار يقع إصلاحها على عاتق المستأجر. وكان هذا الأمر سارياً في حال استئجار قارب أو سفينة.... الخ. وكانت الأجرة المتفق عليها بين البائع والمشتري تدفع في نهاية فترة الإيجار، وليس في بدايته وفي بعض الحالات كان يتم دفع نسبة من الإيجار تصل إلى ٥٠% من قيمة الإيجار. [٢]

وقد أظهرت الدراسات أن عقود البيع والإيجار بكافة أنواعها، شهدت زيادةً ملحوظةً في السعر بين بداية الدولة البابلية الحديثة، و الفترة المتأخرة منها، " مثلاً كان واحد شيقلاً من الفضة في عهد الملك نبوخذ نصر (٦٠٤-٥٦٣ ق.م) تشتري من ١ إلى ٤ (qa) من الأراضي الزراعية، بينما تشتري فقط من ١ إلى ٢ (qa) أثناء حكم الملك نابونيد (٥٥٥ -٥٣٩ ق.م)، وفي مثال آخر كان العبد الذكر يكلف ٤٠ شيقلا من الفضة في سنة (٦٠٠ ق.م) بينما يكلف (٥٠) شيقلا في سنة (٥٥٠ ق.م)، وكانت الزيادة ملحوظة على المؤن الغذائية والملابس والحاجات اليومية. [٣]

وقد يكون مرد هذا الاختلاف إلى عدة أسباب، منها: عدم الاستقرار السياسي الذي حدث بعد وفاة نبوخذ نصر، و الجفاف الذي تذكر عدة وثائق أنه حصل في السنة (٥٤٣ ق.م) من حكم نابونيد، إضافة إلى ظهور الدولة الإخمينية، وسيطرتها على عدة طرق تجارية ولاسيما القادمة من

---

[١] ديلايورت، مرجع سابق، ص ١٣٣

[2] Jastraw, M, Civilizalion of Babylonia & Assyria, university of Georgia, P348

[3] Roux, G, op.cit, , p 403

الشرق ، مما أدى إلى فقد الدولة البابلية الحديثة واردات تلك المنطقة، ومن العقود التي حرصت الدولة البابلية الحديثة على تثبيتها بشدة، تلك العقودالتي تتعلق بشراء العبيد وبيعهم. فكان يتوجب عند اشتراء العبد أن يسلم معه ضمانة ضد الهرب، و المرض، و ضد المطالبة بحق عليه من قبل (Aradu-sharrutu)[١] و (Marbananutu)[٢]، وكان المشتري يحصن نفسه قدر الإمكان مما يمكن أن يحدث من مطالبات بالعبد من خلال اتخاذ مالكه السابق، وورثته كشهود أثناء إتمام صفقة شرائه، وهذه وثيقة تؤكد اهتمام الدولة البابلية الحديثة بكتابة عقود شراء العبيد تعود إلى السنة السابعة من حكم نابونيد (٥٤٩ق.م) ، "**استند أحد العبيد ويدعى (Bregel) إلى امتياز (Marbananutu) وقام بالدعوى ضد رجل الأعمال (Enna- Marduk- balatu) الذي اشتراه في العام السابع من حكم نابونيد (٥٤٩ ق.م) وعرض الأمر على المحكمة، وتبين بعد التدقيق أن العبد بيع في العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخد نصر بمقدار ٢٨شيقلا من الفضة إلى (Ahh- nura)، وأصبح بعد أربع سنوات من عبيد المرأة (gaga)، ثم أعطي رهينة لقرض قدره (٢٠) شيقلاً، وبعد فترة أصبح في بائنة(Nobtu) ابنة (gaga)، وانتقل عن طريق التبادل إلى يدي ابن زوج (Nobtu) ،الذي عرضه مرة أخرى في السوق، وقد جمعت اللوحات التي تتصل بظروفه، وتم عرضها على المحكمة التي أعلنت أن لا حق لهذا العبد بالانتفاع بمزايا (Marbananutu).**" [٣]

وكما ذكرنا سابقاً فأن الدور الريادي من الناحية الاقتصادية يعود إلى المعابد، فبالإضافة لامتلاكها الاقطاعات الزراعية الضخمة، فقد كانت من أكبر تجار بلاد بابل وأكثرهم ثراء ونفوذاً؛ إذ أسهمت بشكل كبير في ازدهار الاقتصاد من خلال بيعها للسلع الموجودة في مخازن المعابد، و بما كانت تقدمه من قروض وأعمال تجارية وصفقات، بالإضافة إلى الضرائب التي تجبى من السكان، بما فيهم الملك الذي كان عليه دفع الضريبة العشرية للمعبد. فتذكر إحدى الوثائق قيام بل شار أوصور بن الملك نابونيد " **بدفع العشرية المفروضة عليه عن الأغنام التي كانت تحت**

---

[٢] Aradu-sharrutu: وهي الخدمة الملكية .انظر:CAD:A,vol 1,p21

(٣) Marbananutu: تخص حالة الشخص الذي يرجع أصله إلى رجل حر أو محرر يوما ما.انظر : CDA:M,vol11,p199

[٣] ديلابورت، مرجع سابق، ص ١٢٥

رعايته لمعبد أوروك."[١] كما عمد الأغنياء والفقراء على حد سواء إلى تخصيص جزء من مكاسبهم للمعابد لاعتقادهم أن الآلهة ستكون سعيدة ،تقف إلى جانبهم وتساندهم، وقد عمدت المعابد إلى تعيين موظفين لجمع الضرائب، فتذكر إحدى الوثائق العائدة لمعبد أوروك:

"**تم تعيين (Sam–ut) بن (Bel – zer) لمهمة جمع الضرائب العائدة لمعبد أوروك، وأعطي الشروط الواجب اتخاذها لجمع الضرائب.**" [٢]

وكانت هذه المكاسب تصل إلى المعابد بالفضة أو الذهب أوالنحاس أوالـلازورد أوالأخشاب الثمينة إضافة إلى المنتجات الزراعية (شعير – سمسم –تمر.. الخ)، فضلاً عن الأضاحي التي كانت تقدم بكميات كبيرة إلى المعابد. [٣]

كما قامت المعابد بتأجير عدد من عبيدها لرجال أعمال مقابل مبالغ عينية، أو نقدية لتسخيرهم في حرف لا حصر لها، كل هذه الأمور الأنفة الذكر دفعت المعابد إلى تحويل أموالها وثرواتها إلى رأس مال منتج أو مستثمر؛ مما جعلها من أكثر رجال الأعمال ثراء، سواء من الناحيتين الزراعية والتجارية، بالإضافة مكانتها الدينية؛ ففي إحدى الوثائق العائدة لمعبد أورك، ذكرت بعض ممتلكات المعبد من الذهب " **٧٠٣ نجمات ذهب تعطى من أجل التزيين** " [٤]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المعابد لم تكن باستطاعتها إنتاج كميات كافية من السلع الأساسية بالاعتماد على ملكياتها الخاصة؛ لذلك اعتمدت على غيرها من المعابد، فنشأت المبادلات التجارية فيما بينها، وتذكر بعض الوثائق قيام علاقات تبادل بين معبدي (Eanna) في أوروك ومعبد (Shamash) في لارسا، فالأخير كان لديه نقصٌ بعدد الحيوانات، وخاصة الأغنام من أجل الأضحيات للآلهة، التي غالباً ماكانت تتطلب أعداداً كبيرةً من الحيوانات، فتذكر إحدى الوثائق من أوروك أنه تم " إرسال المؤن الغذائية وحيوانات الأضاحي (حملان الأغنام) من أجل الاحتفالات الدينية وإرسال الصوف؛ لأجل ثياب الإله (Shamash). " [٥]

---

(1) Dougaherty, R, Ph, Records from Erech time of Nabonidus (555-539BC), p12
(2) Ibid, p11
(3) Roux, G, op.cit, p401
(4) Dougaherty, R, Ph, op.cit, p13
(5) Beaulieu, P, A, Neo Babylonia Larsa Apreliminary study, p 58

فالفائض من معبد إنانا من الصوف وقطعان الحيوانات المختلفة جعل من المعبد مركزاً تجارياً هاماً؛إذ قام ببيع هذا الفائض مقابل الحصول على حاجاته من المواد الأخرى، أما الإيبابار فقد استفاد من المنتجات الزراعية الكثيفة، وعمد إلى تصريف الفائض منها، ولاسيما التمر الذي اهتم بزراعته أكثر من غيره.مما سبق نجد أنّ النقص في إنتاج السلع الأساسية لدى المعابد دفعها إلى العمل على تعويضها، مما أدى إلى ظهور التبادلات التجارية فيما بينها. كما أن التجارة بين المعابد لم تعد عينية فحسب بل إنها أصبحت نقدية أيضاً. (١)

وأظهرت الكثير من الوثائق أن حجم اقتصاد المعابد كان أكبر بكثير من حجم الاقتصاد الملكي الذي كانت عائداته تأتي عن طريق الضرائب المفروضة على طبقة الأحرار، وهي عبارة عن مبالغ عينية :حيوانات ، حنطة ، شعير ، صوف ، سمسم... الخ وكانت الضرائب تحت إشراف خبراء رسميين مهمتهم تقدير تلك المبالغ العينية بالفضة، أما المبالغ النقدية، فتم فرضها على التجار المهتمين بالتجارة الخارجية؛إذ دفع هؤلاء ضرائبهم بالفضة. وقد تلقت الدولة رسوماً على القنوات والسفن والقوارب بالإضافة إلى الرسوم التي تأتي من استخدام الجسور وهي إما عينية أو نقدية. (٢)

وتبين المخطوطات البابلية الكثير من الوثائق التي تذكر حصول الدولة على الضرائب العينية فتذكر إحدى الوثائق " **أن كمية..... من السمسم هي ضرائب لمجموعة من الأشخاص عبرت بوابة إنانا (Eanna) وتم نقلها من أجل..... من أجل (Sula)** ". **وفي وثيقة أخرى تذكرأن:** " **٢٠٠ كور من الشعير هي دخل ضرائب بوابة...** ". **وهناك وثيقة تعود إلى السنة الثانية من حكم الملك نابونيد (٥٥٤ ق.م) تذكر أن** " **٥٠٠ كور من الشعير والتمر قدمت من قبل (Innin- Sam- usur) موظف الضرائب العائد للقصر** ". (٣)

وبما أن الضرائب كانت إلزامية ،فقد لجأ عدد كبير من الأشخاص غير القادرين على الدفع للاستدانة مقابل رهن يتفق عليه، أما في حالات المجاعة والجفاف عندما تقل الموارد، ويصعب دفع

(1) Jursa, M, op.cit, p77
(2) Dandamaev, M.A, op.cit, p261
(3) Weisberg, D.B, op.cit, p119

مستحقات الضريبة، يلجأ الكثير من الفقراء إلى تحويل أطفالهم لعبيد لصالح المعابد، وهذا ما حدث في السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد (٥٤٤ ق.م) ؛إذ أظهرت الوثائق تردي الأوضاع الاقتصادية بسبب الجفاف، مما دفع إحدى النساء في مدينة أوروك بعد وفاة زوجها وفقدانها معيلها الوحيد إلى تقديم أطفالها كعبيد لمعبد المدينة، وبهذا الفعل ضمنت المرأة قوت أطفالها اليومي وإعفاءها من الضرائب. فتذكر إحدى الوثائق أن: " **أرملة بسبب وفاة زوجها وانتشار المجاعة في البلاد وصمت ولديها الصغيرين بنجمة وأعطتهما للمعبد مقابل حياتهما.**" [١]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المعابد البابلية غالبا ما وضعت علامة؛ لتمييز عبيدها عن غيرهم من العبيد ولدلالة التبعية لمعبد ما.

ورغم الذي حدث في ذلك العام من المجاعة والجفاف، إلا أن وثيقة تعود إلى العام الذي يليه أي إلى العام الثاني عشر من حكم نابونيد (٥٤٣ ق.م) ،أكدت أنه بعد المجاعة الكبيرة التي حلت بالبلاد، سقطت الأمطار بغزارة، فتذكر الوثيقة أن " كميات كبيرة من الأمطار هطلت حتى أصبح مئتان وثلاثون كوراً من الشعير ومئتان وسبعة وعشرون كوراً من القمح تساوي شيقلا واحدا من الفضة فقط ". كما أن الملك نابونيد يذكر في الكثير من كتاباته أن بابل قد نعمت خلال فترة حكمه بالازدهار، وهذا أمر أكدته نحو ثلاثة آلاف وثيقة اقتصادية وقانونية تعود لفترة حكمه. [٢]

وعلى الرغم من أن الدور الريادي في الحياة الاقتصادية كان يعود للمعابد والقصر، إلا أنه خلال فترة حكم الدولة البابلية الحديثة بشكلٍ عامٍ، وفي عهد نابونيد بشكلٍ خاصٍ أصبح هذا الدور منقسماً بين المعابد والقصر من جهة والعائلات من جهة أخرى. هذه الأخيرة التي نمت وتطورت (كما ذكرنا سابقاً) من خلال ممتلكات المعابد والقصر، ومن ثم انفصلت عنهما جزئياً لتمارس أعمالا اقتصادية خاصة بها، الأمر الذي أدى مع الوقت إلى زيادة الإنتاجية الزراعية بشكل كبير. إن وفرة المنتجات ساعد في ظهور صناعات جديدة كصناعة بيرة التمر التي ظهرت نتيجة الفائض من محصول التمر الذي انتشرت زراعته على حساب زراعة الحبوب. كما مارست هذه العائلات أعمالها على شكل شراكات زراعية أو تجارية، فقد لجأت إلى استئجار الأراضي الزراعية، ومن ثم

---

(1) Dougherty, R.ph, op.cit, p44
(2) Dandamaev, M.A, op.cit, p261

تأجيرها لمعتمدين آخرين، كما قامت بتأسيس الشراكات لزراعة الأرض و ريّها. فتذكر إحدى الوثائق القيام بشراكة لري حقل: " **عاملين تابعين لـ (ltt–samas– balatu) بن (Labasi) وآخرين تابعين (Nabu – sarhi –ili) بن (Nergalina) وإلى (Sumu–ukin) بن (Bel– Ipus). وهؤلاء العمال سوف يعملون على سقاية الأرض بواسطة الدلاء، ويكونون مسؤولين عن تحريك الثيران و (sumu– ukin) سيكون مسؤولاً عن تأمين العمال الزراعيين، وسيتلقى خمسين بالمئة من الربح المتعلق بالزراعة أما (ltti– samas– balatu) سوف..... عاملين من قبله** ". [١]

كما كان باستطاعة الطرفين القائمين بالشراكة فكها بالاتفاق، وتقسيم الأملاك بينهما، ففي وثيقة تعود إلى السنة (٥٤٨ ق.م) من عهد الملك نابونيد ذكر " **شراكة لصناعة المجوهرات، كانت قد أديرت من قبل (Nuab– uballit) بن (Nabu – Iqbi) من عائلة (Arkat– ili) و (kalbaya) بن (taqbi–lisir) من عائلة (zerutu) وقد تم تقسيمها بينهما، ولا يوجد تراجع من قبلهما فيما يخص هذه المسألة، ولا يحق لأيّ منهما الادعاء ضد الآخر** " [٢]

كما قامت بعض العائلات بعدة أعمال في وقت واحد فعائلة (**ltti– Samas– balatu**) من لارسا، عملت على إدارة الأراضي الخاصة بها، وجزءٍ من الأراضي التابعة للمعابد والقصر، وقامت بجمع الضرائب الخاصة بالمعابد، بالإضافة إلى تأسيس شراكات زراعية و تجارية سواء أكانت داخلية أم خارجية.[٣]

وقد لعب التاجر ((m)tamkaru) دوراً هاماً في تسيير الأعمال التجارية لكل من المعابد والقصر الذين عملوا على تقديم مبالغ مالية محددة، لاستثمارها تجارياً من قبل التاجر، الذي قام بدوره بنشاطاتٍ متنوعةٍ منها:

١- بائع متجول يبيع البضائع بنفسه من خلال الرحلات التي يقوم بها إلى أماكن مختلفة.
٢- متعهد تجاري يقوم ببيع البضائع عن طريق وكلاء تجاريين يعملون بخدمته.

---

(1) Jursa, M, Business companiesin Babylonia in the first MillenniumBC, p66
(2) Ibid, p67
(3) Jursa, M, Aspects of the Economic history of Babylonia in the first Millnnium, p768

٣- دائن يقدم القروض للناس على شكل قروض عينية أو نقديّة.[١]

وبذلك فهو كان بائعاً ومشترياً (بالجملة والمفرق) ومستثمراً وممولاً في آن معاً، وكانت الأرباح الناتجة عن التجارة تخضع للاتفاق بين المستثمر والتاجر وقد تكون الأرباح مناصفة بينها أو يأخذ التاجر كامل الأرباح شريطة إعفاء رجل الأعمال من تحمل نتائج الخسارة بينما يحظى المستثمر نتيجة ذلك بدخل ثابت يكون له ولزوجته من بعده بدلاً من حصته في الأرباح، ففي وثيقة تعود إلى السنة (٥٤٨ ق.م) من حكم نابونيد ذكر " **خمسة شيقل من الفضة أعطيت من قبل (Nabu- dala) بن (Arad- Nabu) للتاجر (Nabu- mitu- uballit) بن (Nabu- le- i) من أجل شراكة عمل، وعلى (Nabu- mitu- uballit) أن يدفع سنوياً ثلاثة أرباع الشيقل من الفضة إلى (Nabu- dala) ولزوجته من بعده بدلاً من حصته في الأرباح. وهو أي (Nabu- dala) لن يأخذ أيّ حصة من الأرباح، وليس مسؤولاً عن أيّة خسارة تحدث.**" [٢]

ب - وسائل النقل وطرق التجارة:

كانت العمليات التجارية البرية منها أو النهرية تتم من خلال شبكة طرق؛ إذ عمل ملوك هذه الدولة على الاهتمام بها وحمايتها، فالطرق النهرية كان عصبها الرئيسي نهرا دجلة والفرات بالإضافة إلى القنوات المائية الضخمة، ومما ساعد على تسهيل العمليات التجارية، أن معظم المدن البابلية يمر نهر الفرات عبرها أو قريبا منها مثل(سيبار وبابل و أوروك)... الخ وتشير العقود الاقتصادية إلى قيام مبادلات تجارية بين المدن البابلية، مثل: لارسا وأوروك أو لارسا وسيبار من خلال نهر الفرات، وهنا لا بد من التأكيد على أن نهر الفرات لم يكن الخيار الوحيد للمسافرين الراغبين بالسفر في كامل أرجاء الدولة تقريبا، لكنه كان الأفضل للملاحة، أما نهر دجلة فقد شكل مع روافده محورا مهماً للاتصال بين الأجزاء الجنوبية البعيدة لبلاد بابل والأجزاء الشمالية منها. وقد لعبت القنوات كذلك دوراً مهماً في التجوال والتنقل. حيث تم ربط المدن البعيدة عن الأنهار بقنوات مائية، يستطيع المرء من خلالها الوصول إلى النهرين الرئيسين في بلاد بابل، وتذكر المصادر أن

---

[١] مرعي، عيد، التاجر ونشاطاته في العصر البابلي القديم، العدد (٢٣-٢٤)، مجلة دراسات تاريخية ١٩٨٦، ص ١٣٨

[2] Jursa, M, Business companiesin Babylonia in the first Millennium BC, op, cit, p66

كمية البضائع المنقولة من الشمال إلى الجنوب والمنقولة بالعكس كانت تتم بشكل روتيني، وبكلفة بسيطة بفضل هذه الممرات المائية التي كانت تعد القلب النابض لبلاد بابل، وبالإضافة إلى هذه الممرات فقد سيطرت بلاد بابل على عدد كبير من الطرق البرية التي ربطتها بأجزاء واسعة من العالم القديم، فنحو الغرب (سوريا وشاطئ المتوسط) كان هناك طريقان رئيسان، الأول: يبدأ من سيبار على نهر الفرات باتجاه ماري، ومن ثم يتجه مباشرة من خلال الصحراء إلى تدمر ليصل إلى قطنه القديمة قرب حمص اليوم، لتتوجه بعدها البضائع إلى الموانئ الفينيقية ودمشق وفلسطين، لكن هذا الطريق عبر الصحراء واجه فيه التجار الكثير من الصعوبات؛ بسبب الحرارة العالية في الصيف إضافة إلى أنّها معرضة لهجمات اللصوص والقبائل البدوية، لذلك فضلت القوافل التجارية القادمة والذاهبة نحو الغرب الطرق الآمنة المزودة بالمياه والمؤن، وهذا الطريق يترك نهر دجلة في نينوى، من خلال مدينة شوباط إنليل* ثم إلى حران، من خلال عدة طرق ليصل إلى ضفة الفرات في كركميش (جرابلس حاليا) أو في إيمار (مسكنة). ويتابع نحو حلب وضواحيها، وينتهي بوادي نهر العاصي، ومنها إلى شواطئ المتوسط ووسط سوريا، [١] وكذلك طرق البخور التي ربطت بلاد بابل بجنوبي شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى طرق أخرى ربطتها بطوروس والأناضول، التي جعلت وعورة جبالهاالطرق تقتصر على ممرات محدودة، عملت الدولة البابلية الحديثة على إنشائها وحمايتها.

أما أهم الطرق البحرية التي ربطت بلاد بابل وبقية العالم، كانت من خلال الخليج العربي الذي عرف باسم (البحر الأدنى أو بحر الشمس المشرقة)، فمن خلاله كانت تبحر السفن التجارية منطلقة من مدينة أور عبر الخليج إلى (Dilmun) (البحرين حاليا) وصولا إلى (Magan عمان) وإلى ميلوخا (Meluhha) وهي منطقة في وادي السند في باكستان. [٢]

* شوباط إنليل: تل ليلان قرب القامشلي، وهي العاصمة الثانية للملك شمشي أدد الأول (١٨١٥-١٧٨٢ ق.م)، وتعني مسكن الإله إنليل.انظر،مرعي،عيد، عبدالله ،فيصل،مرجع سابق ،ص٢٣٦

(1) Roux, G, op.cit, p41

(2) Ibid, p15

ج- التجارة الخارجية:

على الرغم من غنى بلاد بابل بالثروة الحيوانية و الزراعية إلا أنها كانت تفتقر للمعادن التي تحتاجها في الصناعات المختلفة، بالإضافة إلى الأحجار القاسية والنفيسة، مما دفعها لاستيرادها من الخارج، فكان للساحل الفينيقي المكانة الأولى والمهمة في حياة الاقتصاد البابلي من خلال ما حوته أرضه من موارد تفتقر لها بلاد بابل، و تعد ضرورية جداً لها. وفي مقدمة هذه الموارد تأتي الأخشاب؛ فعلى الرغم من التواجد الكثيف لأشجار النخيل في بلاد بابل، إلا أن أخشاب هذه الشجرة لا تعد صالحة لأعمال البناء ،لعدم قدرتها على تحمل الثقل الكبير أو البقاء لفترة طويلة كدعائم لأساسات المعابد والقصور؛ لذلك تم استقدام أخشاب أشجار الأرز و التنوب، وهي من الأخشاب العالية القيمة والغالية الثمن ؛ولذلك استخدمت في المعابد والقصور وبيوت الأغنياء، ونظراً لأهميتها الكبيرة فقد غدت من الممتلكات التي يستطيع الدائن أن ينتزعها من المدين في حال عدم القدرة على سداد الدين، وتظهر الوثائق أنّ كميات كبيرة منها جلبت إلى بابل عبر الفرات. [١]

كما تم استقدام الأخشاب من جبال زاغروس الواقعة إلى الشرق من بلاد بابل، وجلبت كذلك أنواع الأخشاب، مثل خشب الساج* عبر البحر من وادي السند. [٢]

وقد استخدم خشب الساج في معبد إله القمر في أور الذي أعيد بناؤه من قبل الملك نابونيد، فضلا عن وصول أنواع كثيرة من البضائع الهندية إلى بابل، وقد اكتشفت بعض الأختام التي تؤكد قيام علاقات تجارية واسعة بين بلاد بابل وميلوخا. [٣] منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حيث أنشأ الملك الأكادي (شاروكين ٢٣٣٤- ٢٢٧٩ ق.م) مؤسس الإمبراطورية الأكادية ميناءً نهرياً اكتظت به المراكب القادمة من هذه المنطقة. [٤]

---

[١] بيليا فسكي، ف، أ، أسرار بابل، ط٢ ، دار علاء الدين،دمشق ٢٠٠٧، ص ١٥٨

[2] Roux, G, op.cit, pp13-21

* الساج: شجر استوائي المنشأ ذو أخشاب صلبة ينمو في جنوب وجنوبي شرق أسيا وخاصة في الهند

[٣] عبد الهادي، سعدون، ياسين، عقيل عبد الله، الصلات التجارة بين حضارتي الهند والعراق في التاريخ القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ق.م)، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد العاشر، ص ٢٢٤.

[٤] مرعي، عبد الله، تاريخ الوطن العربي (بلاد الرافدين)، مرجع سابق، ص ١٩٣

وقد عرف البابليون اللون الأرجواني عن طريق الفينيقيين، وكان استخدامه للدلالة على الرفعة والسمو؛ لذلك اقتصر استخدامه على الملوك والكهنة. [١]

أما المواد الخام التي افتقرت لها بابل فتم جلبها من مناطق مختلفة، فجلبوا الحديد من (Magan) عمان، والأناضول وقبرص، بينما جُلب النحاس من شمال غرب عيلام، وأرمينية وأذربيجان، أما القصدير فقد تم استقدامه من فارس وأفغانستان، والفضة والرصاص من جبال طوروس والأحجار الكريمة كاللازورد من أفغانستان والصدف من عيلام. [٢]، كما استقدمت الأحجار القاسية من بلاد عيلام. [٣]

إضافة إلى المواد الخام فقد تم جلب العسل والمواد العطرية وبعض مواد البناء وزيت الزيتون والنبيذ من سورية، وهذا نص يذكر استقدام النبيذ من سورية:

" أعطى الملك لسيدة أوروك عشرين إناء من النبيذ تم جلبه من سورية وخمس أوانٍ من العسل وعشرة.... العطرية." [٤]

أما علاقات بلاد بابل التجارية مع مصر فقد كانت جيدة في عهد الملك نابونيد، وذات طابع سلمي وودي خاصة خلال حكم الفرعون المصري (أحمس الثاني) حيث تم استيراد كميات كبيرة من حجر الشب (alum) الذي استخدم في تبييض الملابس والصوف، فضلاً عن استخداماته الطبية. كما جلب الكتان المصري الذي اشتهر في بلاد بابل بمواصفاته العالية، [٥] واستقدم حجر الشب أيضا من آسيا الصغرى من أجل الصباغة. [٦]

ومن اليمن في شبه الجزيرة العربية تم استقدام كميات كبيرة من البخور،وجلبت التمور من دلمون (البحرين)، وهذا ما يؤكده نص يعود للسنة الحادية عشرة من حكم نابونيد (٥٤٤ ق.م) حيث

---

(1) Dandamaev, M.A, op.cit, p273

(٢) باقر، مرجع سابق، ص ٤٤٠.

(3) Johannes, R, Economy of ancient Mesopotamia Ageneral out line, world babylonia, p11

(4) Beaulieu, P.A, An Episode in the fall of Babylon to the Persians 1993, p250

(5) Dandamaev, M.A, op.cit, p273

(6) Saggs, H.W.F, op.cit, p93

يذكر أن " **(Istar– ahi– iddin) من العائلة (Zeriga) تلقى ٦كور و ٢pan و ٢ sut من تمور دلمون في الشهر (Duzu)تموز من السنة الحادية عشرة من حكم الملك نابونيد**". [١]

أما العبيد فقد تم استقدامهم من مصر والسهل الإيراني فضلا عن أسرى الحروب.[٢]

وقد أثمرت هذه العلاقات التجارية رخاء في الاقتصاد البابلي خلال عهد هذه الدولة، وكانت كل هذه الموارد الأنفة الذكر يتم شحنها إلى بابل أعظم مركز تجاري في ذلك العصر، ومن خلالها يتم توزيع تلك الموارد إلى باقي المناطق في الدولة البابلية الحديثة. فمدينة بابل كانت مركز الثقل الاقتصادي مما جعل منها مركزا للاستهلاك إضافة إلى كونها مركزاً دينياً وإدارياً.

وكان استيراد هذه البضائع يتم عن طريق تجار متخصصين في هذا المجال. ولكن لم تكن الاتفاقيات التجارية تعتبر سليمة إلا بوجود عقد مكتوب يسجل فيه كمية البضائع ،والشروط الواجب على الوكيل التقيد بها، إضافة إلى وجوب تحديد قيمة السلفة المدفوعة بغير مقابل للرحلة التجارية، فقد كان واجبا على الوكيل أو التاجر المرتحل أن يقدم إلى موكله كامل رأس المال على أن يحصل مقابل ذلك على إيصال، ويأخذ بعد ذلك المبلغ المتفق عليه مسبقاً، أما إذا كانت الصفقة التجارية غير مربحة نتيجة إهمال أو سوء تصرف من الوكيل فهنا عليه (أي الوكيل)أن يعوض المبلغ مضاعفا، أما إذا فقد المال بسبب سوء الأمن على الطرقات التجارية أو لأسباب قهرية فعلى الوكيل هنا أن يؤدي القسم في المعبد تأكيدا على ما حدث، وهذا الأمر كان قد بينه قانون حمورابي. فيذكر القانون: " **إذا تعرض (Samallum *) شامالوم لهجمات معادية خلال قيامه برحلاته التجارية... وإذا تعرض الشامالوم لعدو في الطريق وتسبب له بفقدان كل ما يحمل، فعلى الشامالوم أن يقسم يميناً أمام الإله ومن ثم يذهب حراً.**" [٣]

وهنا لا يتحمل الشامالوم أي مسؤوليةٍ، لأن الأحداث خارجة عن إرادته، وكثيراً ما اعتمد رجال الأعمال البابليون على تجارٍ من خارج بابل، للقيام بأعمالهم التجارية، فتذكر الوثائق أن

---

(1) Weisberg, David.B, op. cit, p126

(2) Jursa, M, Business companies in Babylonia in the first Millennium B.C, op.cit, p. 59

[٣] مرعي، التاجر ونشاطاته في العصر البابلي القديم، ص ١٤٠.

* Samallum: حامل كيس – معاون – مساعد تجاري – مندوب – انظر المرجع السابق.

عدداً من الفينيقيين واليونان أقاموا في بلاد بابل، وأغلب الظن أنهم كانوا وكلاء تجاريين يأتون لعقد الصفقات التجارية في بلاد بابل. [١]

وقد استخدم البابليون في البداية فائض إنتاجهم من (الشعير – التمر – الصوف – الصناعات النسيجية والحرفية بالإضافة إلى الأوزان الفضية) من أجل الحصول على ما يحتاجونه من المعادن ،والأخشاب الثمينة ،والأحجار القاسية ،والنفيسة ،والبضائع ذات القيمة العالية كالتوابل والصمغ..... إلخ

لكن ازدياد الإنتاجية الزراعية بشكل كبير خلال الألف الأولى قبل الميلاد، وفي فترة حكم الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) خاصةً، حيث لعبت العائلات التي برزت خلال حكم نابونيد كقوة اقتصادية أدت دوراً مهماً من خلال استثمارها للمساحات الزراعية، كل هذا أدى لزيادة ملحوظة في الإنتاج، ثم إن هذه الزيادة دفعت إلى إيجاد مرادف مادي أقوى من المقايضة وبديلا عنها. يضمن استمرار عمليات العرض والطلب رغم الظروف المتجددة في جميع المجالات الزراعية و التجارية.

ولا بد من الإشارة إلى تراجع زراعة الشعير على حساب الزراعات المروية و زراعة النخيل خاصة الأمر الذي أدى إلى زيادة سعر هذه السلعة (الشعير) التي كانت تعد أحد أهم عمليات المقايضة. [٢]هذه العوامل دفعت بالدولة لإيجاد وسائل متعددة تقوم على حماية التاجر والمستهلك من التزوير، فقد ظهرت الأوزان الفضية التي كانت عبارة عن قوالب تحمل شعاراً له معايير ثابتة، وهي كانت موجودة منذ الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أنها تميزت في عهد الدولة البابلية الحديثة بوجود نسب محددة من الفضة قد خلطت بنسب محددة من الذهب. [٣] وهذه الأوزان* كانت على

---

[١] فرزات، محمد حرب، مرعي عيد، دول وحضارات في الشرق الأدنى القديم، ط٢ ١٩٩٤، دار طلاس، ص ٢١١.

[2] Jursa, M, Aspects of the Economic history of Babylonia in the first Millennium BC, Ugarit - Verlag Munster 2010, p 761

[3] Roux, G, op.cit, p404

* أهم هذه الأوزان: الشيقل: وحدة وزن تساوي نحو ٨، ٣ غرام. التالنت: يساوي نحو ٣٠ كغ. وتنقسم إلى ٦٠ مينه. المينة: تساوي نحو ٤٨٠ غ وتنقسم إلى نحو ٦٠ شيقلا. انظر عيد مرعي، اللسان الأكادي، ص٢٧٧.
أما النقود فلم تظهر بمعناها المعروف حاليا إلا في القرن السابع قبل الميلاد من قبل الليديين، ولم يتم تداولها في الشرق الأدنى إلا في عهد داريوس (٥٢١ – ٤٨٦ ق.م).

شكل لوح صغير أو سبائك مختومة بشعار يضمن وزنها، وتمتع الكهنة وأشخاص معينون بالحق في إنتاج هذه الأوزان، وإعطائها قوالب ونسبٍ محددةٍ.

ولابد من الإشارة إلى أنه في كل الحقب البابلية تم تفضيل الفضة على الذهب، الذي تم التعامل به على أنه سلعة بعكس معدن الفضة.

أما البضائع التي كانت تصدر من بابل إلى أنحاء العالم القديم، فهي كانت الغلات الزراعية و الحبوب بجميع أنواعها، والتي استعملت لأغراض متنوعة فهي طعام للإنسان والحيوان في آن معاً إضافة إلى تصديرهم التمور المجففة أو المحفوظة بالزيت، وكذلك بيرة التمر التي اشتهرت بها بلاد بابل. كما صدروا الجلود والملابس الصوفية إلى عيلام خاصة، وكان للصوف والنسيج البابلي شهرة واسعة حيث أطلق الإغريق على النسيج المصنوع من الصوف اسم (كوناكس). [١]

وقد عرف البابليون منذ القديم النفط الذي سمي بزيت الحجر، وكان متوفراً بكثرة في منطقة الفرات الأوسط. وتأتي أهمية النفط كمادة للتصدير من خلال استخداماته المختلفة في دباغة الجلود ومعالجة الفراء، كما غطيت به أرض الهياكل والقصور والدور الجميلة، بالإضافة إلى استخدامه كمانع تسرب للمياه داخل القوارب والسفن. كما صدر البابليون الأواني الفخارية بجميع أشكالها إلى مناطق متعددة من الشرق القديم.[٢]

ثانيا: الحياة الدينية:

احتل الدين موقعاً مهماً ومحورياً في حياة الشعوب منذ القديم، وحتى وقتنا الحاضر، فهو كان ومازال العنصر الأساسي والفعال في بناء كيان الدول وزوالها. فالدين قديم قدم الإنسان نفسه، وربما يعود ظهوره لرغبة الإنسان في التخلص من خوفه اتجاه الظواهر غير القادر على تفسير حدوثها.وقد استغل الدين من قبل بعض الأفراد للوصول إلى مآرب خاصة. وهذا ما فعله و أدركه ملوك بلاد بابل ووظفوه لخدمة مصالحهم بشكل جيد لتسيير أعمالهم.

---

[١] روتن، مرجع سابق، ص ٦٩.

[2] Roux, G, op.cit, p12

فوصول الملوك إلى العرش أو إزاحتهم عنه كان بمشيئة الآلهة، ومن لا يحترم هذه المشيئة فهو مذنب بحق الآلهة ويجب معاقبته.

فالملك نابونيد الذي وصل إلى العرش بمؤامرة دبرها الكهنة [١]، ادعى أن الرؤى والآيات تعاقبت عليه تبشره بأنه سيكون خليفة الملوك الكبار، وأنه سيتبع خطاهم برضا (Marduk*) العظيم وبقية الأرباب، وبعمله هذا لم يكن قد أتى بشيء جديد أو غريب عن بابل، وإنما اتبع خطا من سبقه من حكام بابل الذين وصلوا للعرش بنفس الطريقة والأسلوب.

ويشير لذلك في إحدى اسطواناته: " **بناء على أمر مردوك سيدي رفعت إلى حكم البلاد..... أنا المنقذ الشرعي (لسياسة) (نبوخذ نصر) و (نرجال شار أو صور) أسلافي الملوك**"[٢]

وكان على رأس المجمع الإلهي في بابل في تلك الحقبة الإله مردوك الذي ارتبط صعوده إلى إله رئيس بصعود مدينة بابل كعاصمة لأعظم إمبراطورية في الشرق الأدنى القديم،فالإله مردوك لم يكن إلهاً لبابل فحسب بل إلهاً لبلاد بابل أيضا، وقد عرف معبده باسم ايساجيلا (Esagila) ومركزه مدينة بابل بالإضافة للإله مردوك، كان هناك عددٌ كبيرٌ من الآلهة ارتبط كلاً منها بمدينة معينة. فمثلا:

معبدEnanna (Ishtar*) في أوروك ومعبد (E-gishnugal**)لإله القمر سين في أور.....الخ [٣]

وقد أظهر الملك نابونيد منذ تسلمه العرش الكثير من الاحترام لهذه الآلهة ومعابدها " **أنا نابونيد ملك بابل وراعي Esagila- Ezida الذي يخاف الآلهة العظيمة** ".[٤]

---

[1] Roger, R.W, A History of Babylonian and Assyria, V11, 1990, p89

* Marduk: الإله الرئيسي لمدينة بابل وهو نهض ليصبح كبير المجمع الآلهة في بابل بارتفاع بابل كعاصمة للإمبراطورية البابلية.انظر:ادزارد،مرجع سابق ،ص١٢٦

[٢] مرعي، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص ٣١

[3] Dandamaev, M.A, op. cit, p262

* Enanna (Ishtar): وتعني سيدة السماء، إلهة الحب والجمال والخصب، والحرب في بلاد بابل، وتتركز عبادتها في مدينة أوروك واشتهرت عند الإغريق باسم فينوس.انظر:ادزارد،مرجع سابق،ص٥٣

** معبد اله القمر في أورE-gishnugal

[4] Harper, Robert Francis, op. cit, p157

فالجانب الديني مهم في حياة السلطة الحاكمة واستمرارها، لأن الملك يعد الممثل الشخصي للإله الذي يحكم الدولة ونائبه على الأرض، وبذلك يحتفظ الملك بمسؤولية مزدوجة، دينية تخص عبادة الآلهة ،وتنفيذ أوامرها، ودنيوية أي تصريف ناجح للشؤون العامة في الدولة.

هذا ما عرفه نابونيد واستفاد منه لإحكام السيطرة على معابد الدولة، والإمساك بإدارتها، فالملك يأتي على رأس الهرم الكهنوتي باعتباره ممثل الإله على الأرض كما يتولى تعيين كبار مجلس الكهان والموظفين الذين يديرون شؤون المعبد.

وكان هناك قسم من الموظفين مهمتهم إدارية وليست دينية، تشتمل على إدارة ملكية المعبد، والإشراف على العبيد، وتنظيم توزيع عائدات المعبد لأغراض متنوعة، وقد عمل في معبد إنانا كما تذكر الوثائق نحو اثنا عشر كاتباً في وقتٍ واحدٍ، وكذلك الأمر في المعابد الأخرى تقريباً.وكلهم مشغولون بالكتابة، فكاتب المعبد موظف للنظام السياسي والاقتصادي والإداري وواجباته تتضمن:

١- تحديد قيمة إيجار الأرض.
٢- تنظيم مؤن الحيوانات والمنتجات الأخرى من أجل الأضحيات.
٣- تنظيم العلاقات لعبيد المعبد والإشراف على كافة أنواع الأعمال في المعبد.
٤- استعادة الديون من مستديني المعبد. (١)

وكان المعبد يعمل على تغيير الكتّاب إذا ثبت أنهم غير جديرين بالكتابة، أما من ثبتت مهارته في الكتابة فكان له الأولوية في الاستمرار، وخير مثال على ذلك شخص يدعى Nadinu بن Bel-ehe-igisa بنEgibi الذي عرف بخطه الجيد والمتقن لذلك ذكر اسمه أكثر من مرة في العقود والسجلات. (٢)

وفي إحدى الرسائل التي تعود لمعبد عشتار في أوروك نقرأ: " أنه في حال عدم كفاءة الكتاب ،فهناك كتاب آخرون يمكن أن يرسلوا بدلا عنهم بسرعة". (٣)

(1) Dandamaev, M.A, op.cit, p263.
(2) Dogherty, R.Philp, op.cit, p12.
(3)Dandamaev, M.A, op.cit, p263.

المهم في هذا الأمر أنه خلال فترة حكم الدولة البابلية الحديثة، كان هناك نزعة من قبل ملوكها لتقليص امتيازات المعبد وكهنته، وقد ظهر ذلك بشكل خاص في عهد الملك نابونيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) الذي عمد إلى وضع أموال المعابد تحت إشرافٍ ملكيٍ مباشرٍ، وقد عيّن في عام (٥٥٣ق.م) موظفين على معبد إنانا (عشتار) في أوروك مع توجيهات صارمة بالإشراف على جميع صفقات المعبد الاقتصادية، وصاحب هذا المنصب يطلق عليه مفوض الملك، وهو مستقلٌ في عمله عن المعبد وواجبه الرئيسي تسليم القصر جزءاً من عائدات المعبد، لذلك أوجد لهذا الغرض صندوق خاص بالملك توضع فيه العائدات المخصصة له،وكانت وظيفة مفوض الملك الجمع المنتظم للضريبة العشرية الملكية المفروضة على المعبد وهو بذلك قام بأعمال الكاتب في المعبد.[١]

وقد قام في سنة حكمه الأولى (٥٥٥ق.م) بطرد الموظفين من معبدي Ebabbar في سيبار و Enanna في أوروك الذين عينوا من قبل سلفه(نرجال شار أو صور)، وأعاد تعين موظفين من قبله.[٢]

وكان يتوجب على المعبد في عهده تأمين بعض الخدمات اللازمة للدولة عبر إرسال عدد من عبيد المعبد للعمل كنجارين ورعاة وبساتنة ومزارعين في الدولة، أو تأمين عمال مستأجرين للقيام ببعض الأعمال الخاصة بالقصر مع دفع أجورهم، فتذكر إحدى الوثائق قيام معبد إنانا بتوزيع حصصٍ عينيةٍ لعمال مستأجرين من قبله، أرسلوا إلى القصر " **ثلاثون كور من الشعير من أملاك معبد إنانا في أوروك أعطيت لـ(Nabu- ahu- iddin) و (Nabu- belsunu) مفوضي معبد إنانا المسؤولين عن العمال المستأجرين للعمل في القصر كي يعطوها كراتب لعشرين عاملاً مستأجرين لمدة خمسة عشر يوماً من اليوم عشرين من شهر تموز وحتى الخامس من شهر آب.**"[٣]

(1) Roux, G, op.cit, p402.
(2) Beaulieu, P.A, Neo- Babylonian Larsa: Apreliminary study, p76.
(3) Beaulieu, P.A, Approaching the Babylonian Economy Eanna, p53

علماً أن الملك قد تدخل بشكلٍ فعالٍ في شؤون المعابد، من خلال التقليل من امتيازاتها والعمل على دعم الممتلكات الخاصة للأسر على حساب المعابد. (١)

ورغم التدخل الكبير للملك نابونيد بأمور المعابد، إلا أنه كغيره من الناس يحتاج لغفران الآلهة وضرورة وقوفها إلى جانبه، فاسترضاء الآلهة يتطلب القيام بإشادة المعابد، وتجديدها ومدها بالأثاث الفاخر والطعام والعبيد ،وخصها بقسط من عائدات الدولة في جميع المناسبات والأعياد، كذلك يخصص لها قسماً من غنائم الجيش من الحروب، فكان أول سهم من الغنائم والأسرى تعود للمعابد؛ وذلك من أجل إسعاد الآلهة؛ كي تبقى إلى جانب الملك تساعده وتسانده.

ويذكر نابونيد في إحدى كتاباته كمية العطايا السنوية التي قدمها لمعابد الآلهة:

" **مئة وزنه (تالنت) وواحد وعشرون مينا من الفضة وخمسة أوزان وسبعة عشر مينا من الذهب كهبات وهدايا للمعابد** ".

وفي وثيقة أخرى يذكر: "**أخذت الغنائم والهبات والأسرى إلى بابل في مهرجان رأس السنة الجديدة قدم الملك نابونيد ٢٨٥٠ أسير من الحرب لمعابد (Bel- Nabu- Nergal)** ". (٢)

وتبين الوثائق التي تعود لفترة حكم نابونيد أنه شخصٌ متعمقٌ في الدين. فهو الملك الوحيد من ملوك الدولة البابلية الحديثة الذي اهتم بقوائم الملوك والسلالات الحاكمة في بلاد بابل والتي أهملت من قبل الملوك السابقين، وكان اهتمامه من خلال المكتشفات التي عثر عليها في أور وسيبار و لارسا وصولاً إلى حران، وعلى الرغم من قيام الملوك السابقين لحكمه بإعادة تجديد المعابد إلا أنه كان أكثر دقةً واهتماماً من خلال بحثه المستمر من أجل الوصول إلى الأساسات الرئيسية ،وقيامه بإعطاء تاريخٍ دقيقٍ للسلالات الحاكمة قبله ولمن تعود الأبنية المكتشفة التي عثر على أساساتها حتى اتهم بأنه مهووس بالمكتشفات الأثرية. (٣)

وبهذا غدا نابونيد أشهر الملوك الذين بحثوا عن الرسائل والأساسات القديمة للمعابد، وقد شاركته في هذه الأعمال ابنته الكبرى (Bel- shlti- nannar) التي نصبت كاهنة كبرى في

(1) Beaulieu, P.A, Neo Babylonian Larsa: Apreliminary study, p76
(2) Beaulieu, P.A, Approaching the Babylonian Economy Eanna, p58
(3) Grassi, G. F, Nabonidus king of Babylon, Middle East, Topics and Argument, p127

معبد الإله سين في أور (٥٥٤ق.م) حسب التقاليد الملكية البابلية القديمة، وقد ادعى نابونيد أن الإله سين اختارها زوجة له بعد أن هدّد العالم بسواد وجهه (خسوفه) ولقي هذا المعبد الكثير من الامتيازات والاهتمام أكثر من المعابد الأخرى فيذكر نابونيد في إحدى كتاباته. " **وفي حلمي أعطوني..... برغبة نانا (الإله سين) بكاهنة، فاستجبت لرغبتهم وقدمت بنات من أقربائي فأجابوني بالرفض، وعندما قدمت ابنتي، أجابوني بعلامات القبول، وأظهرت احترامي للرغبة التي أبداها (الإله سين)، ولم أرفض طلبه وأطعت أوامره، ورفعت إلى مرتبة الكهنوت الابنة التي أنجبها قلبي وأسميتها (Bel-shlti- nannar) وأدخلتها (Egipar)*** ". [١]

وفيما بعد قام بإعادة تجديد المعبد المذكور و زقورته التي اعتبر مشيدها أورنامو ***Ur- nammu (٢١١١-٢٠٩٤ق.م) من أسلافه الكبار. [٢]

وتؤكد الاسطوانات الطينية التي عثر عليها في معبد إله القمر في أور على إعادة تجديده من قبل نابونيد فيذكر **النص** "**أنا نابونيد ملك بابل وحامي (E-zida **)و(Esagila) ومعبد (E- gishun-gal) في أور الذي أورنامو(Ur- nammu) لم ينته من بنائه وابنه (shulgi) الذي أكمل بناءه، هذا ما قرأته في مخطوطاتهما، والآن تلك الزقورة أصبحت قديمة، أعدت بناءها محافظاً على أساساتها القديمة، وبنيته من القير والطين المشوي، بنيته لسيدي سين ملك الملوك في السماء والأرض وملك الآلهة الذي يقيم في السماء العليا ملك (E- gishun-gal) في أور.** " [٣]

وأثناء إعادة بناء المعبد عثر على مخطوطات قديمة تعود إحداها إلى (Inanedu) التي كانت قد نصبت من قبل أبيها (Kudurmabuk)كاهنة كبرى في معبد الإله سين في أور. وقد

---

(1) Melville, S.C, op, cit, p394

* Egipar: مسكن كبير الكاهنات في أور

** E-zida معبد الإله نابو في بورسيبا نابو هو إله الكتابة والحكمة في بلاد بابل وكان تمثاله يأتي إلى بابل كل مرة في عيد رأس السنة الجديدة ليقدم احترامه لأبيه مردوك وكان رمزه إشارة مسمارية على شكل إسفين. وقد اقترن اسمه ببعض أسماء الملوك مثل نابونيد. انظر: Bertaman, S, p122

*** Ur-nammu: أورنامو (٢١١١- ٢٠٩٤ ق.م) مؤسسة سلالة أور الثالثة، أهم أعماله قانون عرف باسمه (قانون أورنامو). انظر عيد مرعي، فيصل عبد الله، تاريخ الوطن العربي (بلاد الرافدين)، ص ٢٠٦

(2) Harper, Robert Francis, op, cit, p157

(3) George, A.R, Cuneiform royal inscriptions and related texts, 2011, p186

عمل نابونيد مع ابنته على جمع اللقى القديمة التي تم اكتشافها وكان من بينها تمثال الملك (shulgi ٢٠٩٣- ٢٠٤٦ ق.م) حيث وضع بغرفة خاصة في مكان إقامتهما في أور [١]

وكان الملك نابونيد على معرفةٍ تامةٍ بمكانة الإله مردوك كإله حامي وكبير مجمع الآلهة البابلية ،فأظهر له الكثير من الاحترام في بداية حكمه إضافةً إلى العطايا والهدايا التي قدمها إجلالا لعظمته:

" **مردوك سيدي المبجل بينما أمارس السلطة أطل أيامي ودع سنواتي تستمر بلا انقطاع ودعني أمارس الإصلاح (التجديد).... الإلوهية..... الأحجار النفيسة والذهب لكي أجعل ظهورك مشعاً ومن أجل موكب (*Gula) أنا وضعتهم في المكان، ثعابين من البرونز التي كانت على الجدران الجانبية لـ.... أنا احتفظت وجلبت الهدايا الكثيرة للآلهة العظيمة.**" [٢]

ولأن من واجب الملك الديني الدعاء والصلاة وتقديم الأضاحي للآلهة كي تحمي دولته وعرشه، عمد الملك نابونيد إلى القيام بكل الأمور التي تجعل الآلهة راضية عن ملكه. " **نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعي الفطن الذي يحترم الآلهة العظمى الوكيل التقي الذي يعنى برؤيا الآلهة، والذي يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة ،والآلهات ابن نابو بلاطسو أقبي الأمير العادل إنني منذ عين مردوك السيد العظيم اسمي سيدا على البلاد ومجد نابو الأمير اسمي الملكي.....إنني أكرر كل يوم احترامي لجلالتهم، وأشغل نفسي باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتي بالإيساجيلا والإزيدا إنني أقدم لهم خير ما لدي من أشياء جميلة وأهتم بألاّ ينقطع تقديم القرابين، وأبني بيوتهم تمجيداً لهم، و أبني مدنهم العظيمة وأمجد أسماءهم على لسان جميع الأحياء**".[٣]

و السلطة الملكية لا تقيدها القوانين وإنما رغبة الآلهة فقط، فالصلاحيات الواسعة التي أعطتها الآلهة للملوك في إدارة دفة الحكم، أرادت مقابلها كما يرى البابليون الاهتمام ببيوتها

---

(1) Mcintosh, J.R, Ancient Mesopotama, Oxford, England, 20050, p21

(2) Harper, Robert Francis, op. cit, p157

* Gula: الهة الشفاء والطب في بلاد بابل واهم مدن عبادتها إسين ومعبدها يدعى E-Gal- Ma h (القصر الكبير).انظر ادزارد،مرجع سابق ،ص٤٣.

[٣] ديلابورت، مرجع سابق، ص ٢١٥

(معابدها) وإعادة تجديدها وعدم إهمالها ،ومدها بكل ما تحتاج إليه، وكانت الأوامر تأتي الملك إما عن طريق الرؤى والأحلام أو بقراءة الأمر من قبل الكهنة في أكباد الأضاحي، وما إن تتم الموافقة حتى يشرع الملك بطقوس البناء يرافقه احتفالٌ كبيرٌ يرجى من خلاله تقديم الراحة للآلهة مقابل غفرانها ورضاها عن أعمال الملك، وهذه الأمور ألمّ بها الملك نابونيد على اعتبار أنه كان أحد الموظفين الكبار في البلاط الكلدي قبل استلامه السلطة، وعلى اطلاع كبير بالوثائق الملكية الدينية. فيذكر في إحدى كتاباته التي تعود إلى السنة العاشرة من حكمه(٥٤٥ق.م) أن الإله(Shamash) إله الشمس أوكل إليه مهمة إعادة بناء معبد (Ebabbar)* في سيبار بعد أن تحول لركام مغطى بالرمال: " **كان الذي حدث في السنة العاشرة، وفي يومٍ مقبولٍ في عهدي خلال حكمي الأبدي، تذكر شمش مقامه القديم، وعهد إلي صيانة الإيبابار وإعادة بنائه إلى سابق عهده**".[١]

ويكمل الملك نابونيد: " **(Ebabbar) الإيبابار أضحى صحراء وأنقاضاً منذ فترة طويلة، وكوم كبيرة من التراب كانت مجتمعة فوقه وتحول دون معرفة تفاصيل بنائه، وأنا الملك نابونيد مدبر أمور الشمس أوكلني صيانة الإيبابار**.". [٢]

فقام نابونيد بنقل تمثال الإله شماش إلى مكان آمنٍ ريثما يتم إنجاز بناء المعبد، وعمد إلى تسوية جدرانه بالأرض، وبدأ يبحث عن الأساسات الأولى التي وضعت من قبل الملك الأكادي نارام سين. وقد استطاع الأخير العثور عليها وأدعى أن إله الشمس هو من جعله يرى تلك الأساسات ويعثر عليها، حيث يذكر: " **أنا بحثت عن الأساسات القديمة وحفرت على عمق ثمانية عشر ذراعاً و شماش السيد العظيم للإيبابار، الإقامة المرضية له، أذن لي أن أشاهد الأساسات القديمة (لنارام سين) بن (سرجون) والتي ما من ملك سابق استطاع مشاهدتها، وفي شهر تشرين الشهر المفضل في يوم مبشر ظهر لي من قبل شماش و رامان في رؤية..... مع**

---

[١] الجادري، وليد، جدران المعابد العراقية المشيدة من الطابوق (الكيسو)، مج ٤٩، ج ١-٢، مجلة سومر ١٩٩٧، ١٩٩٨، ص ١٢٥

*-Ebabbar: معبد الإله Shamash إله الشمس في بلاد بابل وهو إله العدالة ورمزه القرص وتنتشر عبادته في سيبار ولارسا. انظر: Bertaman, S, p126

[٢] المرجع السابق، ص ١٢٧

الذهب والفضة والمعادن الثمينة ومنتجات الغابات والأرز الطيب الرائحة ووسط الفرحة والابتهاج، أنا قمت ببنائه على أساسات (نارام سين) بن (سرجون) تماماً. [١]

أنا وجدت مخطوطات باسم (نارام سين) بن(سرجون) ولم أغيرها، وعمدتها بالزيت وقدمت الأضاحي، ووضعتها مع مخطوطاتي وأعدتها إلى مكانها، أقمت رفوفه الخمسة آلاف من أخشاب شجرة الأرز ووضعت في ممراته أبواباً كبيرةً من خشب الأرز وبنيت الإيبابار، وأخذت بيد سيدي شماش بفرحة وابتهاج وجعلته يقيم برضا في مكانه، يا شماش يا سيد السماء والأرض العظيم نور الآلهة آباؤه نسل سين وننجال، عندما أنت دخلت إلى الإيبابار معبدك ونظرت بابتهاج نحوي، أنا نابونيد ملك بابل الأمير مؤيدك الذي أفرحت قلبي وأعطيتني إشاراتك المفضلة يومياً في شروق وغياب الشمس في السموات وعلى الأرض ،اجعل في يدي ما أتمكن به من قهر شعب الرؤوس السوداء، وكل الذين يبصرون ضياءك لينحنوا تحت قدمي ". [٢]

وتبين كتابات نابونيد أنه أثناء البحث عن أساسات معبد الإيبابار تم العثور على تمثال الملك الأكادي سرجون، وكان رأس التمثال قد كسر، فعمد نابونيد إلى جمع أفضل الصناع ،لإعادته إلى حالته الأولى ،ووضعه داخل معبد الإيبابار إظهاراً لاحترامه لهذا الملك.[٣] وعلى الرغم من شدة اهتمام نابونيد بتجديد الآثار القديمة للمعابد إلا أنه لم يكن يستطيع القيام بأي عمل دون موافقة الآلهة، وهذا ما حدث عندما أراد الملك نابونيد إعادة تجديد التاج الذي كان (Nabu– abal– iddin*) قد قدمه للإله شماش في سيبار لإعادة صياغته من الذهب، فخالفه الكهنة وأشاروا إلى وجوب عدم إدخال أي تعديل عليه، لذلك عمد الملك لاستشارة وحي شماش ،وأدد ثلاث مرات، لكن الوحي أجاب بالرفض في المرات الثلاث فاتجه نابونيد للإله مردوك يسأله الأذن، غير

---

(1) Luckenbill, D.D, The Temples of babylonia & Assyria, University of Chiago, 2012, Pp297-297

(2) Harper, R, F, op cit, 167

(3) Grassi, G. F, op, cit, p128

*Nabu- abal- iddin (٨٥٨- ٨٥٢ق.م) أحد حكام بابل في عهد الملك الأشوري شلمناصر الثالث (٨٥٩- ٨٢٤ ق.م)

أن العرافين قرؤوا في كبد الذبيحة رغبة الآلهة بعدم قبول أي تجديد، فنزل الملك عند إرادتهم وأمر بإعادة التاج إلى مكانه دون تغيير. [١]

فهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الملك لا يستطيع تجاهل أوامر الآلهة، وغير ذلك يعد كفراً وخروجاً عن طاعتها، كما أعاد نابونيد بناء معبد إله الشمس في لارسا الذي بني من قبل الملك حمورابي (١٧٩٢- ١٧٤٩ ق.م)، وجدد فيما بعد من قبل الملك الكاشي بورنا بورياش الثاني (١٣٧٥- ١٣٤٧ق.م)، إضافة إلى قيام الملك نبوخد نصر الثاني (٦٠٤- ٥٦٤ ق.م) بإعادة تجديده دون الوصول إلى الأساسات الأولى التي وضعها الملك حمورابي، و يعود الفضل في العثور عليها لنابونيد فتذكر إحدى النصوص: " **كانت لارسا مدينتة. والإيبابار، مكان إقامته المفضل الذي صار منذ زمن بعيد صحراء وأضحى أنقاضا وفي عهد سلفي الملك (نبوخذ نصر بن نابو بولاصار) أزيح التراب المتراكم فوق المدينة وفوق المعبد، وظهر سور الإيبابار العائد للملك(بورنا بورياش)، وجرى البحث عن الأساس العائد لملك أقدم (حمورابي) ولم يعثر عليه، و أعاد بناء الإيبابار وفق جدار بورنا بورياش، وكان الطريق إلى المعبد ضيقا جداً وصغيراً وقد بني ليكون مكانا للسيد العظيم شمش وزوجته المفضلة (إيا). أنا نابونيد راعيه، الذي عهد إليه بصيانة الإيبابار مقامه المفضل وبأمر السيد العظيم مردوك، هبت الرياح من الجهات الأربعة، وشوهد الإيبابار..... من مقام شماش وإيا المكان المقدس لهما، وظهر الجدار المقدس وأصبح الأساس مرئياً.قرأت نقوش الملك القديم حمورابي الذي أعاد بناء الإيبابار لشمش، وصليت بارتجاف وقلقت وفكرت.....، وبالنسبة لي فإن هذا المعبد..... وإعادة بنائه..... وباستشارة وحي شمش وأدد و نرجال بما يخص بناء المعبد فإنهم كتبوا لي، بنية صافية (تعهد) لأيام طويلة.... واجتهدت لتكريس عمالٍ لشمش ومردوك، يحملون المعول والمجرفة ،وينقلون القفف..... المعبد الهائل و زقورته، و متخصصون يفتشون المكان الذي يتلاقى فيه الأساس وفي شهر مناسب وفي يوم موافق، وحسب الزينة القديمة من عهد حمورابي، وضعت قالب الآجر (الطين المشوي) على الجدار المقدس العائد للملك حمورابي، وأعدت بناء هذا المعبد**

[١] ديلايورت، مرجع سابق، ص ١١٤

وزينت بناءه وأنجزت بناء الإيبابار لشمش وإيا أسيادي، وجعلت من قمة الزقورة عالية كالجبل، ومنحني سيدي العظيم شمش، ما لم يمنحه لأي ملك، وأوكل إلي عبادته وأعدت بصورة جيدة الإيبابار مثلما كان، ووضعت على رقيم من المرمر كتابات الملك حمورابي التي قرأتها مع تلك الخاصة بي، ووضعتها في مكانها للأبد ". [١] وبنفس الوقت أو بعده مباشرة بدأ نابونيد بإعادة تجديد معبد (E- ulbar) معبد الإلهة أنيونيت (Anunit *) في سيبار وبنفس الطريقة بحث عن أساسات المعبد التي وضعها (shagarakti Buriash) وأعاد بناء المعبد وقدم له الصلوات والهبات احتفالاً بإعادة تجديده.[٢] وهناك مخطوطات تعود لنابونيد يذكر فيها إعادة تجديده عجلة العربة الحربية التي تعد رمزاً لشجاعة لوجال مارادا(lugal- Maradda) وجدد بناء معبده (E-igi-kalam-ma*): "**المحارب الصنديد والبطل الرائع الكامل القوة والإعصار الذي لا يقاوم والذي يغرق الأرض المعادية ويجتاح أرض الأعداء، والذي يسكن في معبد (E- igi-kalam-ma)، أما بالنسبة لعجلته – عربة جلالته – رمز شجاعته التي لم يعد لها مثيل منذ أقدم العصور، فقد وجدت أحجار زخرفتها في أساس (E- igi-kalam-ma) هذه العربة أعدت بناءها من جديد، وزينتها بالفضة والأحجار الكريمة ثم قدمتها له. أما معبد (E - igi-kalam-ma) الذي كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه، ولكن لم يحط الأسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة، فقد كان هيكله مخربا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة. هدمتها وفحصت الأساس القديم، وحددت أساساته وأعدت بناء الأسوار، وقويت حائط الحراسة ورفعت قمته أعلى مما كانت..... أي (lugal- Maradda)، أيها السيد العظيم والمحارب القوي حين تدخل إلى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التي أتممتها..... ألا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض ما يسعدني..... ألا فلتطل أيام حياتي وكللني بذرية..... ألا فلتسحق أعدائي بذراعيك القويتين وتقضي على كل أعدائي.**"[٣] كما قام بتجديد

---

[١] الجادري، مرجع سابق، ص ١٢٥

[2] Rogers, RobertWilliam, op, cit, p90

*-Anunit: إلهة الحرب في بلاد بابل ومعبدها (E- ulbar) وتتركز عبادتها في مدينة سيبار.انظر:ادزارد،مرجع سابق ،ص٧١

*E-igi-kalam-ma: معبد الإله لوجال مارادا في ماراد جنوب بابل

[٣] ديلايورت، مرجع سابق، ص ١٢٦

قصر الأعياد للسيد العظيم (Urash) فيذكر في إحدى مخطوطاته " **أما للسيد العظيم ((Urash*) فقد جددت كما كانت من قبل قصر الأعياد الهادئ وأما عن المدينة..... بين بابل وبورسيبا، فقد رفعت أبراجها بالإسفلت والآجر وأدخلت الآلهة إنانا إلى معبدها** ". [١]

كما عمل على تجديد معبد إنانا في أورك خلال سنة حكمة الأولى فيذكر: " **العارضة الرئيسية في معبد إنانا ومكان إقامة الآلهة سوف تزاح من مكانها من أجل وضع أبواب جديدة للمدخل الرئيسي ولباب المحكمة (babdini) وباب السلام(bab salami) وإعادة بناء الممر الطويل من أجل مهرجان رأس السنة وإعادة بناء أبواب مخازن المعبد في إنانا.**" [٢]

لم يكتف الملك نابونيد بتجديد معابد بابل، بل اتجه تركيزه بعيداً عنها وعن معابدها إلى مدن مجاورة لها تقع في أقصى الشمال من بابل، وهي مدينة حران التي قام الميديون عام (٦١٠ق.م) عندما دخلوها بتدمير شوارعها وأبنيتها، كما دمروا معبد الإله سين أقدس معابد حران. وقد قدم نابونيد الكثير من الاحترام لهذا المعبد مقارنة بالمعابد الأخرى، ومرد ذلك إلى خلفيته الدينية وتأثره بوالدته الحرانية (أدّا – غوبي) التي كانت كاهنة كبرى في معبد سين في حران فضلا عن كونها مسقط رأسه، لذلك حاول جاهداً إعلاء شأن هذا الإله، وسعى لإعادة بناء معبده، وادعى في كتاباته أن بناء الاخلخل (بيت الفرح) ليس مجهوداً شخصياً وإنما هو أمر من الإله مردوك العظيم، وقد أراد من وراء هذا الادعاء تهدئة غضب كهنة مردوك وتوترهم الذين بدؤوا يستشعرون الخطر وتراجع مكانتهم من خلال التدخل الكبير للملك في أمور المعبد وبالتالي تراجع مكاسبهم المالية، وهذا الاهتمام بمعبد سين في حران كان بمثابة الإعصار الذي أدى في نهاية المطاف إلى جعل بابل ولاية تابعة للفرس وسنأتي على ذكر هذا الأمر في فصول لاحقة. وكما ذكرنا سابقا إن حران كانت تحت سيطرة الميديين، ولبناء الأخلخل كان لابد من تحرير هذه المدينة فادعى نابونيد في بداية حكمه أن الإلهين مردوك وسين أمراه في حلمٍ أن يعيد بناء معبد سين في حران ووعده الإله مردوك أن الميديين الموجودون في حران سيزولون في وقت قريب بعد هزيمتهم على يد ملك أنزان الشاب(قورش):

---

*urash: إله مدينة دلبات في بلاد بابل، وأصبح مساوياً لـ(آن ونينورتا) في عصور لاحقه ويعني اسمه باللغة السومرية أرض والأرض كانت زوجة الإله آن أو أنو اله السماء.انظر:ادزارد،مرجع سابق،ص٧٢

[١] المرجع نفسه، ص٢١٥

[2] Waezeggers, C, op.cit, p148

" **ليس للشعب الميدي الذي تتحدث عنه أية قائمة تقوم له ولا بلاده ،ولا الملوك الذين يسيرون إلى جانبه، فعند مجيء السنة الثالثة سيجتاح البلاد قورش ملك أنزان وسيدها الشاب بجحافله القليلة وسيلحق الهزيمة بالميديين الأقوياء، وسيقع أستياجس ملكهم في الأسر فيقتاده معه تلك كانت أقوال الإله مردوك**"[١] وقد تم تحقيق حلم الملك نابونيد بانسحاب الميديين من حران في السنة الثالثة من حكمه /٥٥٣ق.م / وأصبحت ميديه تابعة للفرس وتحت سيطرتهم، ودخل نابونيد مدينة حران، وبدأ يعد العدة لإعادة بناء معبد الأخلخل ، وتمكن من الوصول إلى الأساسات التي وضعها الملك الأشوري أشوربانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ ق.م) وأعاد بنائه ووسط الفرحة والبهجة تمِ إدخال الإله سين إلى معبده في حران: " **مردوك سيدي تكلم إلي: نابونيد ملك بابل أنقل الأحجار بالعربات التي تجرها الأحصنة وأعد بناء الأخلخل واجعل سين الإله العظيم يعود لمكان إقامته أنا أعدت بناء معبد سين، الذي يقع في حران والذي قد بناه آشور بانيبال ملك آشور الملك السابق. وفي شهر مفضل ومن يوم مبشر ظهر لي من قبل شماش ورامان في رؤية مع حكمة إيا ومردوك وبتعاون من قبل..... والفضة والذهب والمنتجات الثمينة، وضعت أساساته ورفعت الأحجار على الأسس التي وضعها آشور بانيبال، وسكبت الخمر والنبيذ والزيت والعسل على جدرانه، جمّلته بالزخارف الخشبية وجعلت أجزاءه أقوى وتزييناته أكثر فنية من أي ملك من أسلافي. وقد بنيت ذلك المعبد بحلة جديدة ووضعت فيه الرفوف المصنوعة من خشب الأبنوس والأرز، و جعلت ممراته من الأرز الذي كانت رائحته طيبة جداً وزينت الجدران بالفضة والذهب وجعلتها تلمع كالشمس ووضعت فيه هدية عبارة عن ثور وحشي من الياقوت التي تبعد عيون الأعداء على اليمين واليسار من البوابة الشرقية و أخذت بيد سين وننجال و نوسكو أسيادي من بابل مدينتي الملكية بفرحة وابتهاج وجعلت إقامتهم فيه وكان الأمر مرضياً لهم وقدمت الكثير من الأضاحي وجلبت لهم الهدايا**". [٢]

ولا يفوتنا أن نذكر أن شاهدة حران التي تسجل السيرة الذاتية لوالدته أدا غوبي، قد أشارت إلى أن نابونيد سيعيد بناء الأخلخل وبناء المدينة لتكون أبهى مما كانت عليه، ويعيد إحياء طقوس

---

[١] روتن، مرجع سابق، ص ١٦٨

[2] Harper, R, F, opcit, p162

الإله سين المنسية فتذكر الشاهدة: " سين إله الآلهة تكلم إليّ: "معك سوف أضع بيد ولدك عودة الآلهة وسكان حران وهو سيبني الأخلخل (E–hul–hul)، وينجز هيكله ويجدد حران و سوف ينجزها ويجددها لمكان إقامة (سين وننجال ونوسكو) و سوف يجمعهم سوية ويدخلهم الأخلخل ويعيد إحياء طقوس الإله سين فيه." [١]

فمن خلال النصوص الآنفة الذكر، يمكن القول إن التجديد الديني ملازم للنشاطات الملكية، وهذا ما وجدناه عند الملك نابونيد الذي أهتم وبشكل كبير بالأساسات القديمة، ولكنه أهدر أموالاً طائلةً في إعادة بناء تلك المعابد وإحياء طقوسها ،والاحتفال بتجديدها بمراسم فخمة، وقد يكون اهتمامه عائداً، لمعرفته التامة أن تخليد أسماء الملوك كفاتحين وأبطال لم يكن مضاهيا لتخليد أسمائهم في بناء المعابد وتجديدها. على اعتبار أن الدين هو الشفيع الوحيد لتخليد ذكراهم واهتمامه بهم سيعطيه صفة الخلود عن طريق بقاء أعماله مخلدة في ذاكرة الشعوب.

كما لمسنا من النصوص أنه من واجب الملك تقديم جميع العطايا الثمينة والنادرة من خلال إعادة التجديد العمراني للمعابد، وقد يكون مرد ذلك ؛لتجنب غضب الآلهة عليه ،وإبقائها سعيدةً منه، ذلك لأن الآلهة هي التي فوضتهم حكم البلاد وهي الوحيدة القادرة على إلغاء هذا التفويض.

إضافة إلى بناء المعابد وتجديدها كان هناك واجب ديني آخر هو الدعاء والصلاة للآلهة لتحفظ عرش الملك وتبقيه ثابتاً. فالصلاة واجبةٌ للآلهة لأنها سعت وبحثت عن الملك لتعطيه السلطة وصولجان الحكم الذي يؤكد السيطرة الكاملة على بلاد سومر وآكاد. ومن خلالها يتضرع الملك للآلهة أن تحفظ ذريته وتمنحه الحياة المديدة، و يبدو ذلك جليا من خلال إحدى الصلوات المقدمة من قبل نابونيد إلى إله القمر سين: " **سين سيدي العظيم، خلصني من الإثم ضد عظمة ألوهيتك، وامنحني الحياة أياماً طويلةً، وأما بالنسبة ل (بيل شارأو صور) فضع الخوف من عظمة ألوهيتك في قلبه واجعله لا يرتكب إثما – ألا فلتمتلئ نفسه بالحياة الكاملة**".[٢]

---

(1) Melville, S.C, op, cit, p392

(2) Harper, R.F, op, cit, p 158

Anu :أنو إله السماء وهو الشخصية الأولى في الثالوث الإلهي المقدس وسيد جميع الآلهة.المرجع نفسسه،ص٥٢

وفي ترتيلةٍ دينيةٍ أخرى موجهة من قبل الملك نابونيد للآلهة تعظيماً وتمجيداً لها تقول: " **حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم..... حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكاً مكرساً للعبادة ،ليمارس السلطان ورفع اسمه فوق الملوك جميعاً. سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه أنو و انليل العرش إلى الأبد والتاج والصولجان، عصا الملك وكتاب الطقس الملكي جعله إيا خالق جميع الأشياء..... كامل الحكمة..... أما بعليت إيل خالقة العالم فأكملت تكوينه وأما نابو مراقب العلم منحه العقل وأما سين ابن الأمير فقد تبصره في صورته، وأما شمش ضوء الآلهة فقد جعله راعياً تحت إمرته وأما ايرا العظيم القوي بين الآلهة فقد زينه بأبهة الملك، ثم استدار إلى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الإلهية واتخاذ القرارات وتجديد المستقبل واستدعته الآلهة العظيمة لمعونته حتى يستطيع تنفيذ أوامره....**" [١] وهناك أمر لا بد من الإشارة إليه هو أن الملك نابونيد رغم اهتمامه بذكر كبار آلهة بابل(مردوك ونابو) وتسجيل اسم هذين الإلهين بعد لقبه أنه ملك بابل بقوله مثلا: أنا نابونيد، ملك بابل، حامي إيساجيلا وإزيدا. " وغيرها من الكلمات التي تربط اسمه وبشكل مستمر بكبار آلهة بابل إلا أن هذا الاحترام كان اسمياً فقط لأن انجازاته العمرانية في المعابد لم تتركز في هذين المعبدين.ولم تذكر أي من كتاباته قيامه بترميمٍ أو تجديدٍ لهما، بل نرى أن عبادته كانت متجهةً لآلهةٍ أخرى موجودةٍ في مدن أخرى.[٢]

ومما سبق نرى أن نابونيد كان متأثرا بخلفيته الدينية التي ورثها عن والدته (أدا غوبي) وهذا ما جعله يدرك أهمية الآلهة ومعابدها في حياة البابليين واستغل هذا الأمر لصالحه أفضل استغلال وذلك لإضفاء صفة الشرعية لحكمه،ولكن هذا التجديد والاهتمام لم يكن مفيداً لها على الرغم من إعطائه الحياة لذكرى ملوك سابقين بإحياء أعمالهم، وزيادة الجمال والروعة لمدينة بابل، فهي كانت بأمس الحاجة لرجل حرب ولا لباحث عن آثارٍ ومخطوطات ،حتى يستطيع مجابهة الخطر المتربص بها من الشرق.

Enlil : سيد الفضاء والهواء وهو الشخصية الثانية في الثالوث الإلهي المقدس بعد (آنو) إله السماء وحكم الأرض وصاحب ألواح القدر ومانح الملكية. و زوجته تدعى (Ninlil)، أما معبده الرئيسي يقع في مدينة نيبور.أدزارد،مرجع سابق ،ص٦٨

[١] ديلايورت، مرجع سابق، ص ١٧١

[2] Rogers, R.w, op.cit, p90

ثالثا: أعمال نابونيد العسكرية

إن اتساع نطاق الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) ومد نفوذها باتجاه بلاد الشام والاتصال بمصر الفرعونية و المملكة الميدية وبلاد فارس الإخمينية فيما بعد، خلق جبهة معادية ومتربصة بهذه الدولة، التي قدر لها أن تعيش مابين (٦٢٦- ٥٣٩ ق.م) ليتمكن بعدها قورش الفارسي من جعلها ولاية تابعة لإمبراطوريته الواسعة.

وقد عمل الملك نابونيد منذ بداية حكمه على نشر السيادة البابلية في غرب الفرات حتى ساحل المتوسط وتوطيد السلطة فيها.

وتدل الوثائق البابلية على قيامه بحملةٍ عسكريةٍ على مدينة (خوم) التي لا يعرف موقعها بالتحديد، كما لم يعرف نتيجة المعركة نظراً لتهشم النص:

" **سنة ارتقاء العرش.... له... صعوده... الملك... لهم.. المرافق.. جلب..... إلى بابل... السنة الأولى... لقد دفعوا.... ولم يصعد له... كل عوائلهم..... استدعى الملك جيشه وسار باتجاه بلدة خوم...** [١]

وقاد في سنة حكمه الثالثة (٥٥٣ق.م) حملةً على حماه في سوريا، ربما كان الهدف منها معاقبتها؛ لإعلانها التمرد عليه. ومنها اتجه إلى صور وحضر تتويج الملك حيرام الثالث (٥٥٢- ٥٣٢ ق.م) وتؤكد الوثائق على قيام علاقات جيدة وسلمية بين بابل والساحل الفينيقي في عهد الملك نابونيد. وتبين أيضا أن حكام صور ظلوا محتفظين باستقلالهم الذاتي منذ أيام ملوكهم بعل لاتور (٥٥٧- ٥٥٦ق.م) ومير بعل (٥٥٦-٥٥٢ ق.م) وحيرام مع التبعية الاسمية للدولة البابلية الحديثة وخلال تواجد الملك نابونيد في سوريا وصل إلى جبال الأمانوس في الشمال الغربي من سورية، وقد قام بجمع عددٍ كبيرٍ من النباتات والفواكه لكي يتم أخذها لحديقته ومائدته في بابل. [٢]

---

[١] الطائي، أسامة كاظم، الطرفي، فيحاء كاظم، العلاقات الكلدية الميدية دراسة تاريخية من خلال النصوص المسمارية والمصادر الكلاسيكية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد ٣، المجلد ٣، جامعة بابل، ص ٢٧٢

[2] Wiseman, D.J, Babylonia 605 – 539BC, op.cit, p245

وعاد في السنة التالية إلى سوريا وقام بجمع قواته واتجه إلى أدومو (دومة الجندل)[١] فحاصرها وتمكن من دخولها وقتل ملكها وضمها إلى بابل. ووصل بزحفه إلى أطراف مدين على خليج العقبة. واستولى على غزة وأصبح على مقربة

من مصر.[٢] وكانت مصر على علاقة متوترة مع الدولة البابلية الحدثية منذ نشأتها (٦٢٦ق.م)، وذلك بسبب السيطرة والتوسع في بلاد الشام التي كانت نقطة حساسة للطرفين، لحاجتهما للمواد الأولية التي تفتقر لها كلٌّ منهما، وخاصة الأخشاب والمعادن. وزاد الاهتمام ببلاد الشام بعد قيام الميديين ومن بعدهم الفرس الأخمينين بإحكام السيطرة على الطرق الواقعة إلى الجهة الشمالية والشمالية الشرقية لبلاد بابل. مما يعني حرمان الدولة البابلية الحديثة من مصادر المواد الأولية التي تنتجها تلك المناطق لذلك كانت بلاد الشام المصدر الوحيد لتعويض تلك الموارد، إضافة إلى كونها المنفذ الوحيد لوصولهم إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) الذي طالما تغنى ملوك بلاد بابل بوصولهم إليه في كتاباتهم، ولكن في عهد نابونيد يبدو أن العلاقات بين بابل ومصر كانت طيبة وذلك مع الفرعون المصري أحمس الثاني (٥٧٠-٥٢٦ ق.م) خاصة. فيذكر الملك نابونيد في أحدى كتاباته أن ملوك مصر وميديا أرسلوا له الوفود من أجل التأكيد على إقامة علاقات طيبة مع بابل كما ذُكر في النص الآتي: "**جعلت ملك مصر وملك ميديا وأرض العرب وكل الملوك المعادين يرسلون مبعوثيهم أمامي عارضين السلام والعلاقات الحسنة** " [٣] ومما يؤكد متانة العلاقات بين بابل ومصر ماُ ذُكر في شاهدة حران عن قيام الملك نابونيد خلال سنة حكمه التاسعة (٥٤٧ق.م) بتوجيه دعوة إلى كل الملوك والأمراء في مصر ليعلنوا الحداد، ويشاركوا في مأتم والدة الملك (أدّ –غوبي) فهذه الدعوة دليل واضح على عمق العلاقة التي نشأت بين بابل ومصر بعد الاضطراب والمنافسة الذي كانت في عهد أسلافه، وتذكر شاهدة حران: " **الآن في السنة التاسعة من حكم نابونيد، قدرها أنجز، هو جمع الناس في بابل وبورسيبا والسكان القاطنين بالأماكن البعيدة، الملوك والأمراء والولاة من الحدود في مصر على البحر الأعلى حتى**

(٣) أدومو (دومة الجندل):الجوف حالياً وتبعد نحو ٤٠٠كم شرق العقبة

(٢) باقر، مرجع سابق، ص ٢١٤

(٣) الفتلاوي، أحمد حبيب، العلاقات البابلية المصرية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية العدد (١)، المجلد الثاني، جامعة بابل ٢٠١٢، ص ٣٢٧

البحر الأدنى جعلهم يأتون وأنجزت طقوس الحزن والبكاء وقد ألقوا الغبار على رؤوسهم سبعة أيام وسبعة ليالي، والناس في كل الأراضي حلقوا شعورهم." [١]

وقد توجت العلاقات بين بابل ومصر بعقد معاهدة دفاعية ضمت أيضا ملك ليديا كروسيوس في آسيا الصغرى من أجل تشكيل قوة قادرة على الوقوف بوجه قورش الفارسي، الذي ظهرت أطماعه التوسعية بعد قضائه على مملكة ميديا وتشكيله قوةً عسكريةً هائلةً في بلاد فارس، لكن ذلك لم يحل دون تحقيق مطامع قورش وتبديد مخاوفهم.

فقد قام قورش في أواخر السنة التاسعة من حكم نابونيد (٥٤٧ق.م) بإعلان الحرب على مملكة ليديا؛ فجمع قواته، وسار أسفل أربيل، وعبر دجلة متجها نحو ليديا وأثناء مسيره إليها قام باحتلال كيليكية التي كانت تابعة لبلاد بابل ناقضاً بذلك الحلف الذي كان قد عقده مع الملك نابونيد، ولكن من الملفت أن نابونيد لم يقم بأي فعل للوقوف بوجه الأطماع الأخمينية، رغم ارتباطه بتحالف عسكري مع كل من ملك ليديا (كروسيوس) وفرعون مصر (أحمس الثاني)، و بقي في تيماء بعيداً عن بابل التي كانت تعيش حالة من الاضطرابات والفوضى الداخلية بسبب غياب الملك ونار الكراهية التي أذكى لهيبها كهنة مردوك بعد ما تراجعت مكانتهم لصالح الإله سين وكهنته، مع العلم أنه كان باستطاعة قورش السير إلى ليديه عبر جبال أرمينية متجنبا الأراضي البابلية. [٢]

ومرد ذلك أن قورش أراد أن يرسل رسالة مفادها، أن الفرس أصبحوا قوة لا تهاب أي دولة أخرى، وهو أمر لم يقرأه نابونيد بشكل جيد لأسباب متعددة سنأتي على تفصيلها لاحقاً، وهذا ما حدث بالفعل بعد عشر سنوات؛ إذ اجتاح قورش بابل عام (٥٣٩ق.م) وحوّلها لولاية تابعة لإمبراطوريته.

فقد احتل قورش ليديا دون أن يستطيع حلفاؤها فعل أي شيء، وعمد على قتل ملكها كروسيوس وجعلها ولاية تابعة له فقد ذكر أحد النصوص: " استدعى في شهر نيسان قورش ملك فارس جيشه، وعبر نهر دجلة أسفل أربيل وتوجه في شهر أيار نحو ليديه محتلا.... قتل ملكها

---

(1) Melville, S.C, op, cit, p393

(٢) الطائي، الطرفي، مرجع سابق، ص ٢٤٧

وأخذ مواكبه وأحل محلها حاميته ". [١] أما بالنسبة لعلاقة نابونيد مع مملكة ميديه، فقد حاول جاهداً خلال سني حكمه الأولى استغلال جميع الفرص للتخلص من تلك المملكة، التي كانت حليف الأمس! والواقعة إلى الشرق من بلاد بابل، ولكن عندما توضع المصالح وحب السيطرة والنفوذ في المقدمة تصبح الصداقة والتفاهمات عدواناً في الصراعات السياسية، لذلك انتهت العلاقات السلمية التي كانت قائمة بين البابليين والميديين، ونشب النزاع من أجل حران الواقعة إلى الشمال الغربي من بلاد بابل لما لها من خاصية بالنسبة لنابونيد من حيث كونها مسقط رأسه وفيها معبد الأخلخل، ووقوعها على الطريق التجاري ما بين بلاد بابل وآسيا الصغرى من جهة، وبلاد فارس وسواحل البحر المتوسط الشرقية من جهة أخرى، فقد أراد كسب جميع عائدات هذا الطريق لصالح خزينته مما يكسبه أموالاً طائلةً، لذلك حرض نابونيد قورش الفارسي للخروج على جده وسيده ملك ميديا أستياجس.[٢] وربما تحسّس نابونيد الخطر الاقتصادي الذي سيحدث من جراء تعطل التجارة مع الشرق، فأراد البحث عن طريق تجاري آخر لتزويد بلاده بما تحتاج إليه من موارد. وقد ادّعى نابونيد في نقش يعودإلى سنة حكمة الأولى أن الإله مردوك طلب إليه إعادة بناء الأخلخل واسترجاع حران، وحينما اعترض نابونيد بسبب وجود الميديين وسيطرتهم على حران أجابه مردوك: " **إن الميديين وأرضهم والملوك الذين يقفون إلى جانبهم لن يبقوا في الوجود**"[٣] **وقد تحقق حلم نابونيد في العام الثالث من حكمه /٥٥٣ق.م/ ؛إذ قام قورش ضد ملك ميديه أستياجس الذي وقع في الأسر بعد هزيمته وخيانة قائد جيشه له، حينئذٍ قاد نابونيد حملة ضد الحامية الميدية في حران، واستولى عليها مستغلاً مجريات الأحداث في الشرق، وباشر في إعادة بناء الأخلخل حيث تؤكد إحدى النصوص على ذلك: " في بداية السنة الثالثة من حكمي: قورش ملك أنزان التابع لهم هاجمهم وبقوات صغيرة، وقد هزم الميديين ذوي الأعداد الكبيرة، وقبض على (أستياجس) ملكهم، وأخذه رهينة لبلده، وكان لكلمات مردوك الإله العظيم وسين نور السماوات والأرض اللذان أمراني بجمع قواتي الضخمة والمسير من غزة على حدود أرض مصر ومن البحر الأعلى خلف الفرات إلى البحر الأدنى، (الملوك والأمراء والولاة وقواتي الضخمة التي وضعها**

---

[١] الفتلاوي ، المرجع السابق، ص ٣٢٨

[٢] مرعي، بلاد بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص ٣٢

[٣] الطائي، الطرفي، فيحاء مرجع سابق، ص ٢٧٢

سين وشماش و عشتار بيدي). أنا أعدت بناء معبد سين سيدي الذي يقف بجانبي والذي يقع في حران، والذي كان قد بناه آشور بانيبال ملك آشور بن أسرحدون ملك آشور الأمير السابق." [١] وهنا تجدر الإشارة إلى أن حلم نابونيد الذي تحقق بقضاء قورش على ميديا وإعادة حران وبناء الأخلخل، لم يكن مصدر قلق بالبداية لدى نابونيد، لأن هذا الانتصار كان سببه الإله مردوك، فليس ثمة أي داعٍ لخوفه أو قلقه، ولكن بعد عقد من الزمن تغيرت الظروف، والوفاق والمناصرة بين بابل وفارس لم يدم طويلاً، كما أن ذلك تزامن مع صراعات بين كهنة مردوك والملك نابونيد مما دفع قورش لاستغلاله لتوسيع إمبراطوريته ومناطق حكمه والقضاء على الإمبراطورية البابلية الحديثة.

وقد ذكرنا سابقا أن الملك نابونيد، عند عودته من سوريا تركزت أعماله ضد العرب ،وحاصر أدومو Adummu(دومة الجندل)، وهي واحة هامة في شبه الجزيرة العربية وقتل ملكها، واستولى عليها نظراً لأهميتها الإستراتيجية والتجارية و هنا تختلف الآراء حول الأحداث التي وقعت؛ أي لا يُعرف فيما إذا عاد نابونيد إلى مدينة بابل بعد هذه الحملة، أو تابع زحفه لواحات أخرى في شمال شبه الجزيرة العربية، وذلك بسبب وجود كسر في اللوح المسماري الذي يعود لهذه الفترة. [٢]

ولكن يبدو من سجلات الأحداث البابلية أن سياسة نابونيد مع العرب اختلفت عن أسلافه الذين اتبعوا سياسة الغارات العسكرية الخاطفة ضد العرب واكتفائهم بفرض الضرائب ،أما نابونيد اتبع سياسة الاحتلال المباشر والإقامة في شبه الجزيرة العربية في واحة تيماء البعيدة عن بابل مئات الكيلومترات، وقبل خروجه من بابل أوكل مقاليد الأمور لابنه وولي عهده بيل شار أو صور، فتذكر إحدى النصوص: " **هو عهد بالملكية لابنه** " [٣].

وفي نص آخر يذكر " **هو عهد بمعسكرات الجيش لابنه الأكبر، وكل القوات خضعت لأوامره أما بالنسبة إليه فبدأ برحلةٍ طويلةٍ مع بعض القوات العسكرية التي ذهبت معه متوجهة إلى تيماء نحو الغرب.**" [٤]

---

(1) Harper, R. F, op, cit, pp165-164

[٢] مرعي، بلاد بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص ٣٤

(3) Moukarzal, K, the Religious Reform of Nabonidus, 2014, p159

(4) Hasel, G.F, the first & third years of Bel shazzar, 1977, p 185

وخرج على رأس مجموعة من القوات البابلية، واتجه إلى تيماء شمال غرب الجزيرة العربية، حيث تذكر الوثائق أنه عند دخوله تيماء قام بقتل ملكها (يتر) وذبح عددٍ كبيرٍ من مواشي المدينة و المناطق المحيطة بها فيذكر النص " **هو (نابونيد) شق طريقاً بعيداً وحال وصوله، قتل (يتر) ملك تيماء بالسلاح وأراق (دماء)، مواشي أهل المدينة (تيماء) ومواشي أهل المناطق المجاورة، أما (نابونيد)نفسه فقد أقام في تيماء ومعه القوات الأكادية**". فهذا برهان واضح على قيام أهل تيماء وما جاورها بمحاولة صد هجوم نابونيد وجيشه لمنعهم دخول مدينتهم ولا شك أنهم أظهروا مقاومة باسلة أدت بهم في نهاية الأمر إلى دفع أرواحهم ثمناً لمقاومتهم تلك. [١] و بعد هذه الأعمال نرى أن المعلومات التي تعود لسني حكمه من السنة السابعة وحتى السنة السادسة عشرة قد تم افتقادها إلا أن سجلات الأحداث البابلية تذكر انه خلال الفترة الأنفة الذكر، لم يتم خلالها الاحتفال بعيد الأكيتو (أول رأس السنة البابلية) لأن الملك الذي يعد العنصر الأساسي في الاحتفال، والذي لا يكتمل الاحتفال إلا بوجوده، لم يكن موجودا في بابل، فيذكر أحد السجلات "السنة السابعة الملك في تيماء، ابن الملك والنبلاء في آكاد. الملك لم يأت إلى بابل من أجل نيسان. نابو لم يأت إلى بابل، بل لم يتم جلبه ولم يتم الاحتفال برأس السنة وقد قدموا الأضاحي في إيساجيلا وإزيدا إلى آلهة بابل وبورسيبا كما هو مطلوب.وقد صبوا النبيذ وحرسوا البيت فقط".[٢]

ويكرر هذا النص في السجلات البابلية حتى السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد، فهذا تأكيد واضح على وجوده بعيدا عن بابل.

ولكن خلال السنوات العشر التي قضاها نابونيد في تيماء، سيطر على مساحات واسعة من شبه الجزيرة العربية منها دادانو Dadanu (ديدان العلا حاليا) ويديخو Yadichu (يديع وهي الحويط في شرق حرة خيبر)، ويتريبو Yatribu (يثرب المدينة المنورة حاليا) وباداكو Padku (فدك) وخيبرا Chibra (خيبر) وأسس مجموعة من المحطات التجارية على طول طريق البخور من تيماء إلى يثرب.[٣]

---

[١] السعيد، سعيد بن فايز، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، الإصدار الثامن، الجمعية التاريخية السعودية ٢٠٠٠، ص ٥٩.

[2] Harper, R.F, op.cit, pp164-169

[3] Wiseman, D.J, op.cit, p246

وتؤكد النصوص العائدة لهذه الفترة أنه تم السيطرة على هذه المناطق بالجيش الذي توجه به نابونيد إلى تيماء مع بعض المستوطنين البابليين الذين كانوا يقيمون مع السكان العرب المحليين في شبة الجزيرة العربية.[١]

وخير دليل على إقامته في تيماء مدة عشر سنوات وسيطرته على الواحات آنفة الذكر شاهدة حران: " **استعجلت الابتعاد عن مدينتي وفي طريقي إلى تيماء ودادانو وباداكوا وخيبرا ويتريبو ويديخو عشر سنوات قد أقمت بينهم ولم أذهب إلى مدينتي بابل**".[٢]

وتؤكد الشواهد التاريخية لنابونيد قيامه بجولات تفقدية للمدن التي خضعت لسيطرته في شبه الجزيرة العربية، وتشير إلى تشكيله حاميات عسكرية جعلها ترابط بتلك المدن، لكي يضمن تبعيتها الدائمة وخضوعها لأوامره، كما قام بمراقبة حركة التجارة والتجار العرب من المنطقة فضلا عن إشرافه المباشر على تحصيل الضرائب المفروضة من قبله على البضائع التجارية المتجهة من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق الشرق القديم. وتؤكد الوثائق الثمودية التي تعود لتلك الفترة قيام نابونيد بتوجيه عدة حملات عسكرية على بعض القبائل العربية غير الراغبة بإقامته في شبه الجزيرة العربية و بسياسته المفروضة على البضائع، ومن هذه القبائل قبيلة لعق، التي وجه إليها نابونيد حملة عسكرية بقيادة قائد جيشه (كي) وقد تكون رداً على غارة قامت بها هذه القبيلة على مركز إقامته في تيماء، وهذا نص يؤكد قيام الحملة: " **أنا (مردان) صديق نابونيد ملك بابل، أتيت مع قائد الجيش (كي) الذي دخل لمطاردة /تعقب / أفراد بادية لعق**[٣]. " [٤] ورغم إقامته في تيماء لمدة عقد من الزمن إلا أنه بقي يمارس سلطته السياسية كملك على بابل ويستقبل الوفود وهذا ما أكدته شاهدة حران

---

(1) Ibid, p247

(٢) السعيد، مرجع سابق، ص ٣١

(٤) لعق:هواسم زعيم أوشيخ لتلك القبيلة التي كانت تستوطن أنذاك المنطقة الشمالية الغربية لشبة الجزيرة العربية انظر :المرجع السابق ،ص٤٣

(٤) المرجع نفسه، ص٣٢

"ملوك الأرض في مصر و ميدية وأرض العرب وكل الملوك الذين كانوا كارهين من أجل السلام والعلاقات الجيدة أرسلوا الرسل إلى شعوب أرض الأعراب الذين أسلحتهم... من أرض أكاد.... وبكلمات من سين و نرجال أسلحتهم ألقوها وكلهم انحنوا تحت قدماي... ". [١]

[1] Melville, S.C, op, cit, p393

الفصل الثالث

صراع نابونيد مع كهنة مردوك

أولاً: أسباب الصراع:

١- الأسباب الاقتصادية

٢- الأسباب الدينية

٣- الأسباب السياسية

ثانياً: مظاهر الصراع

١- توقف الملك نابونيد عن الاحتفال بمهرجان الأكيتو

٢- التغيير الديني

صراع نابونيد مع كهنة مردوك

لم يختلف الحكام في عهد الدولة البابلية الحديثة عن غيرهم من حكام بلاد بابل في مسألة الادعاء بأن الآلهة هي التي منحتهم السلطة، وتقلدوا مقاليد الحكم بمشيئتها، كما أن نظام الحكم على هذه الأرض نشأ وترعرع في كنف رجال الدين والمعابد، ومن ثم انتقل من أيديهم إلى أيدي الحكام، الذين كانوا قادة عسكريين، أو أشخاصاً ذوي مكانة عالية، أو أشخاصاً طموحين استطاعوا بفضل ذكائهم أن يسيطروا على السلطة، ويتولوا قيادة البلاد ،وتنظيم حياة أفرادها تاركين إدارة المعابد للكهنة، وهذا ما أثار حفيظة المؤسسة الدينية، حيث كانت سابقاً تسيطر على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بإلاضافة إلى الحياة الدينية في البلاد.وهكذا أصبح الصراع هو السمة الغالبة على العلاقة بين السلطة السياسية والمؤسسة الدينية، فكلما حافظ النظام السياسي على قوته بقيت المؤسسة الدينية ضمن الحدود التي رُسمت لها وقدمت الخدمات المطلوبة، وذلك ما لم يتضعضع النظام السياسي فحينها تنقض عليه المؤسسة الدينية وتتحكم به، ثم إن هذا الصراع اتخذ من الدين ستاراً يختبئ وراءه من أجل تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته مهما كانت. وضمن هذا السياق نشأ الصراع بين الملك نابونيد وكهنة مردوك في بابل، وقد أدى هذا التناقض والتناحر بين المؤسستين الدينية والسياسية (القصر والمعبد) في نهاية المطاف إلى خسارة بابل لاستقلالها السياسي والاقتصادي وخضوعها لسلطة الفرس الأخمينيين، وهذا ما سنأتي على ذكره في فصول لاحقة. فقد ظهر الصراع بين نابونيد وكهنة مردوك نتيجة أسباب اقتصادية وسياسية ودينية، قام بها نابونيد لإضعاف سلطة الكهنة ولاسيما كهنة مردوك خاصةً والعمل على الحد منها بعد أن توسعت سلطاتهم وأخذوا يتحكمون بجميع نواحي الحياة في الدولة البابلية الحديثة

أولاً –أسباب الصراع:

١–الأسباب الاقتصادية:

ذكرنا في الفصل السابق (في الحياة الاقتصادية) أن المعابد امتلكت إقطاعات زراعية ضخمة عملت على تأجيرها، و مارست التجارة خارج البلاد وداخلها وقد شكلت بذلك قوة اقتصادية نافست سلطة الملك في كافة المجالات.[١]

فقد امتلك معبد الإيساجلا إقطاعات زراعية ضخمة، وسيطر مع المعابد الأخرى على نصف أراضي الدولة في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني،كما كان موظفو المعابد مسؤولين عن المعاملات الكبيرة فيما يخص التجارة الخارجية في بابل، فأصبحوا بذلك أصحاب أراضٍ، وكتاب عقود، وقضاة يستمعون للدعاوى القانونية، ويصدرون الأحكام العليا، ويحتفظون بالسجلات الرسمية. وقد حصلت المعابد على مواردها المالية من غلة الأراضي التابعة لها وأرباح التجارة، وريع الحقول والمنازل والقرابين والنذور التي كانت تقدم من الملك والناس على حد سواء.. الخ [٢]

وقد عمل الملوك البابليون على تقديم الامتيازات للمعابد ؛ذلك من أجل حفظ الاستقرار السياسي في البلاد عامةً و في مدينة بابل خاصة وذلك على اعتبارها العاصمة حيث منحوها الاستقلالية، واستثنوها من الضرائب والمستحقات، ومن أجل إيقاف سلطة الكهنة والحد منها وجعلها خاضعة للدولة لابد من وجود إدارةٍ قويةٍ قادرةٍ على جعل الأمور تحت سيطرتها دون إثارة الكهنة أو التقليل من مكانتهم .[٣] وهو أمر فشل نابونيد في تحقيقه ونجح فيه ملوك آخرون في عهد الدولة البابلية الحديثة فعمل مثلاً كلٌ من (نابو بولاصار) و(نبوخذ نصر الثاني) إلى الإحجام عن التدخل بهيكلية المعبد وأخذا فقط (٢٠%) من عائداته. [٤]

إلا أن هذا الأمر لم يرق للملك نابونيد الذي عمل منذ وصوله للسلطة على الحد من قوة الكهنة السياسية والاقتصادية، وحتى الدينية وذلك من خلال إدخال إصلاحات بنيوية في داخل

---

(1) Roux, G, op.cit, p401

(2) Sagges, h.w, op.cit, p93

(3) Laum.A, R.J, Nabonidus king of Babylonia, The Abu Habba cylinder of Nabonidus, p V11 1

(٤) ساغز،هاري، عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دار رسلان دمشق ٢٠١١،ص ٣٠١

المعابد، ومحاولته تحجيم دورها، وإدخال تغييرات جعلت من الكهنة يقفون موقفاً عدائياً منه. حيث قام في سنة حكمه الثالثة (٥٥٣ ق.م) بحصر ملكية المعابد، وتحديد نسبٍ ثابتةٍ لدخلهم من صندوق الملكية الخاص، وفرض على المعابد تأمين خدمات للدولة عبر إرسال عبيدهم كمزارعين وبساتنة.. الخ، كما حدد حصص المعابد من العبيد وعدد الكهنة فيها، وعين موظفين اثنين في كل معبد؛ للاهتمام بأعمال الملك في المعبد لا يأتمرون إلا بأمره فقط. وكان من أهم واجباتهم أن يسلموا القصر جزءاً من عائدات المعبد. [١]

فتذكر إحدى الوثائق أن " **موظفين كبيرين دعما الملك** " [٢]، كما قام بطرد بعض الموظفين من معبدي إنانا في أوروك الإيبابار في سيبار خلال سنة حكمه الأولى وتعيين بدلٍ عنهم. وغيرها من الأعمال التي ذكرناها في الفصل السابق. وقد أثارت هذه الأعمال حفيظة الكهنة فرفضوا التدخل السافر بأمورهم الداخلية من قبل الملك إلا أن هذا التدخل كان البداية على ما يبدو.

٢-الأسباب الدينية:

عرف عن الملك نابونيد منذ بداية حكمه احترامه الشديد للآلهة ،واهتمامه بتجديد معابدها، والبحث عن أساساتها القديمة، وإعادة بنائها ضمن طقوسٍ احتفاليةٍ كبيرةٍ، لكن هذا الاهتمام لم يكن مركزاً نحو الإله مردوك أو الإله نابو ومعبدهما الإيساجلا والإزيدا، على الرغم من أن نابونيد لم يكن مهملاً لهما من ناحية تقديم العطايا والأضاحي، حيث كان يذكر الإله مردوك خلال كتاباته ويمجده قبل ذكر بقية الآلهة ومنهم الإله سين، فيذكر في إحدى اسطواناته "**نابونيد ملك بابل، الأمير الجليل الموقر، المسمى من مردوك، الناهض بأعباء الإيساجلا والإزيدا ومعيلهم، الواهب بغنى للعطايا والقرابين بانتظام**"[٣] ولكن رغم هذا الاهتمام فإنه لم يذكر في أي من اسطواناته أو الوثائق العائدة لفترة حكمه قيامه بأي تجديد لمعبدي الإزيدا و الإيساجلا في بورسيبا وبابل.

وعلى العكس بالنسبة لإله القمر (سين) الذي أظهر ولاءً متزايداً له ولمعابده، فقد أخذ يعلي من شأنه ويهتم بمعابده ويشجع على عبادته لذلك فقد كان معبد الإله سين في مدينة أور أحد

---

(1) wiseman, D, J.op, cit, pp 247, 264

(2) Moukarzal, The religious Reform of Nabonidus, Asceptical view, 2014, p157

(٣) غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)، الأهالي دمشق، ط ١، ٢٠٠١، ص ١٤٨-١٣٨

المعابد التي أولاها نابونيد اهتمامه الخاص والكبير، إذ عمل على تنصيب ابنته (بيل – شالتي – نانا) كاهنة كبرى في هذا المعبد كعادة ملوك بلاد بابل في تنصيب بناتهم وأخواتهم بمركز الكاهنة العظمى لأحد الآلهة ،وقد لقي هذا العمل معارضةً شديدةً من قبل كهنة مردوك؛ لأن هذا العمل سيسحب بساط النفوذ والسلطة من تحت أرجلهم كما أنه يثبت الولاء الكبير من قبل الملك للإله سين.[١]

أما الاهتمام الأكبر فقد كان موجهاً إلى معبد سين في حران (إي –خل–خل)، (بيت الفرح) هذه المدينة التي تعد مركزاً تقليدياً لعبادة إله القمر، والتي ارتبط بها نابونيد بروابط شخصية، كونها مسقط رأسه، فضلاً عن أن والدته أدّا–غوبي كانت كاهنة كبرى لسين في معبد حران، وقد لعبت دوراً كبيراً في تشجيع نابونيد على الإعلاء من شأن سين وتجديد معابده ليس ذلك فحسب وإنما اتخذ منه اله بابل الأعلى. [٢]

وتعد شاهدة حران التي تعد سيرة ذاتيه للملك نابونيد ووالدته دليلاً واضحاًو قوياًعلى الاهتمام الذي أولاه نابونيد وأمه للإله سين، حيث تذكر هذه الشاهدة رغبة نابونيد ووالدته بتقديس الإله سين وسعيهما بشكل كبير لإعادة بناء معبده في حران، ومن خلال الشاهدة نلاحظ أن هدفها ديني فضلاً عن كونه سياسي. فالهدف الديني ظهر من خلال تصريحهما أنّ نابونيد كان مختاراً ليبني ويجدد المعبد في حران، وركزت الشاهدة على التواضع والاحترام الذي أظهراه للآلهة، وأن هذا الاحترام هو الذي جعل الآلهة تقف إلى جانبه. أما الهدف السياسي لشاهدة حران هو التأكيد على أن الإله سين هو الذي أوصل نابونيد إلى الحكم ودعاه للملكية واختاره كباني لمعبده في حران، وهدف نابونيد كان شرعنة وصوله للعرش، وبأنه حاكم مختار من قبل الآلهة لحكم بلاد بابل: " نابونيد الذي لم يملك شرف (؟) والملكية لم تكن معي لكن الآلهة والإلهات صلوا من أجلي وسين للملكية دعاني، في الليل جعلني أرى حلماً قائلاً: إي–خل–خل معبد سين في حران ابنيه بسرعة "[٣]

---

(1) Dougherty, R.PH, op, cit, p12

(٢) غزالة، مرجع سابق، ص ١٤٧

(3) Parker, B, The Nabounidus controvers, Tyler Revans 2014, p2

لابد من الإشارة إلى أنّ الملك نابونيد وصل إلى العرش في بابل بمساعدة مباشرة من قبل كهنة (سين) الذين تراجعت مكانتهم على حساب كهنة مردوك في عهد الملوك السابقين حيث أسس قوة خاصة به من خلال تفضيل الإله سين وديانته، وهنا يمكن القول أن لدينا ملكاً بابلياً لا يقدس الآلهة المقدسة في بابل وإنما يقدس اله القمر سين بدلا من مردوك إلههما الأعلى. فهذا الاهتمام والتمجيد للإله سين كان السبب الرئيس للصراع بين نابونيد وكهنة مردوك في بابل لاسيما بعد استخدامه لعدد من الأوصاف التي كانت مستخدمةً لوصف مردوك مثل:

" إله الآلهة " و " ياملك الملوك " وغيرها من التعابير، ورأوا في ذلك تعدياً على مكانة مردوك الذي يعد رمز القوة لصالح سين إله القمر الرجل العجوز.[١]

٣ – الأسباب السياسية:

تولى نابونيد السلطة في بابل في وقت كانت بلاد بابل منفتحةً على شعوبٍ وقومياتٍ مختلفةٍ وجديدة، حيث ظهرت مفاهيم وثقافات متعددة نتيجة اتصال البابليين بتلك الشعوب، ولاسيما بالفرس في الشرق، الذين ظهرت لهم أفكار دينية مختلفة تمثلت بالديانة الزرادشتية التي تهتم في جوهرها بالوحدانية وعدم تعدد الآلهة، وكذلك الديانة اليهودية التي حملها اليهود معهم من أورشليم بعد أن سباهم نبوخذ نصر الثاني. وقد أظهر هؤلاء الأقوام بشكل أو بأخر عدم الاحترام لمبدأ تعدد الآلهة، ومما يسبب تعدد الآراء وعدم انسجامها وتناغمها مع ما يتناسب ومصلحة الدولة، وهذا ما أدى إلى أن سعى كل طرف لكسب مؤيدين لصالحه، بالإضافة إلى محاولتهم كسب السلطة الحاكمة والسيطرة عليها. [٢]

وقد كان الملك نابونيد على دراية تامة بهذه الأمور كلها، وبأنها تشكل مشكلة رئيسية في إضعاف الدولة؛ لذلك عمل جاهداً على محاولة إيجاد دين شامل للدولة يتمكن من خلاله توحيد الأمم المتنوعة التي يحكمها والتي ترتكز في جوهرها على عبادة إله القمر سين. [٣]

---

(1) lawler, A, Alas, Babylon: tracing the last king, Desert Exile, science mag V309, 2012, p86

(٢) ساغز، مرجع سابق، ص ١٦٦

(3) Beaulieu, p.A, Nabonidus The mad King, Reconsider of his steales from Harranan and Babylon, p163

وقد انتشر الآراميون في داخل بلاد بابل وشكلوا جزءاً لا يتجزأ من سكان الدولة البابلية الحديثة، وكذلك أصبحت اللغة الآرامية في تلك الفترة من أكثر اللغات المحكية وأكثرها تأثيراً على شعوب المنطقة، كل ذلك دفع بعض الباحثين إلى اعتبار أن من أسباب اختيار إله القمر هو مسألة التوسع الآرامي الناتجة عن فكرة تقوية وتعزيز مكانة القبائل الآرامية في بلاد بابل خاصة والشرق الأدنى عامة تحت حكم الدولة البابلية الحديثة، حيث شكل الآراميون في القرن السادس قبل الميلاد عنصراً اثنياً مهماً في بلاد بابل، وكانت حران أهم مراكز تجمعاتهم لكونها أكبر مركز لعبادة الإله سين فضلاً عن القبائل العربية كانت تعبد إله القمر تحت مسميات مختلفة. [١]

فربما كانت محاولة نابونيد إيجاد دين شامل للدولة يرتكز على عبادة إله القمر هي لتوحيد الأمم المتنوعة التي يحكمها، ليستطيع قيادتها من دون أي صعاب ضد الخطر القادم من الشرق.فالإله سين لم يكن غريباً عن بلاد بابل إضافة إلى كونه المعبود الرئيسي للقبائل الآرامية القاطنة في حران وشبه الجزيرة العربية، و في تيماء خاصةً على عكس الإله مردوك إله بابل الأعلى الذي لم يملك أي موقع في مجمع آلهة شبه الجزيرة العربية أو آلهة الآراميين، ولذلك لجأ الملك نابونيد لاتخاذ الدين ستاراً لتحقيق أهدافه السياسية، التي هدفت إلى جمع قوةٍ كبيرةٍ تقف إلى جانبه، وذلك لمواجهة القوى الصاعدة المتمثلة بالفرس الإخمينيين. [٢]

ولكن هذه المحاولة جعلته يصطدم بتيارٍ سياسيٍ معارضٍ قويٍ تمثل بالكهنة (كهنة مردوك)، وهم أصحاب السلطة والنفوذ في بابل، الذين تعاونوا مع الخارج من أجل القضاء على سلطة الملك نابونيد دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذا سيؤدي إلى إنهاء استقلال بابل إلى الأبد. وقد تجلت مظاهر الصراع بين كهنة مردوك والملك نابونيد من خلال سرد ثلاث وثائق تاريخية اجتمعت على وجهة نظر سياسية واحدة قائمة على فكرة إظهار قورش بمظهر المنقذ والحامي للشرائع البابلية وفي مقابل تشويه صورة الملك نابونيد وإظهاره بأنه مخالف لجميع العادات والتقاليد البابلية ومسبب لغضب الآلهة وهي:

---

[١] غزالة، مرجع سابق، ص ١٤٧

[٢] ساكز، مرجع سابق، ص١٦٦

بيان شعري (verse account)، حولية نابونيد (Nabonidus chronicle)، واسطونة قورش (cyrus cylinder) وقد أجمع الباحثون على أنّ هذه الوثائق الثلاثة دوّنت على يد بعض الكتاب البابليين بعد سقوط بابل بيد الفرس (٥٣٩ ق.م)، وأنه لم يكن هدفها كتابة التاريخ بموضوعية، وإنما تبرير إزاحة نابونيد عن العرش من خلال إظهار أن أعماله غير متزنةٍ، وأنه عرّض بلاده لغضب الآلهة بتغيير الطقوس والعادات البابلية. بالنسبة لـ (verse account)، (Nabonidus chronicle) كتبت من قبل كهنة مردوك والدوائر السياسية المتضررة من سياسات الملك، الذين رأوا أن أعماله ستؤدي إلى إحداث تغييرات خطيرة في موقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وحتى الديني على حساب الإله سين وكهنته، وذلك مقابل شاهدة حران التي كتبت من قبل الملك نابونيد، وتلك الشاهدةعلى الرغم من تحيزها إلا أنها تعطي بعض المصداقية على الكثير من الأحداث. (١)

لابد من الإشارة أن الملك نابونيد لم يعلن عن سياساته فور توليه العرش بل بقي يمارس السلطة على خطا من سبقه من الملوك، حيث تظهر وثائق السنوات الأولى من حكمه قيامه بعمليات عسكرية متنوعة، بالاضافة إلى احترامه لجميع الآلهة ومعابدها، حيث كان يقدم العطايا والهبات لجميع معابد الدولة، فتذكر إحدى الوثائق الاقتصادية " **الغنائم والهبات والأسرى أخذوا إلى بابل في مهرجان رأس السنة الجديدة ونحو ٢٨٥٠أسير، وزعوا كعبيد للمعابد ومناطق أخرى**"(٢). وبقيت الوثائق تظهر الملك بمظهر القائد العسكري والحاكم الناجح كأسلافه، فهو بنظر كتبتها مازال وفياً لمرودك ومعبده. (٣)

ولكن ما لبث الأمر أن تغير بعدما أعلن الملك نابونيد عن خططه باتخاذ سين إلهاً رئيساً في الدولة، وقيامه بتجديد معابده في أور وحران كما ذكرنا سابقاً حتى أخذت الوثائق الآنفة الذكر منحى آخر، وبما أن الوثائق تكتب من قبل النخبة السياسية في الدولة من (كهنة وكتاب وموظفين ملكيين)، فقد كتبت بطريقة بارعة ومنطق ديني واضح يثير الشعور من أجل فهمها من قبل عامة

(1) Karts, R, From Nabonidus to Cyrus, p 149
(2) wiseman, D.J, op, cit, p244
(3) zawadzki, S, Who was king Who wasn't king ? (The portrait of Nabounidus and Cyrus in their, chapter 12, Prague 2010, p145

الشعب، ولأهداف معينة من أجل تبرير أعمال بعض القوى المسيطرة في الدولة، أو لتزيد من السيطرة الاجتماعية والاقتصادية، وحتى الدينية أو لتضغط على طرف ما وترهبه وتشوه صورة من يقف في وجه مصالحها [١]

ثم إن تلك الدوائر السياسية وفي مقدمتها كهنة مردوك بدأت تعمل على إثارة الناس ضد الملك لاسيما بعدما أعاد بناء معبد حران حيث لقي هذا العمل استياءً وامتعاضاً شديداً من قبل سكان بابل وبورسيبا ولارسا.

وكان لاستخدام الجنود البابليين في إعادة ترميم معبد حران أثر كبير في تشجيع العصيان من قبل الكهنة، وقد ترافقت هذه الأعمال جميعها مع قيام الملك بترك عاصمته بابل والتوجه إلى واحة تيماء في شمال غربي شبه الجزيرة العربية حيث بقي فيها مدة عشر سنوات متتالية دون العودة إلى عاصمته بابل، أو العودة للمشاركة بأي من طقوسها أو أعيادها، حيث كانت تعد ركناً أساسياً في تثبيت قوة المعابد، وفي مقدمتها مهرجان رأس السنة (الأكتيو). وهذا ما جعل الكهنة في بابل يتخوفون من فقدان المركزية لمدينتهم. كما أن استقراره في تيماء كان يتعارض مع مبادئ الديانة البابلية القائمة على فكرة أن بابل هي العاصمة السياسية والكونية للبلاد، ومردوك في المركز، والملك ممثله على الأرض، فبمغادرته البلاد فقدت بابل مركزيتها، وانتقلت هذه المركزية وتحولت لمكان إقامة الملك في تيماء، إضافة إلى ذلك فقد مردوك مكانته، بعد إعلاء الملك لإله آخر (سين) والذهاب إلى إحدى مراكز عبادته والمعروف أن تيماء من أهم مراكز عبادة الإله سين في شبه الجزيرة العربية. [٢]

هذه الأمور مجتمعة أدت إلى إثارة حقد الكهنة الذين تضررت مصالحهم من سياسات الملك، فروجوا الإشاعات ضده وادعوا أنه أتى بإله غير شرعي لاسيما بعد صناعة تمثال جديد لسين لوضعه في معبد (أي–خل –خل) في حران. فتذكر(verse account) عدة نصوص حول ذلك:

(1) Liverani, M, Languge writing and literature, the Deeds of ancient Mesopotamian king, p2354

(2) Beaulieu, p.A, Nabonidus The mad King, op, cit, p148

" **نابونيد ابتدع شيئاً غير مقدس وليس هناك شخص على الأرض رآه ادعى أن اسمه سين** " وفي مكان آخر تذكر " **أوجد إلهاً غير شرعي دعي من قبله سين** " [١]

وتذكر أيضاً: "نابونيد أعاد بناء المعبد في حران كجزء من تبجيله لإله مزيف دعي من قبله سين ". [٢] وتجدر الإشارة إلى أنه رغم الدعاية التي روجتها هذه الوثيقة إلاّ أن الإله سين لم يكن غريباً عن بلاد بابل، فهو معروف منذ القديم كإله سومري (نانا)، وكتب بالأكادية (سين) وارتبط اسمه بالدورة الشهرية التي تتألف من ثلاثين يوماً وهو يمثل التعاقب الطبيعي للولادة والموت المتجدد ولكن رغم ذلك لم يرق لمستوى كبير آلهة المجمع البابلي.[٣]

وبدأ معارضو الملك من الكهنة وبعض الموظفين الملكيين من أتباع مردوك والذين تضررت مصالحهم يركزون على تمجيد نابونيد للإله سين، وعدم عودته إلى بابل، وتعليقه أعيادها خاصة الأكيتو، وبما أنه (نابونيد) يمثل السلطة العليا في الدولة والمتحكم بالأمور السياسية والدينية كان لابد أن يفرض عبادة سين على سكان الإمبراطورية وغيرها من الاتهامات التي تثير السكان ضد الملك. [٤]

وبالمقابل يذكر الملك نابونيد في شاهدة حران أن خروجه من بابل وعدم عودته كان بسبب الثورة التي قادها الكهنة والاضطرابات التي أثاروها بين السكان في الدولة "**الملك انسحب من أمام تمرد رعيته التي تقطن في المدن الكبرى والذي تم قيادته من قبل الكهنة كثورة ضد سين** " [٥]

وهنا نستطيع القول أن التمرد الذي قاده الكهنة لم يكن بسبب إعلاء الملك لسين بدلاً من مردوك فقط ،وإنّما كان بسبب المصالح التي تتخفى خلف لاهوت الديانات البابلية، فالإصلاحات الاقتصادية والدينية للملك قد أثرت بشكل فعّال على فئات اجتماعية وسياسية مختلفة وبمعنى آخر أثّرت على النخبة الحاكمة في بابل، وأخذت كلٌّ منها تعطي وجهة نظر تناسب مصالحها حول

---

(1) Moukarzal, K, op, cit, pp162, 168

(2) Hasel, F, op, cit, p158

(3) Taylor, R.J, Ananalysis of celestial omina in thelight of Mesopotamian cosmology and Myth, 2006, p65

(4) Beaulieu, p.A. Babylonian background of the motif of fiery furnace in, Daniel3, University of Toronto2009, p285

(5) Moukarzal, K, op.cit, p174

أعمال الملك، وخاصة ذهابه لواحة تيماء وعدم عودته إلى بابل للمشاركة بأهم طقوسها (عيد الأكيتو) فتذكر:

(Nabounidus chronicle)" **نابونيد ارتكب أعمال كفرية ضد مردوك والاحتفال علق مؤقتاً بسبب إقامة الملك في تيماء** "

بينما تذكر (verse account): "**نابونيد ارتكب أعمال كفرية ضد ايساجلا وأعلن خططه لبناء المعبد في حران وأقسم أن لايحتفل بمهرجان الأكيتو حتى ينتهي من إعادة بناء معبد (إي-خل-خل)**" [١]، وبما أن شرعية الحكم في بلاد بابل هي عبارة عن سلسلة من العلاقات تبدأ من الإله إلى الملك، ومن الملك إلى الناس، فالملك بنظر سكان بابل يفقد شرعيته حينما يفقد اتصاله بالإله، وبالتالي يصبح غير قادرٍ على تأمين النظام والازدهار لدولته. [٢]

ثم إن هذه الدعايات السياسية المسيئة ضد الملك نابونيد قابلتها دعاية أخرى عملت على الإعلاء من شأن قورش وتصوره رجل سلام سيعيد إلى بابل عزتها ومكانتها السياسية والدينية التي انتزعها منها الملك نابونيد.

فتذكر كلٌ من (verse account) و(Nabonidus chronicle) العبارة التالية: "أعلن قورش السلام في بلاد بابل ". أما (cyrus cylinder) التي تمثل وجهة نظر السلطة الغازية التي كانت من مصلحتها الاستفادة من التناقضات الحاصلة في المجتمع البابلي تلك التي بين الكهنة والملك خاصة، واستثمارها لتحقيق مآربها السياسية وأهدافها التوسعية في تشكيل إمبراطورية أصبحت بابل فيما بعد ولاية تابعه لها. كانت على علم بأهمية الدين وخصوصيته لدى البابليين حيث حاول قورش الظهور بمظهر المنقذ والمحرر لسكان من ظلم الملك المقيم بعيداً عنهم وعن عاصمته وغير المهتم بطقوسهم و أعيادهم **فتذكر** " **رجل لا يستحق تم تنصيبه على ملكية بلاده يومياً يتكلم بلا وقار، وبسبب حقده علق جميع المراسيم والأحكام المقدسة ودمر الدين وسمح بتقديس مردوك إله الآلهة في بعض المدن وأنهاها في مدينته بابل، و قام يومياً بالأعمال**

(1) Moukarza l, K, op.cit , p180
(2) Liverani, M, op, cit, p2359

الشريرة ضد مدينته، وكانت رعيته تحت نير ظلمه بلا راحة وبسبب استيائهم من أفعاله أصبح مردوك غاضباً فترك بلادهم....." [١]

وتذكر كذلك أن الملك نابوبيد أساء لمدينة بابل بلبتعاد عنها " **نابونيد قام بأعمال كفرية ضد الإيساجيلا وبخطته أبعد القداسة عن مردوك إله الآلهة وأساء إلى مدينته بابل.**" وبسبب هذه الأعمال السيئة التي قام بها في نظر الاسطوانة، فإن مردوك هجر بابل ونابونيد معاً وغادر المدينة للبحث عن حاكمٍ عادلٍ للإقامة في أرضه أرض بابل. " **بحث مردوك في كل الأراضي عن ملك عادل واختاره وأمسك بيده وناداه باسمه قورش ملك أنزان وأعلنه ملكاً على كل العالم.**" [٢]

ثانياً: مظاهر الصراع:

١- توقف الملك نابونيد عن الاحتفال بمهرجان الأكيتو:

اتخذ كهنة مردوك من توقف الأكيتو لمدة عشر سنوات وسيلة لإظهار عدم شرعية الملك لأنّ تعليق مهرجان الأكيتو أوانقطاعه كان يتم فقط في أوقات الحروب والتمردات كما حدث في غزو سنحريب الملك الآشوري لبابل في (٦٨٩ق.م) وقد عدّ هذا الأمر حادثةً مروعةً في تاريخ بابل. حيث سبي معبد الايساجيلا ،وأخرج تمثال مردوك من مكانه وأخذ إلى آشور خلال حكم سنحريب. وقد استفاد الكهنة من هذا الأمر ليروجوا الدعايات ضد الملك نابونيد بأنه راغب في تجريد العاصمة الدينية القديمة لمردوك من دورها الكوني والديني كما فعل سنحريب من قبل. [٣]

فأهمية الأكيتو تأتي من كونه يعبر عن بداية ولادة الوقت والخلق معاً، كما أن أسطورة خلق الكون التي تلقى في المهرجان ليست إلا تأكيداً على ملكية مردوك على غيره من الآلهة إضافة إلى خلق مدينته بابل ومعبده الإيساجلا، كما أنه يمثل رأس السنة الفلكية أي بداية السنة البابلية التي تبدأ في نيسان أي في بداية الربيع. [٤]

---

(1) Harper, R.F, op, cit, p173
(2) Parker, B, op, cit, P4
(3) Grayson, A.K, Assyrian Babylonian Chronicales, 2000, p35
(4) Sommer, B.D, the Babylonian Akitu festival, p85

ومما أزعج الكهنة عدم قدوم الملك لإقامة المراسيم التي فيها يجدد الملك ملكيته عبر إمساكه بيد مردوك في معبد الإيساجلا، كما يجوب معه شوارع المدينة في موكب مهيب وبسبب انزعاجهم من ذلك قاموا بنشر الدعايات بأن نابونيد ليس ملكاً سيئاً فحسب وإنما فقد كل شرعيته كملك بعد أن فشل في تجديدها (الملكية)بعدم إقامة المراسيم السنوية لمدة عشر سنوات وبأنه لم يعد شخصاً مناسباً للحكم بعد انقطاع علاقته مع مردوك من خلال عدم تأدية احتفالات الأكيتو، التي يتلو فيها الملك الاعترافات التالية: "**لم أذنب ياسيد البلدان، ولم أكن مهملاً لإلوهيتك، ولم أخرب بابل، ولم أسبب لها الهوان، ولم أضرب الإيساجلا وأهمل مناسكه** ". هذه الاعترافات التي يجب أن يتلوها الملك استغلها الكهنة لصالحهم بأن الملك أهمل مردوك بعبادته سين وتركه بابل وذهابه إلى تيماء، ورغبته بجعل معبد الإيساجلا مكاناً لإقامة الإله سين فعملوا على تأليب الناس ضده بذريعة تركه مردوك وطقوسه ومدينته [١]

كذلك هنالك رمزية للأكيتو بالنسبة للكهنة: فهو المناسبة التي يستطيع الكاهن من خلالها إظهار موقعه السلطوي وتفوقه على الملك حيث يظهر الملك من خلال المراسم خاضعاً لأوامر الكاهن الأكبر منفذاً لجميع أوامره دون أي اعتراض على اعتبار أنها أوامر الإله [٢].

فهنا الكاهن يحيي ولو لوقت قصير تسلط الدين على السياسية فتذكر الوثائق حول طقوس الأكيتو: " **عندما يصل الملك إلى أمام Bel (Marduk) كبير الكهنة يغادر آخذاً معه صولجان الحكم والعصا وعباءة الملك والتاج ويضعهم أمام (Bel) ويضرب خد الملك، ويجره بأذنيه ويجبره أن يركع على الأرض وعندها يقول الملك الكلمات التالية: " أنا لم أذنب يا ملك الأرض.. أنا لم أهمل ألوهيتك، لم أسبب دمار بابل، لم أرتب انهيارها، أنا لم.... الإيساجلا. ولم أنس طقوسها....**" **وبعد ذلك يرجع الكاهن الأكبر الصولجان وعباءة الملك والتاج للملك ويضرب خد الملك مرة ثانية فإذا سالت دموعه يكون (Bel) ودوداً مع الملك وإذا لم تسل دموعه يكون (Bel) غاضباً وسوف يأتي الأعداء ويجلبون الدمار معهم** ". [٣]

---

[١] الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت، ٢٠١٣، ص٨٥

[2] Brish, N, Religion and power, 2008, p 109

[3] Somer, B.D, The Babylonian Akitu festival, op, cit, p83

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ التفاعل الكبير والعلاقة بين الآلهة والسكان كانت تتم عن طريق (الملك) في مهرجان رأس السنة ؛لأن الآلهة تخرج خلاله من معابدها، والناس تستطيع رؤية الآلهة التي لا تخرج من معابدها إلا في مناسباتٍ وطقوسٍ معينةٍ ،وانقطاع هذه الأعياد يولد لديهم أفكاراً بأن الآلهة غاضبة منهم ولا ترغب برؤيتهم. [١] فالملك نابونيد لم يعط مهرجان الأكيتو البابلي نفس الأهمية التي أعطاها الملوك السابقون لبلاد بابل. فتذكر (verse Account) بشكل دقيق غياب الملك خلال السنوات العشر وبأنه أوقف الجزء الأساسي في المهرجان وهو خروج مردوك من معبد الإيساجلا وقدوم نابو من معبده الإزيدا في بورسيبا طوال عقد من الزمن. "**السنة السابعة، نابونيد ملك بابل في تيماء، ابن الملك و النبلاء في آكاد، الملك لم يأت إلى بابل من أجل نيسان، نابو لم يأت إلى بابل، بل لم يتم جلبه ولم يتم الاحتفال برأس السنة هم قدموا الأضاحي في إيساجلا وإزيدا إلى آلهة بابل وبورسيبا كما هو مطلوب، هم صبوا النبيذ وحرسوا البيت.....** " وتعيد (verse Account) ذكر هذا النص طوال فترة غياب الملك في بابل كتأكيد على انقطاع العيد وعدم وجود الملك في عاصمته، وهذه الوثيقة هي برنامج سياسي دعائي ضد الملك لإظهاره بمظهر المخالف للعادات والتقاليد البابلية، وهذا دليل على أنّ هذه الوثيقة كتبت تحت إشراف المخضع الفارسي. [٢] فإقامة الملك بعيداً عن بابل وغيابه الطويل سهّل الأمر لخصومه لتشويه صورته وجعلتهم ينشرون الإشاعات بأن غياب الملك وتركه الأكيتو كان بسبب بنائه لمعبد الإله سين في حران وليس بسبب إقامته في تيماء، وبأنه كان راغباً بإزاحة مردوك من مكانه ككبير لمجمع آلهة بابل وإحلال سين بدلاً عنه وغيرها من الاتهامات التي تحرك مشاعر الناس على اعتبار أنه يوجد شيء ثابت ومستقر وغير قابل للنقاش مهما حدثت تغيرات في الدول وهي أمور مطلقة ومسلم بها حتى الحاكم لا يستطيع تجاوزها ويستطيع المرء فيها أن يعارض سلطة الملك ألا وهي " **الدين**" الذي ارتكز في بابل على اعتبار أن مردوك كبيراً لمجمع آلهة بابل وهو شيء ترعرعت في ظله حضارات بلاد بابل.[٣]

(1) Waerzeggers, C, op, cit, p168

(2) Harper, R.F, op, cit, p168

(3) Rahe, P.A, Between trust and distrust thefederalist and the Emergence of Modern Republican Constitutionallism, 1999, p3

٢- التغيير الديني:

وضمن سياسات الملك نابونيد فيما اصطلح على تسميته من قبل الباحثين "الإصلاح الديني" أو التغيير الديني، فقد حاول الملك أن يغير المعبد العظيم لمردوك في بابل (إيساجلا) ويجعله مركزاً لتقديس الإله سين محاولاً بذلك أن يقنع كهنة إيساجلا في بابل أن معبدهم يعود لإله القمر بسبب رمزيته التي تأخذ شكل هلال القمر " عندما رأى نابونيد رمز القمر الهلال للإيساجلا، أخذه بيده، جمع مجموعة من الحكماء وتكلم إليهم: لأجل (رمز القمر) المعبد... هذا هو رمزه، لو كان بالفعل (بل) كان سيشاهد مع المجرفة، لذلك شاهد سين معبده هذا برمز هلال القمر". [١] فكهنة الإيساجيلا رأوا بهذه التغييرات خطراً يهدد موقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وحتى الديني وسيؤدي إلى جعل القيادة العليا للدولة بيد كهنة سين وبالتالي غيابهم عن مركز القرار في الدولة [٢] لذلك أشاعوا أن هذا تعدياً على الآلهة لأنه وبحسب الإينوما إيليش الآلهة هي من بنت الإيساجيلا إكراما لأعمال مردوك فمحاولة التعدي على المعبد وإعطائه لإله آخر هو تجرّءٌ على الآلهة الأمر الذي سيجر على الدولة الكثير من الدمار والخراب وابتعاد إلهها الحامي عنها. وقد بلغ ما سمي "**الإصلاح الديني** " ذروته عندما عمل الملك نابونيد في سنوات حكمه الأخيرة بعد عودته من تيماء لبابل إلى القيام بالاحتفال بعيد الأكيتو على شرف الإله سين وليس الإله مردوك. فالاحتفال حدث في ١٧ تشرين، وهو العيد المكرس للإله سين ويُحتفل فيه دائما في حران في هذا الوقت أيضاً. أما عيد الأكيتو البابلي فهو في نيسان في الربيع، وقد دلت الدراسات الحديثة أنه تم الاحتفال في ١٧ تشرين الثاني بعيد الأكيتو على شرف سين وليس مردوك وذلك بالاعتماد على حقيقتين، الأولى تعتمد على الحقائق الفلكية لحركة القمر والثانية بالاعتماد على فك شيفرة لمخطوطة آرامية عرفت (Papyrus Amherst) [٣]. فالدليل القائم على الحقائق الفلكية لحركة القمر: هو أن القمر يظهر مكتملاً في السنة في نفس الوقت بعد غروب الشمس، الظهور الأول: في أيلول وكان يدعى قمر الحصاد (موعد الحصاد)، والظهور الثاني في تشرين أول ويدعى (قمر الصيد) [٤] وبالتالي فإن

---

(1) Beaulieu, P.A, The Reign of Nabonidus King of Babylon 556-539B.C, 1989, pp216-217

(2) Zawadzki, S, op, cit, P145

(3) Wolters, Al, Belshazzarsfeast and cult of the moon god Sin, 1995, p202

(4) Moore, P, Guide the moon, London1976, p52-54

البابليين الذين استخدموا تقويم القمر كانوا على معرفة دقيقة بحركة القمر فلا يمكن أن يخطئوا بهذا الأمر، فالعيد على شرف الإله مردوك في نيسان وليس في تشرين والملك نابونيد احتفل في ١٧ تشرين حينما كان القمر مكتملاً، فهو يحرز سلطته خلال الليل لتقديسه من قبل عابديه ومقدسيه، وبالتالي من المناسب القول أن مهرجان الأكيتو في ١٧تشرين كان على شرف الإله سين. [١]أما الدليل القائم على فك شيفرة آرامية التي تعرف باسم (Papyrus Amherst)، والتي اكتشفت في منطقة سيناء والعائدة إلى مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون بإصولهم إلى منطقة (Rash) الواقعة في بلاد بابل والقريبة جغرافياً من مدينة أور التي تعد أهم المراكز لعبادة الإله سين إله القمر في بلاد بابل بعد حران.

والطقوس الموجودة في الصلاة ما هي إلا مهرجان رأس السنة المقام للإله سين في ١٧ تشرين وليس للإله مردوك في نيسان، وهذا ما بينته الصيغ المكتوبة، التي تدل على إقامة الطقوس في الليل عندما يكون القمر مكتملاً، كما أنه تم العثور على شاهدة لمهرجان الأكيتو في أور، وهو مُقام على شرف الإله سين أيضاً. ودلت المكتشفات أنه يوجد في بلاد بابل احتفالان لرأس السنة احتفل بهما بأكثر من مكان، ولأن نابونيد كان مقدساً وعابداً للإله سين بدلاً من الإله مردوك لهذا فهو قاطع مهرجان نيسان المكرس للإله مردوك وفضل الأكيتو في تشرين المكرس للإله سين. [٢]

وهكذا نرى أن الملك نابونيد لجأ إلى اتخاذ الدين ستاراً لتحقيق أهدافه السياسية التي هدفت ربما لجمع قوة كبيرة للوقوف بوجه قورش الفارسي وقد يكون هذا السبب وراء تركه عاصمته بابل والبقاء في تيماء عشر سنوات، ولكن محاولته إيجاد الوحدة السياسية تحت الإطار الديني جعلته يصطدم بتيار معارض تمثل بالكهنة (كهنة مردوك) الذين تعاونوا مع الخارج المتمثل بقورش الفارسي من أجل القضاء على سلطة الملك نابونيد دون الأخذ بعين الاعتبار إلى أن هذا سيؤدي إلى إنهاء استقلال بابل إلى الأبد. ولكن لا بد من التنويه إلى أن الملك نابونيد لم يكن الوحيد الذي أراد جمع أركان دولته تحت راية دينية موحدة، فقد سبقه لذلك الملك المصري أخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م) من الأسرة الثامنة عشر، الذي أعلى من شأن الإله أتون (الشمس) على حساب الإله

(1) Wolters, Al, op, cit, p203
(2) Ibid, pp204-203

أمون إله مصر الأعلى، و قد شن حرباً اقتصادية على كهنة المعبد، وصادر ممتلكاتهم، ونقل العاصمة بعيداً عنهم وقد يكون أراد من وراء ذلك توحيد شعبه دينياً، وبالتالي فإن المتضررين من هذه السياسات لن يجعلوا الوحدة تستمر مهما كانت مهمة لأن ذلك يسبب لهم خسارة كبيرة حتى ولو لجؤوا إلى أعداء البلاد في الخارج ليقضوا على الأخوة في الداخل وحتى لو أدى ذلك لتدمير كيان الدولة وتحويلها لتابع خاضع لدول أخرى طوال حياتها.

الفصل الرابع

إقامة الملك نابونيد في تيماء

اولاً – تيماء موقعها، أهميتها، وذكرها في المصادر المسمارية والعهد القديم

ثانياً – أعمال الملك نابونيد في تيماء

ثالثاً – أسباب ذهاب الملك نابونيد إلى تيماء

إقامة نابونيد في تيماء

قبل البدء بتفاصيل وأسباب ذهاب الملك نابونيد إلى شبه الجزيرة العربية وإقامته في تيماء نحو عقد من الزمن، لا بد لنا من الإشارة إلى أوضاع بلاد بابل والمناطق المحيطة بها في تلك الفترة التي سبقت ذهابه إليها.

فبعد وفاة الملك البابلي الكبير نبوخذ نصر الثاني (٥٦٢ق.م) ورغم الإرث الحضاري الكبير الذي تركه إلا أنه أنهك خزينة الدولة وحمّلها فوق طاقتها ومردّ ذلك إلى النفقات الضخمة والمبالغ الباهظة التي صرفها في إعادة إعمار بابل والمدن الأخرى.

وقد تلت وفاته فترة اضطرابات استمرت ما بين (٥٦٢- ٥٥٦ ق.م) أدت إلى زعزعة الهيبة البابلية، وفي هذه الفترة كانت الأوضاع خارج بلاد بابل تتغير بشكل دراماتيكي وسريع جداً، فقد ظهرت دول جديدة وتطورت لتتحول إلى إمبراطوريات كبرى قضمت إحداها بلاد بابل فيما بعد وهي الإمبراطورية الفارسية الإخمينية بقيادة قورش ثم تلتها الإمبراطورية المقدونية بقيادة الإسكندر المقدوني، وترافق ذلك مع صعوباتٍ تجاريةٍ كبيرةٍ، إذ أن المراكز التجارية في شرق البحر المتوسط لم تعد موجودة على الساحل الفينيقي، بل تحولت إلى اليونان، وهذا الأمر حرم بابل من الموارد التجارية لتلك المناطق، إضافة إلى سيطرة الفرس الأخمينين على الطرق التجارية في الشرق والشمال، كما أن النشاطات العمرانية للملك نابونيد وبحثه عن آثار أسلافه كلفت خزينة الدولة مبالغ باهظة، وهذا ما ترك أثره على الاقتصاد العام في الدولة وأدى إلى ارتفاع الأسعار والضرائب، بمعنى آخر تضخم اقتصادي كبير؛ إذ ارتفعت أسعار المواد خمسين بالمئة لما كانت عليه ما بين عامي (٥٦٠- ٥٥٠ ق.م).[1]

وترافقت هذه الأمور مجتمعة بظهور المشكلة السياسية الدينية المتمثلة بغياب التناغم والانسجام بين أقوام الدولة البابلية الحديثة التي حاول الملك نابونيد التقريب بينها بفرض الإله سين

[1] Roux, G, op, cit, pp 402, 403

كإله رئيسي في الدولة بدلاً من مردوك إله بابل الأعلى مما أدى إلى صدامٍ حادٍ مابين الدولة كسلطة زمنية، والمعبد كسلطةٍ روحيةٍ، وهذا ما تم ذكره بالتفصيل في الفصل السابق.

هذه الأمور وغيرها قد تكون من الأسباب التي دفعت الملك نابونيد للذهاب إلى تيماء وترك عاصمته بابل، وقد أثارت إقامته هذه جدلاً كبيراً بين الباحثين لمعرفة الأسباب الرئيسية والدافع الحقيقي وراء ذهابه، لعدم وجود أيّة وثيقة أو دليل يوضح هذا الانتقال غير المسبوق لملك بابلي ليبتعد آلاف الكيلومترات عن عاصمته إلى منطقة يحيط بها بحر من الرمال والصحارى القاحلة، ولا يفكر بالعودة إليها، تلك المدينة التي كانت تعد من أزهى مدن عصرها، مما ترك الباب مفتوحاً على تساؤلات كثيرة حتى يتم العثور على دليل يضع الأجوبة لكل منها.

أولاً – تيماء موقعها، أهميتها، وذكرها في المصادر المسمارية، والعهد القديم:

تقع واحة تيماء في الطرف الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وهي واحةٌ ضخمةٌ تتوسط الطريق بين الحجاز والشام، وبين بابل ومصر، كما أنها تربط خليج العقبة غرباً بالخليج العربي شرقاً، وتمر عبرها القوافل القادمة من اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً، محملةً بالبخور والصمغ، إضافة إلى التوابل من جنوب أسيا والشرق الأقصى.[١]

ولقرون عديدة كانت هذه الواحة محطة استراحة للمسافرين من مشاق السير في الصحراء لتزويدهم بالماء والطعام.[٢]

فهي أرض خصبة زرعت فيها أشجار النخيل التي اعتمدت في ريّها على مياه بئر هداج وهي ذات مناخ صحي.[٣]

كما كانت من أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية، وتعود أقدم كتابة تاريخية ورد فيها اسم واحة تيماء إلى زمن الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث (٧٤٤– ٧٢٧ ق.م)، الذي وجّه حملة ضد المدن والقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ومنها تيماء، وتسلّم الجزية من تلك

---

(1) Dougherty, R, P, Nabonidus and Belshazzar, 1929, P105

(2) Lawler, A Op. cit, p 868,

(٣) أنور رشيد، صبحي، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في أثار تيماء، سومر، مج ٢٩، ج ١+٢، المديرية العامة للآثار المتاحف، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٠٧

المناطق، كماُ ذكرت في حوليات الملوك اللاحقين حتى عهد الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م) حيث حاولوا فرض سيطرتهم عليها لتأمين أهم الطرق التجارية في تلك المنطقة. [١]

وفي عهد الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦- ٥٣٩ ق.م) وجّه ملوك هذه الدولة حملات للسيطرة على تلك المناطق العربية، وهذا ما أتاح لهم التحكم بالطرق التجارية الهامة وأشهرها طريق البخور والتوابل، إذ قام الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤- ٥٦٢ ق.م) في السنة السادسة من حكمه (٥٩٩ق.م) بتوجيه حملة ضد العرب تمكّن خلالها من الحصول على الكثير من الغنائم، إلا أن الحقبة الأكثر وضوحاً لعلاقة شبه الجزيرة العربية لاسيما القسم الشمالي الغربي منها ببلاد بابل هي الفترة الممتدة ما بين (٥٥٣ – ٥٤٣ ق.م) ؛أي فترة العشر سنوات التي قضاها نابونيد آخر ملك بابلي هناك. [٢]

ولا بد من الإشارة إلى أن اسم تيماء قد ذكر في العهد القديم باسم تيمان، وذلك في سفر إرميا على الشكل الآتي: " **هكذا قال ربّ الجنود ألا حكمةً بعد في تيمان**".[٣]

أما خروج الملك نابونيد من عاصمته بابل وتوجهه إلى تيماء فقد أثار عدة تساؤلات؛ إذ قام بنقل مركز ثقل الدولة البابلية الحديثة إلى تيماء، وذلك حينما انتقل معه رجال بلاطه والتجار و جنود دولته، وذلك في السنة الثالثة من حكمه (٥٥٣ق.م) وأوكل لابنه وولي عهده بل شار أو صور مهام تسيير أمور دولته خلال فترة غيابه التي دامت عشر سنوات متتالية دون التفكير بالعودة خلالها لعاصمته بابل.حيث اتجه عبر سورية إلى شمال الأردن وصولاً إلى شمال غرب شبه الجزيرة العربية. [٤]

---

(1) Al-Muaikal, K.I, A critical study of the archaeology of Jawf region of Saudi Arabia with additional material on its history and Arabic Epigraphy, 1988, pp2-11

(2) Huth.M and Van, P.G, coinage of Caravan Kingdoms, Studies in Ancient Arabian Monetization, New York, 2010, p44

[٣] إرميا، الإصحاح التاسع والأربعون.

[٤] غزالة، مرجع سابق، ص ١٥٢.

حيث تذكر إحدى الوثائق " حينما كانت سنته الثالثة في بدايتها، عهد بمعسكرات الجيش لابنه الأكبر، وكل القوات خضعت لأوامره، أما بالنسبة إليه (الملك نابونيد) سلك طريقاً بعيداً، إلى جانبه جيش بلاد أكاد متوجهاً إلى تيماء نحو الغرب." [١]

ثانياً – أعمال الملك نابونيد في تيماء:

يبدو جلياً من خلال الوثائق التي تؤرخ فترة وصول الملك نابونيد إلى تيماء، أنه دخل إليها عنوة، حيث تذكر الوثائق أنه قام بقتل ملك تيماء وعدد كبير من سكانها وليس ذلك فحسب، ولكنّ المواشي لم تسلم من بطشه كذلك، وتذكر أيضاً أنه بعد إحكام السيطرة عليها قام بإعادة بناء هذه الواحة وجعلها مدينة مزدهرة، وبنى فيها قصراً يماثل قصره في بابل فتذكر أحد النصوص:

" **هو (نابونيد) شق طريقاً بعيداً وحال وصوله قتل يتر ملك مدينة تيماء بالسلاح، وأراق (دماء) مواشي أهل المدينة (تيماء)، ومواشي أهل المناطق المحيطة بها، أما هو نفسه فأقام في تيماء، ومعه أقامت القوات الأكادية، وجمّل المدينة (تيماء)، وبنى قصراً مشابهاً لقصر بابل، وبنى..... وأودع ثروة المدينة (تيماء) وثروة المنطقة المحيطة بها فيه..... والحرس يحيطون به..... ويتحسرون بصوتٍ عالٍ..... جعلهم يحملون اللبن والسلال، من جراء العمل....،..... شهرين..... قتل الناس..... رجالاً و..... نساء، صغاراً وكباراً..... أضاع ممتلكاتهم..... الشعير الذي وجد فيها (تيماء)،.....** " [٢]

كما تذكر كلٌّ من (verse account)، (Nabonidus chronicle) عن حملة الملك نابونيد وأعماله ضد تيماء وأهلها: " **الملك عهد بالسلطات الملكية لابنه بيل شار أو صور، وقام بحملة عبر أمورو ضد تيماء للسيطرة عليها، ومارس الوحشية من السلب والنهب، وشرع بأعمال بناء فيها مشابهة في عظمتها تلك الموجودة في بابل**" [٣]

وقد تكون هذه الوثائق التي تعبر عن وجهة نظر سياسية معارضة لسياسية الملك مبالغاً فيها، إلا أنها في الوقت ذاته تظهر معلومات غائبة بشكل كامل عن وثائق الملك نفسه التي لم

---

(1) Hasel, G.F, op, cit, P 156

(٢) السعيد، مرجع سابق، ص ١٨، ١٩

(3) Moukarzal, K, op, cit, pp162, 160

تعط أيّة معلومة أو إشارة حيال دخوله إلى تيماء وموقف السكان منه. كما قام الملك بالسيطرة على عدد من الواحات المحيطة بتيماء مثل دادان، فدك، خيبر، يديع، يثرب، حيث يذكر الملك في شاهدة حران سيطرته على هذه المناطق: " **ولكنني أبعدت نفسي عن مدينتي بابل وسلكت الطريق إلى تيماء، Dadanu – دادانو(العلا حالياً)، –Padakku – باداكو (فدك)، chibra– خيبيرا (خيبر)، Yadichu– يديخو (يديع – الحويط حالياً)، حتى Yatribu– يتريبو (يثرب – المدينة المنورة)، عشر سنوات تجولت بينها ولم أدخل مدينتي بابل**". [١]

وتبين مخطوطات عُثر عليها في جبل غنيم (Ghunaiym) قرب تيماء كتبت من قبل أهالي مدينة تيماء، تذكر مساعدتهم للملك نابونيد في حربه ضد دادان حيث يذكر فيها " **حرب ضد دادان**" حيث دخلها الملك نابونيد وقتل ملكها. [٢]

وتعد دادان من أهم الواحات المنافسة لتيماء تجارياً فهي تسيطر على تجارة القوافل القادمة من اليمن إلى مصر والبحر المتوسط. [٣]

وتعد هذه الواحات الخمس التي ذكرتها شاهدة حران من أهم المراكز الرئيسية على طريق التجارة القادمة من جنوبي شبه الجزيرة العربية، والمعروفة باسم طريق البخور. وكانت تيماء هي المركز الرئيسي لإقامة الملك نابونيد في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وقد أرسل الحملات العسكرية لضبط الأمن في المنطقة. وهنا يجب ألا نغفل عن فكرةٍ مهمةٍ وهي أنه على الرغم من سيطرته العسكرية على تيماء والواحات الخمس الآنفة الذكر إلا أن هذه المنطقة الصحراوية كانت مليئة بالقبائل البدوية التي تعتمد الغزو من أجل العيش، لذلك يبدو أن الملك نابونيد لم ينعم بالسلام الدائم في هذه المنطقة، حيث تذكر الوثائق قيامه بتسيير حملة بقيادة قائد جيشه لمعاقبة إحدى القبائل العربية التي ربما أغارت على مدينته الجديدة (تيماء)، أو كانت تثور ضد وجوده في المنطقة، وترفض الخضوع لسلطته.

---

[١] مرعي، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص ٣٤

[2] Huth, M, & Van, p.G, op, cit, p44

[3] Macdonald, M.C.A, Arabs & Empires before sixth century, Oxford university, 2014, p18

فتذكر إحدى الوثائق: " **أنا مردان صديق نابونيد ملك بابل، أتيت مع قائد الجيش (كي)، ليدخل خلف (ليطارد، ليتعقب) أفراد قبيلة لعق**". [١]

وبسبب هذه الاضطرابات احتاج نابونيد لقوة عسكرية كبيرة لمساندته، وذلك لأن استقراره في شبه الجزيرة العربية كان أمراً جديداً وغريباً لسكان المنطقة، الذين اعتادوا على غارات ملوك آشور وبابل ودفع الضرائب لهم، لكن لم يعهدوا السيطرة المباشرة وبقاء الحاكم لفترة طويلة في أراضيهم، لذلك كانوا معارضين لبقائه، وعلى ما يبدو استطاع نابونيد في نهاية الأمر ضبط الموقف لصالحه، وجعل من الواحات الست جزءاً من دولته، وعمل على تأسيس عدد من الحاميات العسكرية والمحطات التجارية بين تيماء ويثرب ليضمن سيطرته الفعلية عليها، وليسخّر إمكانياتها لخدمة مصالحه. [٢]

كما تذكر كل من (verse account)، (Nabonidus chronicle) غياب الملك نابونيد عن بابل وإقامته في تيماء لمدة عشر سنوات حيث كانتا تكرران سنوياً وطوال مدة غيابه العبارات التالية: " الملك أقام في تيماء، بينما ابن الملك والنبلاء في آكاد، الملك لم يأت إلى بابل من أجل نيسان، نابو لم يأت إلى بابل، بل لم يتم جلبه، ولم يتم الاحتفال برأس السنة." [٣]هذا دليلٌ واضحٌ على أن الملك لم يحضر إلى بابل حتى من أجل مهرجان الأكيتو (رأس السنة البابلية) الذي يعد أهم الأعياد التقليدية في بابل مما أدّى إلى توتر الأجواء ما بين كهنة مردوك في بابل والملك نابونيد، وهذا ما ناقشناه في الفصل السابق.

ولكن مع ذلك ورغم إقامته الطويلة في تيماء إلا أنه كان يمارس صلاحياته كملك، حيث استقبل الوفود من الممالك والدول المجاورة له، الذين سعوا لإقامة علاقات سلام معه، إذ تذكر شاهدة حران عن علاقات ود وسلام عقدها نابونيد مع ملك مصر أحمس الثاني (٥٦٩-٥٢٥

(1) Macdonald, M.C.A, Op. cit, p17
(2) Frame, G, Mesopotamia (Nabonidus & the history of the Eulmas temple at Akkad, university Torino 1993, p218
(3) Zawadzki, S, op, cit, p149

ق.م) وغيره من الملوك: " ملك بلاد مصر (وملك) بلاد العرب، وكل الملوك المعادين بعثوا (الوفود) لعقد معاهدات السلم والصلح (معي). [١]

كما تؤكد إحدى الوثائق العائدة إلى السنة العاشرة من حكم الملك نابونيد (٥٤٥ق.م) على سير قوافل من الإبل تعمل على نقل المؤن من معبد إنانا عشتار في أوروك إلى مكان إقامة الملك في تيماء. [٢]

وهذا دليلٌ واضحٌ على أنّ الملك نابونيد بقي يمارس نشاطاته ويسير أمور دولته، على الرغم من ابتعاده عنها كل هذه المسافة. فما هي الأسباب الحقيقية التي تدفع ملك أقوى دولة في تلك الحقبة لهجر عاصمته عقداً من الزمن إلى الصحراء؟ وما هي الدوافع لعدم عودته إلى عاصمته بابل خلال هذه المدة التي تعد أكثر سني حكمه السبع عشرة؟. سنحاول طرح جميع التساؤلات التي قد يكون أحدها السبب الرئيسي أو كلها مجتمعة لإقامته في تلك المنطقة، وذلك بسبب الافتقار لأي وثيقة توضح الدافع الحقيقي لذهابه.

ثالثاً – أسباب ذهاب الملك نابونيد إلى تيماء:

اختلف الكثير من الباحثين في تحديد السبب الجوهري والقوي وراء إقامة الملك نابونيد في تيماء، فيشير قسمٌ منهم إلى أن سبب إقامته هناك هو ما قدمه نابونيد نفسه في شاهدة حران التي تعد سيرة ذاتية لأعمال الملك نابونيد ووالدته أدا غوبي، حيث يذكر الملك أن ابتعاده عن عاصمته كان بسبب حدوث تمردٍ وعصيانٍ شديدٍ من قبل مواطني دولته، وخاصة سكان بابل وبورسيبا وأور وسيبار ولارسا بقيادة الكهنة في تلك المدن عامة، وكهنة مردوك في بابل خاصة، الذين رفضوا وبشدة طلب الملك لهم بالمساعدة في إعادة بناء معبد (إي – خل – خل) معبد الإله سين في حران. لاسيّما بعد ما شعروا بتراجع مكانتهم الدينية والسياسية على حساب الإله سين وكهنته، فضلاً عن الغضب الشديد من الملك جراء إهماله لمردوك ولكثير من الطقوس البابلية التقليدية، وتدخله المباشر بأمور المعابد الاقتصادية مما أثّر على خزينة المعابد، وجعل الكهنة يشجعون الناس للتمرد على سياسات الملك وخاصة أن سكان بابل رأوا في الملك نابونيد مغتصباً للعرش

[١] السعيد، مرجع سابق، ص ٣٠
[٢] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مرجع سابق، ص ٢١٤

وغير شرعي لتركه مردوك وعبادته سين. فالملك نابونيد في شاهدة حران يتهم سكان تلك المدن أنهم أخطؤوا حينما رفضوا مساعدته في إعادة تجديد معبد سين في حران، وقاموا بتصرفات سيئة ولم يحترموا قداسته، الأمر الذي أدى لمعاقبتهم من قبل الإله سين بالجوع والمرض الشديد وإنقاص أعدادهم، بينما الملك نابونيد جعله يبتعد عن مدينته بابل، وهنا على ما يبدو أن الملك نابونيد أراد أن يبتعد روحياً وجسدياً عن بابل، روحياً بتركه عبادة مردوك، وجسدياً لذهابه لتيماء لمدة عشر سنوات.

فتذكر شاهدة حران: " **أن نابونيد، ابن وحيد ليس له أحد، لم يكن في ذهنه تسلم العرش الملكي، الآلهة و الألهات صلوا من أجلي، ودعوني لتسلم الحكم في الليل، جعلني أرى حلماً (قالي لي فيه) ما يلي: (إي – خل – خل) معبد سين في حران شيده بسرعة، أريد أن أعطيك كل البلاد في يديك، الناس سكان بابل، وبورسيبا، ونيبور وأور وأوروك ولارسا والكهنة، أناس من مناطق سكن في آكاد أخطاؤوا في حق ألوهيته الكبرى، وارتكبوا إثماً في عدم معرفة الغضب المخيف لملك الآلهة نانا (سين)، نسوا طقوسهم وتكلموا كذباً وزوراً، ككلاب افترسوا بعضهم بعضاً، جعلت الآلهة مرضاً وجوعاً ينتشر بينهم، هو (سين) أنقص سكان البلاد، أما أنا فقد جعلني أهرب من مدينتي بابل، وسلكت الطريق إلى دادانو، بداكو، خيبيرا، يديخوا، حتى يتريبو، عشر سنوات تجولت بينهم ولم أدخل مدينتي بابل**". [١]

ولكن رغم وجود هذا النص الصريح في شاهدة حران، إلا أن هناك عدة تساؤلات يمكن أن تطرح، فمن غير المقنع أو المتوقع أن يقوم ملك بترك عاصمة دولته كل هذه الفترة بسبب عصيان أو ثورة قامت ضده. فالمتوقع منه أن يعمل جاهداً بشكل أو بأخر لقمع هذه الثورة أو التمرد، لا الانسحاب والابتعاد آلاف الكيلو مترات وترك معارضيه يشعرون بلذة النصر عليه. أما مسألة المجاعة التي ذكرت في النص، فالوثائق الاقتصادية للدولة البابلية الحديثة، تلك العائدة لفترة حكم نابونيد (٥٥٥–٥٣٩ق.م) خاصةً، نذكر أنه فقط في السنة (٥٤٤ق.م) وهي السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد قامت امرأة أرملة من أوروك بتقديم ولديها كعبيد لمعبد الإلهة إنانا (عشتار)، والسبب أن زوجها قد مات ولم يعد لها من معيل، والمجاعة سيطرت على البلاد، وأنها لم تعد قادرة

[١] مرعي ،بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها ،مرجع سابق ،ص٣٥.

على تأمين الطعام لهم، ولكن هناك وثائق تعود للسنة التالية أي (٥٤٣ق.م)، تذكر أن الجفاف والمجاعة، كان هناك كميات كبيرة من الأمطار سقطت، وأن (٢٣٠) مكيال من الشعير كان يكلف شيقلاً واحداً فقط، أي أقل بنحو الثلث من السعر المعتاد. [١]

تجدر الإشارة إلى أنه خلال هذه السنوات التي ذكرت فيها المجاعة لم يكن الملك نابونيد في بابل، بل كان يقيم في واحة تيماء. فلا نستطيع القول أن المجاعة والتمرد سببان كافيان ليقوم الملك نابونيد بترك عاصمته مدة عشر سنوات دون التفكير بالعودة إليها كل هذه الفترة. وقد تكون غايته من ذكرها التبرير لتركه عاصمته والعمل على تحقيق أهدافه الدينية والشخصية، بعيداً عن التوترات الناتجة عن أعمال كهنة مردوك، الذين بدؤوا يتلمسون تراجع مكانتهم، وخاصة بعد بناء معبد سين في حران.

ويرى باحثون آخرون أن سبب ذهابه إلى تيماء كان لاعتبارات دينية، وخاصة أن تيماء أحد مراكز عباة إله القمر حيث كان يعبد فيها الإله (صلم)، الذي يعتقد أنه أحد أوجه إله القمر، وبأن ذهابه كان بقصد التفرغ لعبادة إله القمر، وهذا ليس بالسبب الكافي أو الوجيه كذلك، لأن دخوله تيماء كان على شكل غازٍ ومحتل، إذ عمل على قتل ملك تيماء وعدد كبير من سكانها إضافةً إلى حيواناتها وهذه الأعمال لا تنم عن رغبة قوية في التعبد أو نشر ديانة، فالدين لا يكون بالإكراه والقتل، وإنما بالسلام والرحمة.وكما يذكر الدكتور سعيد فايز السعيد: " **أنه لو كان السبب الديني هو دافع نابونيد لترك بلاده، إذاً لما كان اختار تيماء، بل كان يجب أن يختار حران لكونها أكبر مراكز عبادة الإله سين الذي انتصر له نابونيد**". [٢]

وهناك احتمال آخر للتوجه إلى تيماء، هو أن صحة الملك نابونيد قد شابها المرض، حيث تذكر شاهدة قمران أن شخصاً يهودياً قام بإعطاء الملك نابونيد نصيحة إثر معاناته من مرض جلدي، وهي الذهاب إلى الصحراء، وأخبره أنه سيشفى إذا صلى لإله اليهود، وتيماء معروفة بمناخها الصحي، والجفاف هو المناسب لمثل هذه الأمراض، حيث تذكر الشاهدة: " **نذكر هنا**

---

[1] Dandamaev, M.A, op, cit, p265

[٢] السعيد، مرجع سابق، ص ٨

* شاهدة قمران (في فلسطين) وصلاة قمران وهي إحدى مخطوطات البحر الميت وقد وجد القسم الأكبر منها عام ١٩٥٥ وهي تعود للنصف الثاني من القرن الأول ق.م وهي جزء من عمل مكتوب باللغة الآرامية. انظر هاري ساغز، عظمة بابل، ص ١٦٩

الكلمات والصلوات التي تفوه بها نابونيد ملك آشور وبابل، الملك العظيم عندما أصابه مرض جلدي بغيض طبقاً لمشيئة الله ذي القدرة العالية، وذلك وهو في مدينة تيماء، حيث يقول: لقد أصبت بمرض جلدي خبيث لمدة سبع سنوات، ولكن وبعد أن اعترفت بذنوبي وأخطائي منحني الله القرار المحبب، وكان هناك أحد اليهود من.... ولقد أخبرني أن أسبح بحمد الإله العالي الشأن القدير." [١]

ولكن هذا لا يعد سبباً كافياً أيضاً حتى بمنعه من العودة لعاصمته، أو حتى العودة للمشاركة بأيٍّ من مناسباتها، وخاصة عيد الأكيتو (رأس السنة البابلية) مما أدى إلى زعزعة الثقة بينه وبين كهنة بابل، وأدّى في نهاية المطاف إلى جعل بابل لقمةً سائغةً للفرس وتحت سيطرتهم. ويرجح عدد كبير من الباحثين أن إقامة الملك نابونيد في تيماء كانت بسبب الوضع الاقتصادي المتدهور التي عانت منه بلاد بابل، وخاصة بعد حرمانها من الموارد التجارية من الشرق والشمال بسبب السيطرة الفارسية على تلك المناطق، بالإضافة إلى أن الرمال منعت السفن التجارية من أن تصل لميناء أور بعد أن طفت على سواحل الخليج العربي في جنوب بلاد بابل بينما أصبح ساحلها الشرقي تحت مراقبة الفرس وسيطرتهم مما حرم بابل الكثير من المواد الأولية، التي كانوا يحصلون عليها من تلك المنطقة.[٢]

لذلك قد يكون الوضع الاقتصادي المعقد هو الذي دفع الملك نابونيد للبحث عن سبل وطرق جديدة لإعادة اقتصاد دولته. وبما أنه قبل تسلمه العرش كان على اطلاع واسع بأمور الحكم و واردات الدولة وأهمية المناطق الخاضعة لها، وما يميز كل منطقة بالإضافة إلى أهم طرق المواصلات والتجارة. لذلك قد يكون الملك رأى أن الطريق البري عبر الصحراء هو الحل الأمثل، والذي كان تحت سيطرة العرب وينتفعون بتجارته، كما كان على معرفة تامة بما كان يحصل عليه ملوك آشور وبابل من ضرائب وغنائم كانت تفرض على تلك المناطق التي تمر عبرها الطرق التجارية، لاسيما الطريق التي تعرف باسم طريق التوابل والبخور والحرير. فهذه الطريق تبدأ من

---

[١] ساغز، مرجع سابق، ص ١٧٠

[٢] مرعي، بابل في عهد نابونيد أخر ملوكها، مرجع سابق، ص ٣٦

منطقة الجرعاء على الخليج العربي مارةً بالإحساء فالهفوف وحائل عابرةً تيماء باتجاه الغرب إلى أبلة (العقبة) ومصر.[١]

ومن ثّم فإن السيطرة على هذه الطريق سيمكن الملك نابونيد من التحكم بتجارة مصر وفرض الضرائب على بضائعها. كما أنه سيكون كذلك ورقة ضغط ضد فرعون مصر تمنعه من القيام بأي عمل يهدد مصالح بابل. وخاصة أن المصريين منذ القديم كان لهم أطماع كبيرة في السيطرة على قسمٍ كبيرٍ من الأراضي الواقعة تحت سيطرة الدولة البابلية، وبشكل خاص في سورية وفلسطين.

فباستيلائه على هذه الطريق، وإحكام السيطرة عليها سيجعل المصريين يفكرون ملياً قبل الإقدام على أيّ عمل يهدد بابل. وتظهر الوثائق أن علاقة الملك نابونيد مع فرعون مصر كانت جيدة، حتى أنه قام بعقد معاهدة دفاعية معه ضد قورش الفارسي، فيذكر نابونيد في شاهدة حران أن: "**ملك بلاد مصر وملك بلاد الميديين و..... لعقد معاهدات السلم والصلح معي** ". [٢]

كما أن السيطرة على تيماء والواحات الخمس الأخرى (دادان –فدك –يثرب –يديع –خيبر)، يعني السيطرة على الطريق التي تمر من جنوبي شبه الجزيرة العربية نحو دمشق وحلب وحتى الأناضول شمالاً، الذي كانت تمر عبرها قوافل البخور والصمغ إضافةً إلى التوابل من جنوب أسيا والشرق الأقصى إلى بلاد بابل والشرق الأدنى القديم عامةً.[٣]

لذلك نرى أن الملك نابونيد لم يكتف بالسيطرة على تيماء والواحات المحيطة بها، بل قام بإنشاء محطاتٍ تجاريةٍ خاضعةٍ لمراقبةٍ مباشرةٍ من قبله، ليتمكن من خلالها الإشراف على حركة التجارة والتجار ونقل البضائع من شبه الجزيرة العربية إلى أسواق العالم القديم وبالتالي استغلال موارده بما يخدم مصالح اقتصاد دولته المترنح. [٤]

وبسيطرته على هذه الواحات وطرقها التجارية سيتمكن أيضاً من توسيع دولته نحو الغرب ويجعل من واحة تيماء التي كانت تمثل العاصمة الفعلية للدولة البابلية الحديثة لأنها كانت مقر

---

[١] المرجع نفسه، ص ٣٧

[2] Shuaib, M.G, The Arab of North Arabia later Pre-Islamic times Qedar, Nebaioth others, 2014, p134

[3] Macdonald, M.C.A, op, cit, p16

[٤] السعيد، مرجع سابق، ص ٣١

الملك حيث قضى فيها أكثر سني حكمه السبع عشرة ، أساساً لقاعدة يستطيع من خلالها إخضاع جنوب الجزيرة العربية فضلاً عن جعلها قاعدة لحماية ظهره من حدوث أي هجوم من الشرق.[١]

وهكذا نرى أنه مهما اختلفت الأسباب والآراء وتباينت حول مغادرة الملك نابونيد إلى تيماء، فمن الممكن أن تكون جميعها أسباباً حقيقيةً وواقعيةً لذهابه إليها والإقامة فيها نحو عقد من الزمن. وإذا ما قمنا بدراسة تحليلية لاسطوانات ومخطوطات ملوك بلاد بابل عبر عصورها نرى في سردها طغيان الطابع الديني المحض الذي يحمل في طياته أهداف سياسية واقتصادية تخدم مصالح الملك و طموحاته، دون إغفال أن كل أعماله كانت بأمرٍ من الآلهة وتوجيهاتها. فمن خلال السرد الديني كان الملك يجسّد أهدافه، وطموحاته من خلال الأحلام والرؤى، وهدفه من وراء ذلك إضفاء الطابع المقدس لتلك الأهداف لتصبح مقبولة من قبل السكان والرأي العام والنخبة وبالتالي تصبح مسلماً بها. فسكان الشرق الأدنى القديم نشؤوا في ظل فكرة قائمة على أن كل عمل يقوم به أي شخص ولاسيما الملوك إنّما هو بسبب إرادة الآلهة ،والملك نابونيد لم يكن استثناء خصوصاً أنه كان يحاول دائماً أن يظهر نفسه بمظهر القائد الناجح والوارث للملوك العظام في بلاد بابل. لذلك كان أيضاً كسابقيه يحاول أن يغلّف طموحاته وأهدافه السياسية والاقتصادية وحتى الشخصية بالسرد الديني المتبع، وهو أن الإله هو الذي بحث عنه واختاره وفضله على غيره ليكون ملكاً على شعبه، حتى أنه طلب منه إعادة تجديد معبده كتأكيدٍ لطاعته لذلك الإله وأن الإله أيضاً سانده و أبعده عن الأشخاص الذين لا يحترمونه وكفروا بالإله ونسوا حقوقهم وواجباتهم تجاهه. وباتباع السرد الديني يكون الملك نابونيد قد حقق أهدافه المتمثلة بتفضيله الإله سين إله القمر على مردوك (إله بابل الأعلى). حيث لعبت أصوله الآرامية الحرانية دوراً حاسماً ومهماً في التأثير في شخصيته وخياراته الدينية التي انسجمت مع أهدافه الاقتصادية والسياسية بإيجاد مصادر جديدة للثروة، والسيطرة على التجارة وتوجيه ضربة قاصمة لكهنة مردوك ونفوذهم وسطوتهم، وتهميش دورهم السياسي والاقتصادي في الدولة البابلية الحديثة فكانت تيماء مركزاً مناسباً لجميع هذه الأمور فهي مركز تجاري على طريق البخور والتوابل والصمغ مما ساعده على تقوية اقتصاد دولته المترنح، كما أنها أحد مراكز عبادة إله القمر مما يحرم كهنة مردوك من كثير من العطايا والهدايا التي كانت تقدم

[1] Shoaib, M.G, op.cit, p133

كنذور للإله في المعبد من خلال إهماله للاحتفالات الدينية الخاصة بهم، وخاصة الاحتفال بعيد الأكيتو المقام على شرف مردوك وربط عودته بعد عقد من الزمن إلى بابل كما دلت المصادر بوقت يتم فيه الاحتفال بعيد الأكيتو الخاص بسين أي في ١٧ تشرين، وليس في نيسان عيد الأكيتو البابلي الخاص بمردوك مع أنه لا يفوتنا إغفال أن واحة تيماء كانت منطقة ذات مناخ صحي وجاف، وتناسب بشكل كبير الأشخاص الذين يعانون من أمراض جلدية. ولكن مهما كانت الأسباب التي دفعت الملك نابونيد للإقامة في تيماء عشر سنوات متتالية، فإنه وبسبب بعده عن العاصمة والصراع بينه وبين كهنة مردوك وما رافق ذلك من أزمات اقتصادية متتالية أدت إلى سوء أحوال السكان وتذمرهم من وضعهم المتعب. هذا الوضع السيئ وجد فيه الطامعون الفرس الفرصة المناسبة للقضاء على إمبراطورية لطالما أخضعت تحت سيطرتها الكثير من الأقوام. حيث بدأت السيطرة لإنهاء تلك الإمبراطورية من خلال قيام قورش الإخميني بالتّوجه إلى بلاد بابل المترنحة تحت وطأة الصراعات والانقسامات الداخلية، الأمر الذي جعلها لقمةً سهلةً للفرس الأخمينيين.

الفصل الخامس

حرب نابونيد مع الفرس ونهاية الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) ٥٣٩ ق.م

أولاً – ظهور الإمبراطورية الفارسية وتوسعها

١- سيطرة الفرس على المملكة الميدية

٢- سيطرة الفرس على مملكة ليديا، وآسيا الصغرى

ثانياً – أوضاع بابل قبيل سقوطها بيد قورش ٥٣٩ق.م

ثالثاً –عودة نابونيد واستعداده لمواجهة قورش

رابعاً – مراحل السيطرة على الدولة البابلية الحديثة

١- سرد المصادر المسمارية لسقوط بابل

٢- سرد المصادر الإغريقية لسقوط بابل

٣- سرد العهد القديم لسقوط بابل

خامساً – أعمال قورش بعد دخوله بابل

حرب نابونيد مع الفرس ونهاية الدولة الكلدية(البابلية الحديثة) ٥٣٩ ق.م

إن أفول الدولة البابلية الحديثة كان قبل كل شيء نتيجة ظروفٍ سياسيةٍ واختلالٍ في موازين القوى سيطرت على العالم القديم في تلك الفترة كان من أهم نتائجها تشكل إمبراطورية فارسية على يد قورش الثاني (٥٥٩- ٥٣٠ ق.م) على حساب إمبراطوريات وممالك قديمة (ميديا – ليديا – مصر – بابل) كانت الدولة البابلية الحديثة وعاصمتها بابل أحد أهم ضحايا تلك الإمبراطورية. وبما أن انهيار الدولة البابلية الحديثة كان في سياق تشكل الإمبراطورية الإخمينية وتوسعها ليشمل بلاد بابل وممالك أخرى، جاء ذلك الحدث ليؤرخ لمرحلة جديدة من التاريخ و يطوي مرحلة سابقة منه. لذلك لابدّ من البدء في البحث عن مسألة الصراع بين الملك نابونيد وقورش الفارسي، والتي نتج عنها انهيار الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) ونهايتها عام ٥٣٩ ق.م والتعريف بداية بالفرس ونشأتهم وظهورهم على مسرح الأحداث في المنطقة.

أولاً – ظهور الإمبراطورية الفارسية وتوسعها:

الفرس هم أحد الأقوام الهندو – أوروبية التي ظهرت في إيران في وقت مبكر من الألف الأول قبل الميلاد واستقروا في الجزء الجنوبي من تلك المنطقة التي عرفت باسم بلاد فارس وكانوا في البداية خاضعين للميديين وتابعين لهم.[١]

واسم PARSA (بلاد فارس) هو مرادف للمنطقة الإيرانية الحديثة التي تسمى فارس وتعريب (PARSA) يعود إلى اسم فارسي قديم ليحدد فيه الأرض والشعب الفارسي القديم معاً، واسم (PERSIA) وصف إغريقي لبلاد فارس القديمة.

وكانت الإشارة الأولى للفرس في المخطوطات المسمارية تعود إلى حكم الملك الآشوري شلمناصر الثالث وذلك عام ٨٤٣ ق.م وهو العام السادس عشر لحكمه إذ يذكر فرض ضريبة على

[١] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مرجع سابق، ص ٤٣٣

(٢٧) ملك في تلك المنطقة وبينهم ملك بارسا وذكر كذلك في عام ٨٣٥ ق.م أي السنة الرابعة والعشرين من حكم الملك نفسه انتصاره على قبيلتين هما (MADA) و (PARSA). [١]

١- سيطرة الفرس على المملكة الميدية:

خضعت فارس لسيطرة ميديا فترةً طويلةً. وفي عهد الملك الميدي استياجس أصبح هناك تقارب بين الميديين والفرس؛ إذ قام استياجس بتزويج ابنته (ماندان) من الملك الفارسي قمبيز الأول(٥٨٠-٥٥٩ق.م)وقد نتج عن هذا الزواج ولادة قورش الثاني مؤسس الإمبراطورية الإخمينية.

وقد تمكن الملك قمبيز الأول من تقوية عاصمته أنشان (أنزان)، واتخذ لنفسه عدة ألقاب منها **(الملك العظيم – ملك أنشان)** [٢]، وبعد وفاة قمبيز الأول تسلم العرش ابنه قورش الثاني، الذي استطاع توحيد القبائل والممالك الصغيرة المحيطة بمنطقة بارسا من الشرق والجنوب الشرقي تحت سيطرته، كما تمرد على سيده وجده أستياجس، وقام بعقد تحالف سري مع ملك بابل نابونيد وكان الأخير يطمح للسيطرة على حران التي كانت ضمن الأراضي الميدية منذ عام ٦١٠ ق.م، وقد علم أستياجس بهذا التحالف فاستدعى حفيده للمثول أمام يديه في أقباتان لكنه رفض الأمر فقامت الحرب بينهما، واستمرت ثلاث سنوات (٥٥٣-٥٥٠ ق.م) وقد جهّز أستياجس جيشاً لحرب قورش بقيادة قائد جيشه هرباغوس (HARPAGUS) إلا أن هذا الأخير خان سيده وانضم لقورش فجهز أستياجس جيشاً آخر قاده بنفسه إلا أنه خسر في المعركة أيضاً، ووقع أسيراً بيد قورش(٥٥٠ ق.م) الذي عفا عنه وسيطر على عاصمته أقباتان، واستولى على ثرواتها التي أخذها معه إلى عاصمته أنشان (أنزان). [٣]

---

(1) Dandamayev, M.A, Media & Achmenid Iran: (History of Civilization of central Asia, The Development of Seden Fary Nomadic Civilization 700 B.C to 250 AD, Volume II, UNESCO Paris, 1996, pp36-37

(٢) ساغز، مرجع سابق، ص ١٦٧

(3) Olmstead.A.T, History of the Persion Empire, University of Chicago, Chicago & London, 1948, p35-37

فتذكر أحد النصوص: " **السنة السادسة..... الملك اشتومغوا استدعى... لملاقاته في المعركة. جيش اشتومغو تمرد ضده وسلمه مغلولاً إلى قورش الذي سار لاحتلال عاصمته أقباتان واستولى على مقر الملك وعلى الذهب والفضة والأشياء الثمينة.....**"

وبإخضاعه لمملكة ميديا عمل قورش على المطالبة بأملاكها في بلاد بابل وكيلكيكة.... الخ وكانت هذه المطالب تتعارض إلى درجة كبيرة مع سيادة بابل حليفة الأمس وبالتالي فإن التحالف الذي حدث بين الملك نابونيد وقورش الثاني انتهى عندما حقق كل طرف مبتغاه الذي تجسّد في القضاء على الدولة الميدية.

وبسيطرة قورش الثاني على المملكة الميدية أحدث قلقاً بين الدول (القوى) العظمى في ذلك الوقت وهي (بابل – مصر – ليديا) التي وجدت نفسها أمام قوة صاعدة وطموحة، وما من وسيلة لمواجهتها إلا بأن تتحالف فيما بينها، لذلك قام تحالف ثلاثي ضم كلاً من (ليديا – بابل – مصر) لمواجهة قورش الثاني، ولكن كما دلّت الأحداث المتعاقبة وأظهرت فإن هذا التحالف لم يصمد وتهاوت هذه الدول الثلاث الواحدة تلوى الأخرى وأصبحت هي وأملاكها تابعين لإمبراطورية قورش الثاني.[١]

٢- سيطرة الفرس على مملكة ليديا وآسيا الصغرى:

بعد السيطرة التامة على ميديا اتّجه قورش نحو الغرب إلى مملكة ليديا الواقعة على السواحل الغربية لآسيا الصغرى، حيث سار بقواته عبر هضبة أرمينية وبمحاذاة سلسلة جبال طوروس من خلال سهول الجزيرة مجتازاً نهر دجلة أسفل مدينة نينوى ومتجهاً نحو الغرب عبر حران حتى وصل إلى كيلكية التي ضمها لسيطرته وكان ذلك في نيسان (٥٤٧ ق.م) أي السنة التاسعة من حكم نابونيد.

وتجدر الإشارة إلى أن الملك الفارسي قورش كان باستطاعته التقدم بقواته عبر جبال أرمينية دون اختراق الأراضي البابلية. [٢] ولكن ربما أراد من عمله هذا أن يوجه رسالة سياسية وعسكرية

---

(1) Olmstead.A.T, Op, Cit, p37

[٢] الفتلاوي، مرجع سابق، ص ٥٧٨.

واضحة إلى بابل مفادها أن الفرس أصبحوا قوة كبيرة تضاهي بابل وكان هذا بداية الصراع الذي لم يعره الملك نابونيد أي اهتمام، إذ أنه خلال تطور الأحداث كان ما يزال يقيم في شبه الجزيرة العربية في تيماء بعيداً عن عاصمته بابل التي بدأت تكون قاب قوسين أو أدنى من سيطرة قورش عليها. أما قورش فقد التقى مع الملك الليدي كرويسوس المعروف بالمصادر العربية باسم قارون (لغناه الفاحش) في معركة على نهر الهاليس انتصر فيها قورش الثاني واضطر كروسيوس للتراجع إلى عاصمته ساردس (Sardis) أملاً في انتظار المساعدة من حلفائه المصريين و البابليين. إلا أنه لم يحظ بأية مساعدة وقام قورش بمحاصرة ساردس لمدة أربعة عشر يوماً تمكّن في نهايتها من السيطرة عليها وقتل كروسيوس وذلك في أيار (٥٤٧ ق.م) ووضع فيها حامية فارسية لتسيير أمورها، فيذكر النص الآتي: " استدعى قورش ملك فارس جيشه في شهر نيسان وعبر به دجلة أسفل أربيل وفي أيار توجه نحو ليديا محتلاً..... وقتل ملكها وأخذ مواكبه وأحل محلها حاميته...". [١]

بينما يذكر هيرودوت أن قورش الثاني عفا عن كرويسوس بعد أن همّ بحرقه، فنزع عنه الأصفاد وأجلسه بالقرب منه وأكرمه وأعلى من منزلته وجعله من مرافقيه ومستشاريه.[٢]

وبعد سقوط ليديا خضعت جميع المدن الأيونية لسلطة قورش الثاني وأصبحت آسيا الصغرى تحت سيطرته وبعد ذلك عاد نحو الشرق فضمّ جميع الممالك الإيرانية وجزءاً من الهند مشكلاً إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من سواحل بحر إيجة في الغرب إلى هضبة البامير في الشرق ولم يبق أمام سيطرته الفعلية على المنطقة سوى بلاد بابل والمناطق الخاضعة لها فضلاً عن مصر. [٣]

وبالتالي فإن بلاد بابل هي وجهة قورش التالية، وقبل البدء بتفاصيل دخول قورش وحربه لبابل وإخضاعها، ونهاية الدولة الكلدية(البابلية الحديثة) لا بد من إلقاء نظرة سريعة على أوضاع بابل ولاسيما قبيل ٥٣٩ ق.م.

---

[1] Olmstead.A.T, OP.Cit, p40

[٢] هيرودوت، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١

[٣] مرعي، بلاد بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مرجع سابق، ص٣٢.

ثانياً – أوضاع بابل قبيل سقوطها بيد قورش ٥٣٩ ق.م:

كانت بابل تعاني من تخبطات داخلية من الناحية السياسية والاقتصادية وحتى الدينية أدت في نهاية المطاف إلى إضعاف المجتمع البابلي وتفككه. وقد ترافق ذلك مع سوء الحكم وانتشار الرشوة وارتفاع الأسعار وغلائها والفوائد الكبيرة على القروض، الأمر الذي أدى إلى استياءٍ شعبيٍ عامٍ. كما أن عدم قدرة بابل على تأمين بعض الموارد الهامة، وخاصة من الشرق والشمال ؛بسبب صعود الدولة الفارسية الإخمينية وسيطرتها على هذه المناطق حرم خزينة الدولة الكثير من الأموال التي كانت قد صرفتها سابقاً في إعادة تجديد و إعمار العديد من المعابد إضافة إلى تجهيز الجيوش لضبط التمردات، وخاصة في سوريا وفلسطين الأمر الذي جعل من هذه المناطق عبئاً ثقيلاً أنهك الدولة، وممّا زاد الأمر سوءاً فقدان الثقل التجاري للمدن الفينيقية، وتحولها إلى اليونانيين في أيونيا.[1]

وقد دفع انتشار المجاعة في بابل السكان لبيع أراضيهم وأبنائهم؛ لتسديد فوائد قروضهم الباهظة، وقد رافق هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة توتر الأوضاع بين الملك نابونيد وكهنة مردوك بسبب سياساته التي رأوا فيها إضعافاً لمكانتهم و إهانةً لآلهتهم من خلال تقليصه لصلاحياتهم الدينية، والحد من نفوذهم الاقتصادي وعبادة إله آخر غير مردوك، كبير مجمع آلهة بابل. ومما زاد الأمر سوءاً قيامه بترك عاصمته بابل بيد ابنه بيل شار أو صور، والتوجه إلى تيماء في شبه الجزيرة العربية وإقامته فيها عشر سنوات دون العودة إلى بابل للمشاركة بأهم أعيادها وطقوسها وهو رأس السنة البابلية (الأكيتو) الذي كان من أهم الأعياد التي يستطيع من خلالها الكهنة فرض سلطتهم وسطوتهم على الملك نفسه إضافة لما كانوا سيحصلون عليه من ثروات وهبات تقدّم للمعبد خلال العيد. هذه الخسارة بالنسبة لهم جعلتهم حانقين وبشدة على الملك لدرجةٍ جعلتهم مستعدين للتعاون مع جيش قورش الثاني لإسقاط ملكهم نابونيد شريطة رد الاعتبار للإله مردوك ومكانتهم الدينية، وقد تلاقت مصالح الكهنة المتضررة مع التجار الذين تضررت مصالحهم التجارية أيضاً جراء الاضطرابات التي عمّت الدولة الكلدية (البابلية الحديثة)، إضافة إلى اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر الثاني عامي (٥٩٧ق.م و ٥٨٦ق.م) الذين كانوا يتطلعوا لقورش على أنه المنقذ لهم

[1] Roux, G, op.cit, p403

من قبل أسريهم، وأنه سيعيدهم لوطنهم الموعود فلسطين. فبدؤوا بالتمهيد لدخول قورش الثاني لبابل من خلال الشائعات الدينية التي تم نشرها بين السكان بأن الملك نابونيد: " **حاكم غير عادل، أوجد إله غير شرعي دعي بالملك سين، وأنه(نابونيد) ألغى مهرجان الأكيتو....**" [١]

وفي نص آخر تم ذكر أن " نابونيد لم يقم بأي عمل فيه شيء من العدالة، فقد كان يقتل الضعفاء بأسلحته، وبالنسبة للتجار أقفل الطريق بوجههم، وفي يوم الاحتفال (بعيد رأس السنة الجديدة) أمر بعدم إقامة أية احتفالات، لقد غيّره الشيطان، صنع كل ما هو سيئ للمقدسات، لقد وضع تمثالاً كله كفر وسماه سين وشكله يتمثل بالخسوف، واعتاد الإساءة للطقوس "[٢] هذه الشائعات وغيرها لقيت آذاناً صاغية لدى عامة سكان بابل، وبالمقابل كانت الدعايات لقورش تصوره رجل السّلام الذي سيعيد لمردوك مكانته ولبابل احترامها الذي فقدته بسبب سياسات الملك نابونيد. وكانت لسياسة قورش الاستيعابية التي تحمل طابع الرحمة والتسامح مع الشعوب والممالك التي أخضعها، دورٌ مؤثرٌ في تقبّله لدى البابليين مقارنة بملكهم نابونيد. فمن المعروف أن الملك نابونيد قام بما اصطلح عليه الباحثون بالإصلاح الديني الأمر الذي نفّر الناس عامة والكهنة خاصة منه، لاسيما أن ذلك ترافق مع إجراءاتٍ اقتصاديةٍ من قبل الملك بخصوص واردات المعابد وتعيينه موظفين فيها تابعين له مباشرة. أما قورش انتهج سياسة احتوائية تتناسب مع طموحه في بناء إمبراطورية مترامية الأطراف، وهذا الأمر يتطلب طبع طموحاته السياسية بالرحمة ،والتسامح لكسب ود الشعوب الخاضعة له، ووأد أي بيئة تفرخّ الاضطراب والفوضى من خلال إعطاء هامش من الحرية لا يصل لحد الخروج عن السيطرة والتمرد على الملك الجديد.

ثالثاً – عودة نابونيد واستعداده لمواجهة قورش:

وبسبب هذه الأوضاع المتردية فضلاً عن توسع قورش الكبير، وتهديده لبابل جعل الملك نابونيد يعود لعاصمته علّه ينقذها من الخطر المحدق بها فيذكر في شاهدته:

---

[1] Moukarzal, z, OP.Cit, p160

[٢] ساغز، مرجع سابق، ص ١٧١.

"بعد عشر سنوات وصلت في الوقت المناسب، أتيت من مدينة تيماء، حيث جعلني سين أعود ودخلت بابل بختم الملكية." [١]

ومنذ وصوله حاول الملك نابونيد حماية مدينته بابل وتحصينها لمواجهة الخطر الذي يعصف بها، كما قام بنقل تماثيل آلهة بلاد بابل وآشور من معابدها إلى مدينة بابل. حيث أصبحت المدينة أشبه بمستودع ضخم يضم أعداداً كبيرةً من التماثيل الدينية التي كانت تحظى بالرعاية والعناية من قبل كهنتها الخاصين؛ إذ قامت كل مدينة بإرسال موظفيها الدينيين إلى العاصمة لتزويد آلهتها بصورة منتظمة بالسلع والمواد الغذائية لتأمين حاجات الإله، لأنه في حال إهمالها ستترك الآلهة الأرض وتتخلى عن سكانها، فكان المبعوثون يتحركون ذهاباً وإياباً إما عن طريق البر، وإما بوساطة المياه.

فيذكر أحد النصوص: " **SHUTAMUMU في معبد إيساجلا (ESAGILA) تكلم إلينا يسأل عن الحاجات الخاصة لسيدة أوروك التي أتت عبر النهر.**" [٢]

وهذا دليل على أن مدينة أوروك أرسلت تمثال الآلهة عشتار إلى مدينة بابل ملبيةً دعوة الملك نابونيد بذلك، على عكس بعض المدن مثل: **بورسيبا الإله نابو (Nabo)، وكوثا الإله نرجال (Nergal)، وسيبار الإله شماش فيذكر النص التالي أنه: " في شهر..... Maradda LUGAL وآلهة Marda و Zabba* وآلهة كيش و Ninlil..... دخلوا بابل حتى نهاية تموز وآلهة آكاد..... كانوا قد دخلوا بابل من جميع الممرات بينما آلهة بورسيبا وكوثا..... وسيبار لم يدخلوا بابل.**" [٣]

فتذكر Nabounidus Chronical أن من أسباب عدم ذهاب آلهة المدن الثلاث هي السياسات الدينية للملك نابونيد: " **حدود الصبر بالنسبة للمواطنين وصل لنهايته، فآلهة كوثا**

---

(1) Hasel, F, OP.Cit, p157

(2) Beaulieu, P.A, Episode in the fall of Babylonia to the Persians, Journal of Near Eastern studies, Vol 52, 1993, pp250-257

(3) Zawadzki, S, The end of the Babylonian Empire: New Data concerning Nabounidus order to send the statues of Gods to Babylon, University of Chicago, 2012, p47

*-Zabba : : اله الحرب الحامي لمدينة كيش.انظر:ادزارد،مرجع سابق،ص١٠٣

وسيبار وحتى بورسيبا لم يدخلوا بابل. والإيبابار معبد إله الشمس في سيبار جدد (من قبل نابونيد) لكن الآلهة كانت مستاءة عندما أراد نابونيد من خلال أحد أحلامه أن يغير شكل تاج الإله."

وفي مكان آخر تذكر Nabounidus Chronical أن الملك نابونيد نفسه لم يطلب مغادرة شماش لسيبار لأنه أراد أن يواجه الفرس بالقرب منها ونقله لشماس سيفسر على أنه ضعف من قبل الملك وعدم ثقته في إمكانية النصر على الجيش الفارسي. [١]

ولكن قيام الملك نابونيد بجمع آلهة بلاد بابل وآشور في بابل أغضب الكهنة وأدى إلى استياء سكان تلك المدن الذين بدؤوا يشعرون بعدم الأمان والخوف من غضب تلك الآلهة، لتركها معابدها على الرغم من أن نقل التماثيل الدينية كان عملاً وقائياً بالإضافة إلى كونه تقليداً بابلياً، كان يتبعه ملوك بلاد بابل لتجنب وقوع تلك التماثيل بيد الأعداء ولاسيما في أوقات الحروب والأخطار الخارجية. فضلاً عن إعطاء حربه مع قورش طابعاً دينياً ولإيمانه الشديد بأن وجود تلك الآلهة بجانبه سيحمي عرشه ومدينته بابل من السقوط بيد الفرس. [٢]

ورغم جميع الإجراءات التي قام بها الملك نابونيد لحماية مدينته ودولته إلا أن أعماله لم تجدي نفعاً بسبب وجود معارضة قوية ضده كما ذكرنا سابقاً.

أما قورش حليف الأمس فقد استغل هذه الخلافات والانقسامات داخل بابل و وجد له الكثير من المؤيدين، وخاصة كهنة مردوك الذين كان لهم الدور الكبير في التمهيد لقدومه. بالإضافة إلى اليهود الذين رأوا فيه مخلصهم ومعيدهم إلى أورشليم (القدس). ويبدو أن الصداقات تنتهي عندما تبدأ المصالح وتكبر الطموحات.

رابعاً – مراحل السيطرة على الدولة البابلية الحديثة:

عمل قورش على تجهيز جيشه واتجه نحو بلاد بابل حيث التقى بالجيش البابلي في مدينة أوبيس (Opis) الواقعة شمال شرق مدينة بابل، على الضفة الشرقية لنهر دجلة، حيث كان الملك

---

(1) op.cit, p51
(2) Wiseman, D.J, Op. Cit., P248

نابونيد قد عهد لابنه بيل شار أوصور بالتصدي لجيش قورش الثاني عند مدينة أوبيس إلا أنه قتل خلال المعركة، وأجبرت الدفاعات البابلية على التراجع، نتيجةً للخيانة التي قام بها حاكم مدينة

(Gutiam) غوتيام أوكبارو أو غوباريوس حسب المصادر الإغريقية، وهو فارسي الأصل انضم مع جيشه إلى جانب القوات الفارسية وكان له الدور الكبير في مساعدة الفرس في السيطرة على بابل وقيادتهم داخل ممراتها لأنه ليس هناك أحد أعرف بالمدن من قادتها العسكريين.[١]

وبعد الانتصار في أوبيس توجه قورش نحو سيبار وبرفقته غوباريوس الخائن وجنوده وتم أخذها في ١٤ تشرين الأول من عام ٥٣٩ ق.م بدون قتال كما تذكر المصادر المسمارية. وقد فرّ الملك نابونيد وعاد لعاصمته بابل ليتحصّن فيها بعد سقوط سيبار. فيذكر أحد النصوص:

" **في شهر تشرين عندما هاجم قورش جيش آكاد في أوبيس على نهر دجلة ثار سكان آكاد، لكنه (نابونيد) ذبح المشتبه بهم من السكان. وفي الرابع عشر من تشرين الأول سقطت سيبار بدون قتال وهرب نابونيد.**"

وهذا النص تصريحٌ واضحٌ على معارضة السكان للملك نابونيد الذي أغضبه ذلك ،وعمل على قتل عدد منهم جراء تمردهم عليه، وجهز لقتال الفرس في سيبار، ولكنه هزم هناك كما تؤكد الأحداث مما اضطره للانسحاب إلى العاصمة بابل. وبسقوط سيبار فقدت بابل آخر خطوطها الدفاعية من جهة الشمال لتصبح مكشوفة أمام الجيش الغازي.

١- سرد سقوط بابل في المصادر المسمارية:

وتذكر المصادر المسمارية أن غوباريوس تمكن برفقة الجيش الفارسي من دخول مدينة بابل وأخذها دون قتال بعد يومين فقط من سقوط مدينة سيبار." **في اليوم السادس عشر من تشرين غوباريوس حاكم غوتيام وجيش قورش دخلوا بابل بدون قتال**". [٢]

---

(1) Vander hoot, D, CyrusII, Liberator or conqueror Ancient Historiography concerning Cyrus in Babylon, Boston College, P354

(2) Shea, W.H, Op.Cit, p4

هذا النص يعطي دليلاً قوياً على وجود خيوطٍ للخيانة داخل مدينة بابل، لأنه من غير المعقول أن يقطع الجيش الفارسي مهما كان عدده المسافة بين بابل وبورسيبا وبيومين ويحتل مدينة محصنة تحصيناً قوياً كبابل.

وقد حاولت أسطوانة قورش أن تظهر احتلال قورش لبابل على أنه أمر مسير من قبل الآلهة، وليس بدافع التوسع والسيطرة، وهذا العمل الدعائي إنما كان الغرض منه تحقيق مصالح سياسية تتجسد بإخضاع بابل وكسب ثقة شعبها.

فتذكر اسطوانة قورش " **بلا قتال أو هجوم، مردوك جعل قورش يدخل بابل مدينته، هو أنقذ بابل من المصاعب.**" [١]

وقد أثار هذا السقوط السريع تساؤلات كثيرة لدى الباحثين حول الطريقة التي سقطت بها مدينة بابل في تلك الفترة، حيث كانت من أقوى المدن من ناحية التحصين لدرجة أنه كان هناك قول بابلي شهير هو: " **أن الفرس يدخلون بابل عندما يلد البغل**". [٢]

وهذا القول يدل وبشكل واضح على متانة وقوة التحصينات التي قام بها ملوك هذه الدولة لحمايتها من أي خطر يتهددها فالأسوار المحيطة بها بنيت بطريقة تجعل من محاصريها يملون الحصار ومن ساكنيها يشعرون بالأمان لمتانتها وقوتها. فكانت المدينة تتألف من سورين داخلي وخارجي وكلاهما يتكون من عدة أسوار، فالسور الخارجي كان يدعى (Nimiti Enlil) أي عرش إنليل ويبلغ محيطه ١٨ إلى ٢٠ كم ويتألف من ثلاثة أجزاء متتالية الأول يبدأ من الداخل، وبني من اللبن وتبلغ سماكته ٧ أمتار، والثاني شيّد من الآجر وسماكته ٧,٨ م، و السور الثالث من الآجر أيضاً وسماكته ٣,٣٠ م. أمّا السور الداخلي ويدعى (Iimgur Enlil) أي إنليل علا وارتفع ويبلغ طوله ٨ كم ويتألف بدوره من جدارين الأول مبني من الآجر والآخر من (الطين المشوي) وعرضه ٦,٥٢ م والثاني ٣,٧٢م. كما يوجد سور مزدوج وضخم مع خندق مائي يحيط بمدينة

(1) Vander hoot, D, op.cit, p35

(٢) براندت، مرجع سابق، ص٢٠

بابل، ويمتد من أعلى الفرات إلى أسفله ويتميز هذا السور بأنه يتألف من جدار بسماكة ٧,٦٢م ويحتوي أبراجاً دفاعيةً. [١]

فهذه التحصينات التي قام بها ملوك الدولة البابلية الحديثة جعلت من بابل أقوى وأحصن مدينة في تلك الفترة ولكن قد يكون سقوطها بهذه السهولة هو عدم وجود أي مقاومة تذكر من قبل السكان الحانقين على ملكهم وسياسته، فضلاً عن الخيانة التي كانت من جانب غوباريوس وكهنة مردوك واليهود في بابل. ولكن سرد سقوطها في المصادر الإغريقية يختلف عما هو في المصادر المسمارية.

٢- سرد سقوط بابل في المصادر الإغريقية:

يذكر كلاً من هيردوت و كزينفون أن قورش لم يستطع دخول بابل بالطرق التقليدية ؛وذلك لمناعة حصونها ويبدو أنه قد أصابه الملل من الحصار، فدعا قورش قادة جنده وتكلم إليهم قائلاً:

" **أصدقائي، حلفائي، نحن شاهدنا المدينة من كل جانب، وأنا متأكد أني لم أشاهد أسواراً قويةً وضخمةً وعاليةً كهذه**"

وعلى ما يبدو أن مناعة أسوار بابل قد ألقت اليأس في نفس قورش حتى كاد يترك الحصار إلى أن اقترح عليه أحد قواده خطة جديدة لدخول المدينة فيذكر كزينفون:

" **ألا يتدفق هذا النهر ويمر في وسط المدينة، فأجاب غوباريوس إن عمقه بطول رجلين أحدهما يقف على كتف الآخر وعلى الرغم من ذلك لا يمكن أن يصلوا إلى سطح الماء، وبالتالي فالمدينة يمكن حمايتها من النهر أكثر من الأسوار.**"[٢]

ولكن قورش لم يكترث لقول غوباريوس، بل أعجب بالاقتراح وبدأ بتطبيقه بوضع قسم من جيشه عند مصب نهر الفرات في المدينة، والقسم الآخر عند مخرج النهر من المدينة. بينما عمل قسم آخر من الجيش على حفر الخنادق على جانبي النهر، وعند الانتهاء من حفر الخنادق أمر قورش أن تفتح الخنادق لتتدفق فيها المياه ويخف بالتالي جريان النهر إلى داخل المدينة وفي

---

[١] محمد، حياة إبراهيم، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤-٥٦٣ ق.م، العراق ١٩٨٣، ص ١٠٤

[2] Miller, W, X-naphon's Cyropaedia, Harvard university, 1960, p { 7.5.9}

غضون ذلك نزل جيش فارس الذي خلفه قورش عند أبواب المدينة، وخاض في سرير النهر الذي كانت مياهه تبلغ منتصف ساق الرجل ومن ثم دخلوا المدينة، وعلى ما يذكر هيردوت أن البابليين لو علموا ما كان يهيئه لهم الفرس أو لو استطلعوا الأمر في حينه لكان من شأنهم أن يجعلوا قوات الفرس يقعون في مصيدة وبالتالي ينتهي أمرهم، ولكن المفاجأة كانت من نصيبهم فأخذوا في مكمنهم. (١)

وأثناء الهجوم فإن البابليين كانوا في حالة احتفال لذلك لم يكونوا في جهوزية للمعركة، وخاصة أنهم كانوا أسيري عادة الشرب، والسكر أثناء الاحتفالات. فيذكر كزينفون أن قورش بعد ما خف جريان النهر، دعا قادة جنده وتكلم إليهم:

" **أصدقائي أصبح النهر طريقنا للدخول للمدينة، دعونا ندخل بقلوبٍ شجاعةٍ دون خوفٍ من شيء، ولنتذكر أن أولئك الذين نتوجه إليهم الآن هم نفس الرجال الذين هزمناهم من قبل، وأنهم تراجعوا أمامنا، وحلفاؤهم إلى جانبهم وكانوا في حالة من اليقظة والجاهزية من السلاح على عكس ما هم عليه الآن حيث أن الكثير منهم نائمين، وقسم آخر في حالة سكر ولا أحد في جهوزية للمعركة وعندما يكتشفون أننا داخل الأسوار سيكونون في حالةٍ بائسةٍ أكثر مما هم عليه الآن.**" (٢)

ومن هذا النص نستطيع القول أن البابليين لو لم يكونوا واثقين بشدةٍ من تحصينات مدينتهم لكانوا أكثر حذراً في مراقبة أعدائهم، كما أن دخول الفرس من أحد قنوات النهر، هو دليلٌ واضحٌ على وجود خيانة، ومعارضة شديدة داخل المدينة، لأن هذه القنوات كانت ذات أبواب حديديةٍ متصالبةٍ، ويتم إغلاقها، وخاصةً في حال الشعور بأخطارٍ تتهدد المدينة ولا تسمح إلا للماء بالدخول منها، وهذا يؤكد أنه لولا الخيانة لما سقطت بهذه السهولة.

كما يؤكد كزينفون أن مدينة بابل أخذت بحالة حرب على عكس ما سردت المصادر المسمارية بدون قتال فيسرد كزينفون: "**أرسل قورش مجموعات من الخيالة إلى شوارع المدينة، وأعطاهم الأمر بأن يقضوا على كل من يجدونه في الشوارع، بينما أعطى الأمر لأولئك الذين**

(١) هيردوت، مرجع سابق، ص ١٢٠

(2) Miller, w, op.cit, p { 7.5.20}

يتكلمون اللغة الآشورية الإعلان للناس الذين يقطنون منازلهم بأن عليهم البقاء داخلها، لأنه في حال القبض عليهم خارج منازلهم سوف يتم القضاء عليهم واعتبارهم أعداء "

وفي مكان آخر يذكر: "**أمر الرسل أن تعلن للبابليين، أن عليهم جميعاً تسليم أسلحتهم، وأنه في حال وجد السلاح في أي بيت فأن ساكنيه سيموتون بالسيف، فما كان منهم إلا أن سلموا أسلحتهم، التي قام قورش بدوره بتخزينها بالقلاع لاستخدامها عند الضرورة** " [١]

٣ – سرد سقوط بابل في مصادر العهد القديم:

فهو قريب من السرد الإغريقي ،أي أن بابل أخذت بحرب، فيذكر العهد القديم مجموعةً من الأحاديث التي تشير إلى زوال بابل وتؤكد على حظوظ اليهود المنفيين بتحريرهم وإعادتهم إلى فلسطين على يد قورش ؛الذي اعتبر **(المسيح المنتظر)** الذي سيخلصهم من الأسر فجاء في سفر إشعيا " **هكذا يتكلم الأزلي إلى مسيحه. إلى قورش الذي بيده، لقد أطلقت عليك لقباً دون أن تعرفني، لقد ناديتك باسمك.**" [٢]

بينما يذكر سفر إرميا في الإصحاح { ٥٠}: " **أثناء السيطرة على بابل، زلزلت الأرض، فجأةً سقطت بابل و مزقت.**"

وأيضاً في إرميا في الإصحاح ١٥{٣٠-٢٣} هناك نص صريح يصف سقوط مدينة بابل بيد الفرس: " **كف جبابرة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصون ونضبت شجاعتهم، وصاروا كنساء، احترقت مساكنها وتحطمت عوارضها، يركض عداءٌ للقاء عداءٌ ومخبر للقاء مخبر ليخبر ملك بابل بأن مدينته قد أُخذت وأن المعابر قد أمسكت، والقصب أحرقوه بالنار، ورجال الحرب اضطربت لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل بنت بابل كبيدر وقت دوسه.**" [٣]

ومهما اختلف الروايات في سرد سقوط بابل إذ استسلمت بدون قتال، أو تم تحويل مجرى النهر أو بمشيئة (يهوه) إله اليهود.... الخ فإن بابل في نهاية المطاف أصبحت ولاية تابعة للفرس.

---

[1] Ibid, p{7.5.31}-{7.5.34}

[٢] سفر إشعيا، الإصحاح ٤٥: { ١-٣ }

[٣] سفر إرميا، الإصحاح ٥١: { ٣٠- ٣٤}

وقد دخل غوباريوس الخائن مع قوات قورش بابل في ١٦ تشرين الأول ٥٣٩ ق.م أي في السنة السابعة عشر من حكم الملك نابونيد، فتذكر Nabonidus Chronical أن غوباريوس عند دخوله أحاط الايساجلا بالجنود وتوقفت الشعائر الدينية: " **حتى نهاية شهر تشرين قوات غوتيام أحاطت ببوابات الإيساجلا، كان يوجد توقف لكل شيء في الإيساجيلا والمعابد الأخرى، لا شيء أنجز في الوقت المحدد، الأضاحي والصلوات لم تُقدم كالمعتاد وإجراءاتها علقت.**"[١]

ويذكر أنه بسبب المساحة الكبيرة للمدينة فإن أخبار سقوطها أخذت ثلاثة أيام لتنتشر بين المواطنين كما أن أخبار سقوط بابل لم تكن قد وصلت إلى أنحاء الدولة وخاصة الأجزاء الجنوبية منها [٢]، وفي ٣٠ تشرين أول أي بعد أسبوعين من دخول غوباريوس دخل قورش بابل من الجهة الشمالية، وعلى ما يبدو من بوابة عشتار وكانت المعارضة الشديدة للملك نابونيد قد مهّدت الطريق لقورش للدخول إلى بابل حيث تذكر إحداها مصير الملك نابونيد أنه ألقي القبض عليه ونفي إلى كرمانية في بلاد فارس " **ملك ثائر (نابونيد) سوف يظهر، سلالة حران سوف.... لمدة سبع عشر عاماً سيمارس الحكم، وهو سوف يقمع ويستبد ويبطل (يلغي) مهرجان الإيساجيلا، ويضمر الشر لأرض آكاد، ملك عيلام (قورش) سوف يظهر، ويقبض على صولجان الملك وسوف يزيله عن عرشه، ملك عيلام سيغير مكانه (نابونيد) ويجبره على الإقامة في بلد آخر**". [٣]

بينما يذكر كزينفون أنه تمت السيطرة على المدينة وقتل الملك نابونيد "**عندما بزغ الفجر، واكتشف أولئك الذين يملكون القلاع أن المدينة تم السيطرة عليها والملك ذبح استسلمت هي أيضاً**".[٤]

كل هذه الدعايات وغيرها بدأت تعمل وبشكل كبير على شرعنه حكم قورش وتظهره أنه رجل سلام أتى ليعيد لبابل مكانتها التي انتزعها الملك نابونيد. وقورش نفسه سار على خطا من سبقه من ملوك بلاد بابل في استخدام الدين وسيلة لتبرير أعماله والوصول لغاياته فتقلدّ ألقابهم وأكد أن دخوله بابل لم يكن لولا إرادة مردوك الذي يريد تخليص شعبه من الظلم الذي لحق بهم من سياسات

(1) Shea, W.H, op.cit, P6
(2) Parker, R.A, Babyloian Chronology (626BC- A.D75), Brown university, 1956, P13
(3) Beaulieu, P.A, Brossus on late Babylonian History, University of Toronto 2006, p140
(4) Miller, W, op.cit, p {7-5-34}

الملك نابونيد وبذلك فإن قورش يظهر أن دخوله كان بأمر إلهي لذلك فإن أي مقاومة أو مخالفة لقورش هي بالمقابل مخالفة لإرادة مردوك وأوامره لذلك استقبل بشكلٍ لائقٍ وبفرحٍ شديدٍ من قبل جميع السكان في بابل.

خامساً – أعمال قورش بعد دخوله بابل:

قام قورش بعد دخوله بابل بإصدار الأوامر لإعادة تماثيل الآلهة التي جلبها نابونيد لبابل إلى معابدها، وقام بإعادة بناء المعابد كعادة ملوك بابل للتأكيد على اهتمامه بالآلهة التي وقفت إلى جانبه وأوصلته إلى العرش في بابل، وبسيطرته على بابل خضعت له جميع المناطق التي كانت تحت سيطرتها بما فيها سوريا وفلسطين وشبه الجزيرة العربية.

فتذكر اسطوانة قورش ما يلي: " **عبادة مردوك ملك الآلهة محا من وجدانه (المقصود نابونيد) هو كان يفعل دائماً ما هو سيئ للمدينة.... رعاياها أهلكهم جميعاً دون رحمة، لشكواهم غضب مردوك غضباً شديداً..... الآلهة الذين سكنوا فيها غادروا أماكن سكنهم، جلبهم (الآلهة) على الرغم من غضبهم إلى بابل، مردوك..... إلى كل الأماكن التي مساكنها متداعية وإلى سكان سومر وآكاد الذين أصبحوا يشبهون الجثث عاد بوجدان ووسع رحمة، فتش كل البلاد وفحص وبحث عن حاكم عادل حسب ما يرغبه قلبه، وأمسكه بيده: قورش ملك أنشان دعاه لحكم الكون ونطق باسمه، غوتيوم وكل الميديين أخضعهم تحت أقدامه الناس من ذوي الرؤوس السوداء، الذين قهرهم بيديه، حفظهم بحق وعدالة، مردوك السيد الكبير الذي يعتني برعاياه، نظر فرحاً إلى أعماله الطيبة وإلى قلبه العادل، أمره أن يذهب إلى مدينته بابل، وجعل الطريق إلى بابل يشق أمامه، كصديق ذهب معه، قواته الكثيرة عددها مثل ماء النهر لا يقاس زحفت مدججةً بالأسلحة برفقته، بدون قتال وبدون معركة جعله (مردوك) يدخل مدينته (بابل)، أنقذ بابل من الضيق وسلمه نابونيد الملك الذي لم يعبده. سكان بابل جميعاً وكل بلاد سومر وآكاد والأمراء ركعوا أمامه (قورش) وقبلوا قدميه وفرحوا بتسلمه الملكية. السيد الذي عن طريق مساعدته جعل الأموات أحياء وأبهج الجميع فحيوه وهم سعداء وقدسوا اسمه. أنا قورش، ملك العالم، الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل وسومر وآكاد، ملك جهات العالم الأربع ابن قمبيز الملك العظيم ملك أنزان من السلالة الملكية القديمة الذي أحب حكمه بل (مردوك) ونابو، عندما أنا قمت**

بدخولي إلى بابل بفرحة وابتهاج أنا أقمت في القصر الملكي. مردوك السيد الكبير.... من بابل... يوماً بيوم احتميت بعبادته، قواتي الضخمة دخلت بأمان إلى بابل. لم أدع أي مضايقة في بلاد سومر وآكاد وأنا قدمت عناية خاصة لاحتياجات البابليين ومدنهم. مدينة بابل وكل معابدها حافظت عليها جيداً، سر مردوك السيد الكبير من أعمالي وباركني، أنا قورش الملك الذي عبده وكذلك قمبيز ابني وكل قواتي بسرور مشينا أمامه.

وبناء على أمره العظيم جلبت لي كل الملوك الذين يجلسون على عروشهم في كل أصقاع العالم ومن البحر الأدنى والأعلى وكل الساكنين..... وكل المناطق العربية الذين يسكنون في الخيام جلبوا لي الضرائب وقبلوا قدمي في بابل.

آلهة سومر وآكاد التي جلبها نابونيد، وبناء على أمر مردوك السيد العظيم أعدتها إلى أماكن إقامتها وجعلتها تسكن في معابدها، المكان الذي يفرح قلبها." [١]

وقد كافأ قورش الكهنة الذين خانوا ملكهم نابونيد بأن أبقاهم في مناصبهم وعين غوباريوس القائد العسكري حاكم غويتام الذي ساعده في السيطرة على بابل بأن وضعه في منصب رفيع فتذكر Nabonidus Chronical: " **غوباريوس عين الولاة على بلاد بابل.**" [٢]

كما سمح لليهود الذين سباهم نبوخذ نصر من قبل بالعودة إلى بابل، وبناء هيكلهم وقد اعتبره اليهود المخلص لهم من أسرهم فيذكر سفر إشعيا (٤٤): " **القائل عن قورش راعيّ، فكل مسرتي يتمم، ويقول عن أروشليم ستبنى والهيكل سيؤسس**".

وبذلك انتهج قورش بحكمته ومعرفته بطبيعة سكان بابل سياسة تظهر الاحترام الشخصي للشعوب والديانات، واستطاع استمالتهم مستخدماً الدين؛ لتبرير أعماله ومستعيناً بالكهنة ؛لتقوية مركزه بين السكان، فيمكن القول هنا أن حضارة بلاد بابل قد نشأت وانتهت بكنف الآلهة والمعابد (رجال الدين).

---

(1) Van der spek, R.J, Cyrus the Great, Exiles and foreign Gods Acomparison of Assyrian and parsian policies on subject nations, University Amsterdam, 2013, pp43-44

(2) Shea, W.H, op, cit, P9

وقد بقي قورش في بابل ٥٣٩-٥٣٨ ق.م ليثبّت سيطرته على ولايته الجديدة، ومن ثم عاد إلى أقباتان تاركاً على حكم بابل ولده قمبيز الذي حمل لقب (ملك بابل) وجعل منها ولاية تابعة إدارياً وسياسياً للعاصمة أقباتان ولكن لم يحدث تغييرفي الحياة اليومية البابلية (الاقتصادية – والاجتماعية –والدينية....). [١]

وهنا نصل إلى نتيجةٍ مهمةٍ هي أنّ ظهور الدولة البابلية الحديثة وسقوطها كان بمساعدة القوة ذاتها وعلى يدها فبمساعدة الشرق (الميديين)استطاع نابو بلاصر القضاء على الدولة الآشورية ٦١٠ ق.م وبناء دولته التي دامت (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) وبالشرق (الفرس الأخمينيين) استعان كهنة مردوك للتخلص ممن رأوه خطراً عليهم (الملك نابونيد)، ولطالما كان الميديون ومن بعدهم الأخمينيون سكان الشرق أعداءً تقليديين لبابل يستغل كلٌ منهما ضعف الآخر؛ للتوسع ضمن حدوده، ولضمان إبعاد خطرهم قام الملك نبوخذ نصر الثاني ببناء ما عرف باسم الحائط الميدي لمعرفته التامة أن العدو ورغم التحالفات أو الاتفاقات التي تقام معه إلا أنه لا يمكن أن يؤمن جانبه.

وهذا أمر غفل عنه آخر ملوك هذه الدولة الملك نابونيد الذي لم يحاول أن يقوي جبهته الداخلية بل ومارس سياسة جعلت من سكان بابل يعتبرونه ملكاً مسلطاً وبخاصة كهنة المعابد الذين كانوا من أكثر المتضررين من أعمال الملك وسياساته، فعملوا على تأليب الناس ضد ملكهم متخذين من تركه عبادة كبير آلهة بابل ذريعةً قويةً لشحن الناس ضده، لأن الدين على هذه الأرض كان من المسلمات الدائمة غير القابلة للنقاش والجدال، والتي يعد اختراقها اختراقاً لجميع القوانين و الأعراف خاصةً في منطقة الشرق الأدنى القديم. وبما أنه لا يمكن لأي مجتمع أن يستثني نفسه من المصالح المتناقضة والتفرقة الداخلية، لذلك كان هناك شيء حتمي لوجود ائتلاف وتقارب بين المصالح الدينية والأهداف السلطوية لأية دولة، وهذا ما تلاقت عليه مصالح كهنة بابل وأهداف قورش التوسعية، والتي كانت بمجملها على حساب استقلال بابل وقوتها، لأن موازين القوى اختلت، ولم تعد بابل قادرة على تأسيس قوة جديدة بل لم يسمح لها بذلك وتحولت إلى ولاية تابعة

[١] مرعي، بابل في عهد نابونيد آخر ملوها، مرجع سابق، ص٤٣.

للفرس. وبسقوطها انتهى عصر الازدهار البابلي وهيمنته على المنطقة برمتها، وبدأ عصر طويل من الاحتلال والتبعية.

الخاتمة

مما سبق نستنتج:

▪ إن الأوضاع التي سادت بعد وفاة نبوخذ نصر الثاني والصراع على السلطة وصولاً إلى استلام نابونيد الحكم مهدت لوضع داخليٍ مضطربٍ وغير مستقرٍ سياسياً واجتماعياً كون الملك الذي استلم السلطة لا يعتبر وريثاً شرعياً، الأمر الذي سهّل لقورش الإخميني السيطرة على بلاد بابل وعاصمتها مستفيداً من التناقضات الداخلية وصراع الملك نابونيد مع كهنة مردوك.

▪ العقيدة العسكرية للإمبراطوريات التي نشأت في بلاد الرافدين عامةً والبابلية الحديثة خاصةً، بُنيت على مبدأ هو أن العدو يأتي من الشرق ولذلك كانت أهم الأسوار ومناعتها تبنى على تلك الجبهة، وقد سمي حائط تلك الجبهة في عهد نبوخذ نصر الثاني بالحائط الميدي، لإدراكه بأن الخطر يأتي دائماً من الشرق رغم التحالفات السياسية والعلاقات الاقتصادية التي بناها مع الميديين، وهو أمر غفل عنه الملك نابونيد آخر ملوك هذه الدولة لاسيما أن الدولة البابلية الحديثة نشأت على أنقاض الإمبراطورية الآشورية بعد تحالف مع الميديين في عهد نابو بولاصار، كما أن سيطرة الملك نابونيد على مدينة حران كان بمساعدة قورش الثاني.

وكما يُقال لا يوجد صداقات دائمة بل مصالح دائمة، فالقوة التي ساعدت على إقامة الدولة البابلية الحديثة هي نفسها التي قضت عليها نتيجة تغير ميزان القوى لصالح قورش الإخميني وبناؤه لإمبراطورية مترامية الأطراف بعد أن سيطر على عدة ممالك مثل ميديا وليديا و مصر و سيطرته على آسيا الصغرى وبالتالي فإن سقوط الدولة البابلية الحديثة وعاصمتها بابل أصبح تحصيلاً حاصلاً.

▪ مما ساعد في سقوط بابل أيضاً سوء الأوضاع الاقتصادية بسبب التغييرات الكبيرة التي أحاطت بالدولة البابلية الحديثة بظهور قوى جديدة حرمت بابل الكثير من الموارد التجارية وخاصة في الشرق والشمال فضلاً عن تحول الطرق التجارية البحرية من المدن الفينيقية إلى المدن الإغريقية.

▪ إن قيام الملك نابونيد بما اصُطلح على تسميته من قبل الباحثين بـ " الإصلاح الديني" بتفضيله إله القمر سين على كبير مجمع آلهة بابل مردوك مترافقاً ذلك بتركه العاصمة بابل والإقامة في تيماء، هو كسرٌ للعادات والتقاليد البابلية القائمة على فكرة أن بابل هي مركز الكون والإله مردوك إله الآلهة مقيم فيها يدير الكون بمساعدة الملك المقيم أيضاً في عاصمته، وإن هذه المفاهيم والعادات والطقوس البابلية كانت تقام شعائرها في عيد الأكتيو(رأس السنة البابلية)،وهو العيد الذي قاطعه الملك نابونيد لمدة عشر سنوات حارماً بذلك كهنة مردوك من ممارسة سطوتهم ونفوذهم على الملك والرعية معاً، وبالتالي حرمانهم من الامتيازات الاقتصادية من تلك الاحتفالات، مما مهدّ الطريق لإقامة تحالفات مع قوى خارجية لإسقاط الملك نابونيد و استعادة الامتيازات الاقتصادية والدينية التي حرمت منها تلك الطبقة النافذة.

▪ السرد الكثير الذي نجده في العهد القديم عن سقوط بابل يشي أن اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر الثاني كانوا راغبين في سقوط الإمبراطورية التي سبتهم، الأمر اذي يؤكد أنهم لم يدخروا جهداً في القضاء على بلاد بابل خصوصاً أنهم مجّدوا قورش الثاني لدرجة وصفه " المسيح المخلص". فاليهود كان لديهم ثقلٌ اقتصادية كبيرٌ في عهد الدولة البابلية الحديثة حيت نشأت عائلاتٌ اقتصاديةٌ يهوديةٌ مارست مختلف أنواع النشاطات الاقتصادية كعائلة إيجبي.

▪ يبقى الشرق مجتمعاً تقليدياً مرتبطاً بالدين ارتباطاً وثيقاً وقامت دوله على أساسه ،ورافق هذا التعلق بالدين وجود خليط كبير من الإثنيات التي عاشت جنباً إلى جانب مع بعضها البعض على مر التاريخ، إلا أن هذه التناقضات الموجودة داخل هذا المجتمع الشرقي جعلت القوى الغازية تعمل على اللعب عليها والاستفادة منها واستثمارها في خدمة مصالحها و للسيطرة على هذا الشرق وجعله تابعاً وخاضعاً لها.

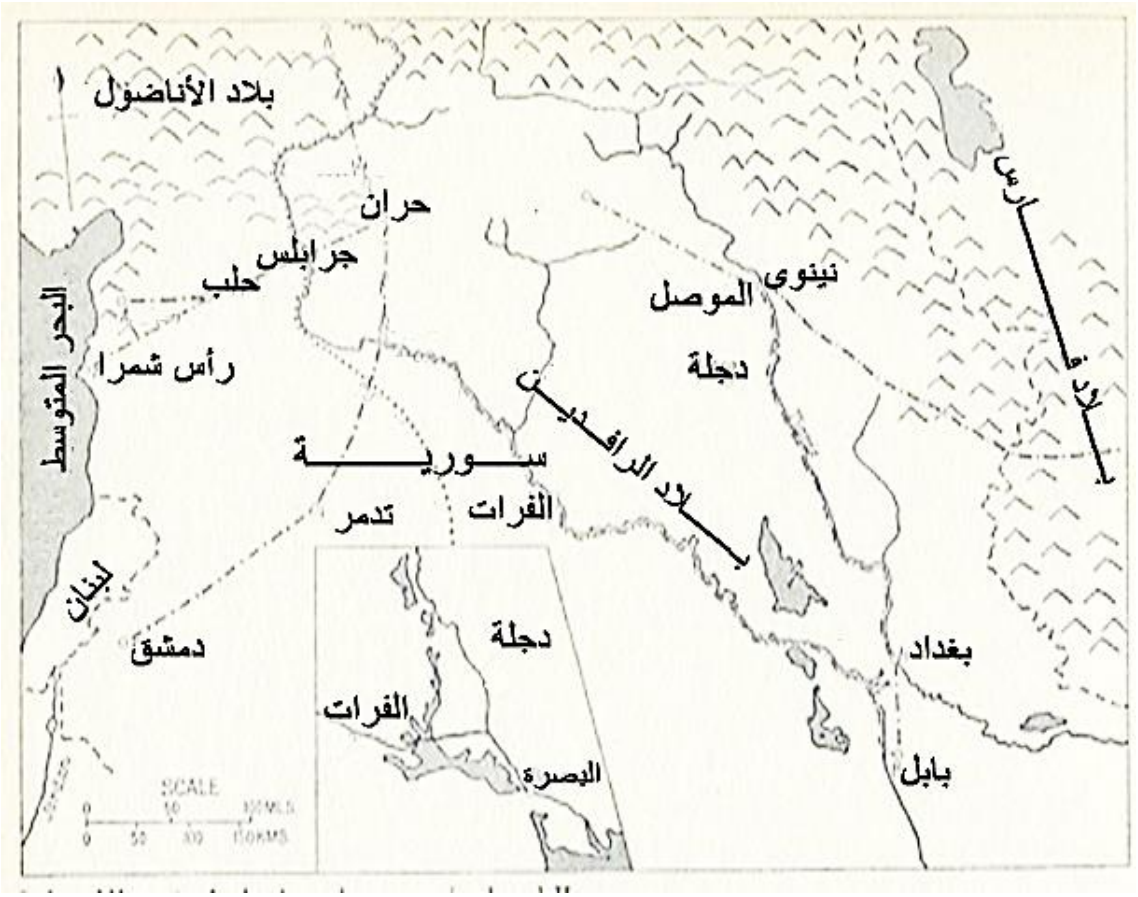

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

خريطة سوريا وبلاد الرافدين ، تظهر الطرق التجارية التي تمرّ في حرّان

الشكل(١)

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

خريطة الدولة البابلية الحديثة

الشكل (٢)

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

مسار سيطرة قورش الأخميني على بابل

الشكل (٣)

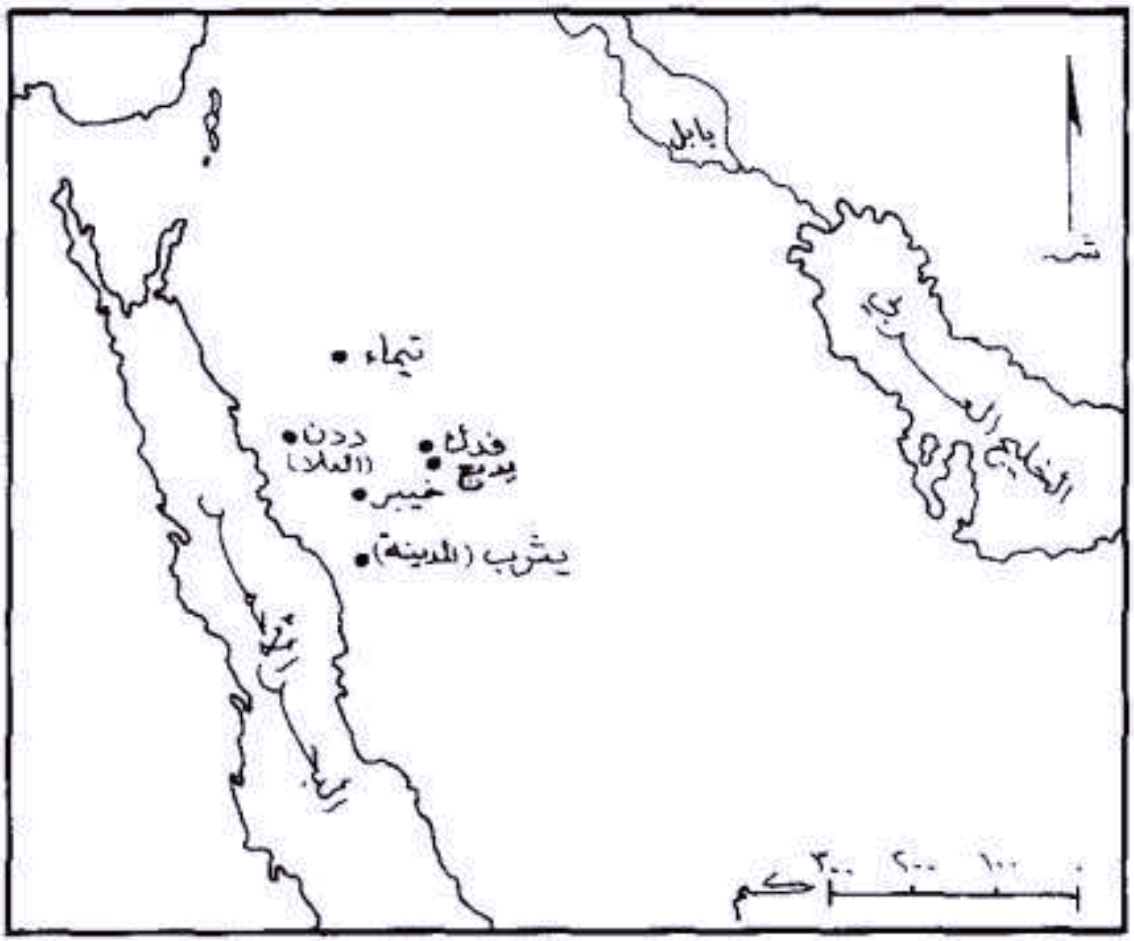

المصدر: سعيد بن فايز السعيد: حملة الملك البابلي نبونيذ على شمال غرب الجزيرة العربية

الشكل (٤)

المصدر: https: //ar.wikipedia.org

مسلة نابونيد تظهر عليها رموز سين وشماش وعشتار

الشكل (٥)

الشكل (٦)

المصدر: https: //ar.wikipedia.org

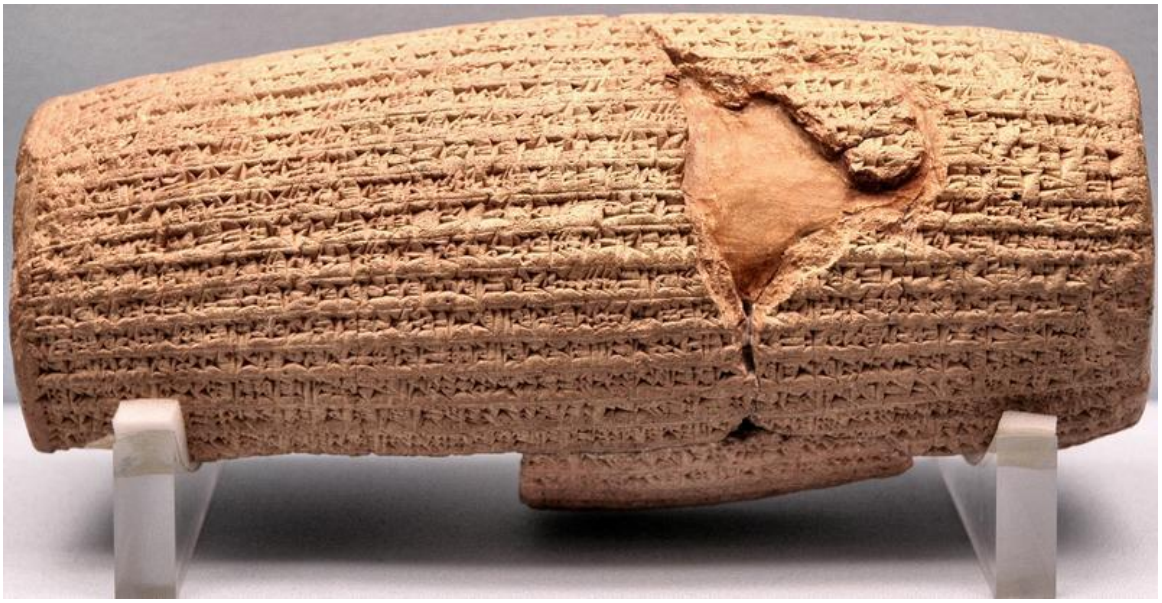

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

اسطوانة قورش

تعود للقرن السادس قبل الميلاد، اكتشفت عام ١٨٧٩م وهي محفوظه حالياً في المتحف البريطاني

الشكل (٧)

المصدر: https: //ar.wikipedia.org

نقش الملك البابلي نابونيد الذي استوطن تيماء

الشكل (٨)

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

رسم تخيلي لمدينة بابل وأسوارها

الشكل (٩)

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

إحدى المكتشفات الأثرية التي تعود لعهد الملك البابلي نابونيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م)

الشكل (١٠)

المصدر : https: //ar.wikipedia.org

مسلة تيماء

ومحفوظه حالياً في متحف اللوفر في باريس

الشكل (١١)

المصدر: https: //ar.wikipedia.org

الشكل (١٢)

قائمة المراجع

المراجع العربية والمعربة:

١-العهد القديم

٢- أنور، رشيد صبحي، دراسة تحليلة للتأثير البابلي في آثار تيماء، مجلة سومر، مج٢٩، ج١+٢، المديرية العامة للآثار والمتاحف بغداد، ١٩٧٣م

٣-الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت، ٢٠١٣ م

٤- إيفلين كلينكل، براندت، رحلة إلى بابل القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج١، دار علاء الدين دمشق، ٢٠٠٠م

٥- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (تاريخ العراق القديم)، بغداد ١٩٥١م

٦- بيلافسكي، ف، أ، أسرار بابل، ط٢، دار علاء الدين دمشق ٢٠٠٧م

٧- تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف، حميد بن صراي، المجمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠١م

٨- الجادري، وليد، جدران المعابد العراقية المشيدة من الطابوق (الكيسو)، مجلة سومر، مج٤٩، ج١+٢، ١٩٩٧-١٩٩٨م

٩- دياكوف، ف، كوفاليف، س، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج١، دار علاء الدين، دمشق ٢٠٠٠م

١٠- ديلايورت، ل، بلاد مابين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م

١١- الذنون، عبد الحكيم، تاريخ بلاد بابل، الجزء الأول، مؤسسة نينوى للثقافة والأعلام دمشق ٢٠٠٠ م

١٢- روتن، مارغريت، تاريخ بابل، تر: زينة عازار، ميشال أبي فاضل، منشورات عويدات بيروت، ١٩٨٤م

١٣- ساغز، هاري، عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دار طلاس دمشق ٢٠٠١م

١٤- السعيد، سعيد بن فايز، حملة الملك نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن ٢٠٠٠م

١٥- الطائي، أسامة كاظم، الطرفي، فيحاء كاظم، العلاقات الكلدية الميدية دراسة تاريخية من خلال النصوص المسمارية والمصادر الكلاسيكية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج٣، العدد٣، جامعة بابل، ص (من ٢٦٢إلى ٢٨٠)

١٦- عبد الهادي، سعدون، ياسين، عقيل عبد الله، الصلات التجارية بين حضارتي الهند والعراق في التاريخ القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ق.م)، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد٢٠١٣،١٠م،ص(من ٢١٩إلى ٢٢٨)

١٧- علي، عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، ج١، ٢٠٠٠م

١٨- غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ق.م)، ط١ الأهالي دمشق ٢٠٠١م

١٩- فرزات، محمد، عيد، مرعي، دول وحضارات الشرق الأدنى القديم ط٢، دار طلاس دمشق ١٩٩٤م

٢٠- الفتلاوي، أحمد حبيب، العلاقات البابلية المصرية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ق.م)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج٢، العدد ١ جامعة بابل ٢٠١٢م،ص(من٣٠٥إلى٣٤٣)

٢١- - الفتلاوي، أحمد حبيب، العلاقات الكلدية الفارسية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ق.م)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد٢١، جامعة بابل ٢٠١٢،ص(من٥٦١إلى٥٨٥)

٢٢-مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق.م، ط١، ١٩٩١م

٢٣- مرعي، عيد، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتبة الخبتي ٢٠٠٤م

٢٤- مرعي، عيد، عبد الله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين) جامعة دمشق ٢٠٠١م

٢٥- مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١٠٧-١٠٨، ٢٠٠٩م ،ص(من ٣إلى٢٥)

٢٦- مرعي، عيد، التاجر ونشاطاته في العصر البابلي القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان٢٣-٢٤، ١٩٨٦م،ص(من١٣٨ إلى ١٦٢)

٢٧- مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٦٣-٦٤، ١٩٩٨م،ص(من ٢٨إلى٤٥)

المراجع الأجنبية :

1-Al-Muaika l, R.P, Acritical study of the archaeology of Jawf region of Saudi Arabia with additional material on its history and Arabic Epigraphy, 1988.

2-Beaulieu, P.A, Nabounidus the mad king, Are consider of his steles from Harran and Babylon: (Representation of Political power Case Histories from times of change and Dissolving order in the AncientNearest, chapter 6, Winona Lake, Indiana Eisenbraune, 2007.

3- Beaulieu, P.A, Approaching the Babylonian Economy (Ennan's contribution of the north palace at Babylon, university of NoterDame 2004-2005.

4- Beaulieu, P.A, Neo -Babylonian Larsa, Apreliminary study Yale university, 1991.

5- Beaulieu, P.A An Episode in the fall of Babylon to the Persiane, JournalOf Near Eastern studies, 1993.

6- Beaulieu, P.A, Brossus on the late Babylonian History university of Toronto 2006.

7- Beaulieu, P.A, Babylonian background of the motif of fiery furnace, in Daniel 3, university of Toronto 2009.

8- Beaulieu, P.A, The Reign of Nabonidus King of Babylon 556-539B.C, 1989

9-Brish, N, Religion and power, (Divine kingship in the ancient worldAnd beyond, university of Chicago 2008.

10-Dandamaev, M, A, Neo-Babylonian society and Economy, volume 111, part2, Cambridge2006.

11- Dandamaev, M, A, Media and Achmenid Iran: (History of civilization Of central Asia, The Development of seden fary Nomadic civilization700BC to250AD, volum11, university of Chicago, Chicago and London1948.

12-Dougherty, R.p, nabounidus andBelshazzar, university of Yale, 1929.

13- Dougherty, R.p, Records from Erch time of Nabounidus (555-539BC) Yale university,

14-Farm, G, Mesopotamia (Nabounidus and the history of the EulmasTemple at Akkad, university DI Torino, 1993.

15-George, A.R, Cuneiform royal inscriptions and related Texts in theSchoyen collection, Bethesdo Maryland 2011.

16-Grassi, G.F, Nabounidus king of Babylon, Middle East, Topic and Argument 2000.

17-Grayson, A.K, Assyrian and Babylonian chronicles, Locust valley, NY and Gluckstadt Germany 2000.

18-Harper, R.F, Assyrian and Babylonian Literature, New York 1930.

19- Hasel, G. F, The first and third years of Belshazzar, Andrews University, 1977

20-Huth, M, &Van, P.G, Coinage of caravan kingdoms, studies in Ancient Arabian Monetization, New York, 2010.

21-Jastrow, M, Civilization of Babylonia and Assyria, university ofGeorgia, 1915.

22-Johannes, R, Economy of ancient Mesopotamia A general outline: (The Babylonian World), chapter20, New York &London, 2007.

23-Jursa, M, Aspects of the Economic history of Babylonian in the first Millennium BC, Ugarit –Verlag Munster 2010.

24- Jursa, M, Business companies in Babylonia in the first Millennium BC, Structure, economic strategies, social setting, university of Vienna

25-Karts, R, From Nabounidus to Cyrus, Assyrian &Babylonian, IntellectualHeritage project in Melammu symposia3, Held in Chicago 2000.

26-Laum.A, R.J, Nabonuidus king of Babylonia, the Abu Habba cylinder ofNabounidus, Columbia university New York, 1935.

27-Lawler, A, Alas Babylon: tracing the last king, Desert Exile, scencemag 2012.

28- Macdonald, M.C.A, Arabs and Empires before sixth century, Oxford University 2014

29-Mcintosh, J.R, Ancient Mesopotamia, Oxford England 2005.

30-Melville, S.C, Neo-Babylonian period Texts from Babylonian &Syro-Palestin, Ancient near East, Historical sources intraslation, 2006.

31-Mieroop, M.V.D, The Ancient Mesopotamia city, Oxford, 1997

32-Miller, W, X-naphon's Cyropaedia, Harvard university, 1960.

33- Moore, P, Guide the moon, London, 1976.

34-Moukarzal, K, The Religious Reform of Nabonuidus, Asceptical view (Melammu, the Ancient world in an Age Globalaliztion), Germany & U.K, 2014.

35-Olmstead, A.T, History of the Persian Empier, university of Chicago, Chicago & London, 1948.

36-Oppenheim.L, Anceint Mesopotamia, Par trait of Dead civilization, University of Chicago press 1977.

37-Parker, B, The Nabounidus controversy, Tylore Revans, 2014.

38- Parker, R.A, Babylonian chronicle (626BC - A.D75), Brown University 1956

39-Payne, E.E, The craftsmen of the Neo-Babylonian period:

A study of the textile and metal workers of the Enanna temple,

Yale university, 2008.

40-Rahe, P.A, Between trust and distrust the federalist and the

Emergence of modern Republican constitutionalism, CambridgeUniversity press, 1999.

41-Roger, R.W, A history of Babylonia and Assyria, Volume II,

Assyrian International news Agency, 1990.

42-Roux, G, Ancient Iraq, Third edition, Penguin book, 1992.

43-Saggs, H.W.f, Everyday life in Babylonia and Assyria, Assyrian international news agency, 1965.

44-Shea, W.H, Nabounidus chronicle, New reading and the IdentityOf Darius the Medea, Journal of the Adventist the logical society, 1996.

45-shuaib, M.G, The Arab of North Arabia later per- Islamic times Qedar, Nebaioth others, university of Manchester for the degreeOf Doctor of philosophy in the faculty of Humanities, 2014.

46-Sommer, B.D, The Babylonian Akitu festival: Rectifying the kingOr Renewing the cosmos ?North western university 2000.

47-Taylor, R.J, An analysis of celestial omina in the light of Mesopotamia cosmology and Myth, 2006.

48-Vander hoot, D, Cyrus II, Liberator or conqueror ? Ancient historiography concerning Cyrus in Babylon, Boston college.

49-Van der spek, R.J, Cyrus the Great, Exiles and foreign Gods A comparison of Assyrian and Persian policies subject Nations, University of Amsterdam 2013

50-Waerzeggers, C, The Babylonian priesthood in the long sixth

Century BC, Institute of classical studies university of London2011.

51-Wesiberg, D.B, Neo-Babylonian texts in the oriental al Collection, university of Chicago, U.S.A 2003.

52-Wiseman, D.J, Babylonian 605-539BC, Cambridge, Volume III, Part 2, 2006.

53-Wolters, AL, Belshazzar feast and cult of moon god Sin, Redeemer college Bulletin for Biblical Researsh, 1995.

54- Zawadzki, S, Who was king ?, Who wasn't king ?(The portrait of Nabounidus and Cyrus in their, chapter 12, Prague 2010

55- Zawadzki, S, The end of the Babylonian Empire: New Data concerning Nabounidus, order to send the statues Of Gods to Babylon, university of Chicago 2012.

Research Summary

The history of civilizations in Mesopotamia and ancient neareast generally run according to specific conditions and patterns of establishment, strength and weakness.

Theses three elements ware related in a large percent with the power and weakness of its rulers.

In addition to that, kings'ability to rein religious authority and making it under control without arousing it or making it their key-enemy.

Religion has always been the primary and auxiliary factor in fixing or removing the kings out of thrones.

These facts were ignored by Nabonidus as He made clergies his chief enemy. What was more stranger than that was leaving his capital Babylon and staying in Taima oasis. This action widened the gab between the king and Babyloneans and clergies of mardouk.

This division and inconsistency paved the way for Cyrus the great to occupy Babylon and transform it to Persion province (539BC).

So, It was closed along page of strength and prosperty.

Syrian Arab Rebuplic

Damascus University

Faculty of Arts And Humanities

Department of History

Babylonia in the reign of Nabonidus (555-539) BC

A Thesis submitted for the Master Degree in the Ancient Near East History

Prepared By

Sahar Lutfuddin Ahmad

Supervised By

DR. Aid Mari

2017